

شرح

فقه الأخلاق

السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره

الجزء الأول

ميثم العقيلي

تمهيد

سؤال: ما هي العلاقة بين علم الفقه وعلم الأخلاق؟

جواب: طرح المصنف قدس في التمهيد لهذا الكتاب تساؤلاً حاصله أن يقال: هل بين علم الفقه وبين علم الأخلاق علاقة اتصال وارتباط وتلاقي وتلاقح أو أن هذين العلمين منفصلان وغير مرتبطين ولا علاقة لأحدهما بالآخر؟¹

وجواب هذا السؤال قد يأتي بنفي العلاقة والقول بالانفصال بين هذين العلمين تارة، وبإيجاب وإثبات العلاقة والقول بالاتصال بين هذين العلمين تارة أخرى، وقد استقر المصنف قدس القول بالاتصال، فهنا قولان:

القول الأول: نفي العلاقة بين علم الفقه وبين علم الأخلاق، وفي هذا القول الاستدلال على إثبات الانفصال من الناحية أو الجانب النظري ومن الجانب العملي، فكيف يمكن تصور العلاقة بين هذين العلمين؟ فهنا جانبان من الانفصال:

¹ أبحاث هذا الكتاب ليست أبحاثاً أخلاقية كما في مثل البحث عن قوى النفس والخير والسعادة والفضائل والردائل وغيرها من مسائل علم الأخلاق، وإنما أبحاث فقهية يعتمد على إعطاء الجوانب والآثار الأخلاقية والتربوية للمسائل الفقهية بتفصيل يتكفل بيانه هذا التمهيد. هذا أولاً.
وثانياً: أن هناك جملة من مؤلفات المصنف قدس تكفلت البحث عن المسائل الفقهية من زوايا عديدة، كما في مثل ما وراء الفقه، فقه الطب، وفقه العشائر، وفقه الموضوعات الحديثة، فقه المجتمع. هذا مضافاً للكتب الاستدلالية في أبحاث الخارج والرسائل الاستفتائية المعدة للبحث عن الأحكام الشرعية الفقهية.

الأول: الانفصال النظري، وذلك من أجل اختلاف موضوعات وسياقات وأساليب هذين العلمين،
فهنا علمان:

1- علم الفقه: وهو علم التشريع. سواء قصدنا من التشريع السماوي أو الإسلامي ببيان الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية أو قصدنا من التشريع ما يشمل القانون الديني الوضعي بأي صيغة من صيغته، فإن كل هذا من التشريع مما يسمى بالفقه عادة. وإن كنا الآن بصفتنا مسلمين مهتمين بالفقه الإسلامي فقط، والفقه الإسلامي هو الذي نقارن هنا بينه وبين علم الأخلاق.

2- علم الأخلاق: وهو علم السلوك والتربية لتشخيص السلوك الصالح بالتخلي بفضائل الأخلاق كالعدالة من السلوك الطالح بالتخلي عن الفضائل وممارسة الرذائل كالظلم.

ولكل من هذين العلمين طريقته في البحث وفي البرهنة وفي الاستنتاج، وغير ذلك، كما هو غير خفي لمن اطلع على هذين العلمين. فهنا ثبت أن هذين العلمين متغايران من الناحية النظرية، ويتم المطلوب.

الثاني: الانفصال العملي، وذلك من أجل وجود عدة ظواهر تطبيقية ينفصل بهذه الظواهر احد العلمين عن العلم الآخر، ومن هذه الظواهر أن الاختصاصي بأحد هذين العلمين من الفقهاء والأخلاقين يقل اهتمامه وتطبيقه بالعلم الآخر، ومن الواضح حياتياً أن الفقهاء غير اختصاصيين بعلم الأخلاق، كما أن الأخلاقين غير اختصاصيين بعلم الفقه، ولا يوجد من يجمع بين الحقلين إلا الأندر من الشمع الأحمر. هذا أولاً.

وثانياً: أن غير الاختصاصي بأحد هذين العلمين أيضاً يقل اهتمامه وتطبيقه بالعلم الآخر، بل أن الاهتمام لدى المتشركة إنما هو بالفقه من حيث أن مآل ومؤدى علم الفقه إلى الثواب والعقاب الأخرويين. وليس في علم الأخلاق وجهة من هذا القبيل، فعلم الأخلاق لا يستحق مثل الاهتمام عند المتشركة. بل قد نجد أن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم قد سلكوا هذا السلوك بحيث أصبح الاهتمام المتشركي من قبل المتشركة إنما هو ناتج من تربية وتركيز واهتمام المعصومين عليهم السلام من حيث التركيز على جانب الطاعة والمعصية، وجانب الثواب والعقاب، وهي الجوانب المرتبطة بعلم الفقه أكثر من الجوانب المرتبطة بالأخلاق. فهنا ثبت أن هذين العلمين متغايران من الناحية العملية، ويتم المطلوب

القول الثاني: إثبات العلاقة بين علم الفقه وبين علم الأخلاق، وأن هناك علاقة وثيقة وحميمة بين علمي الفقه والأخلاق، حتى كاد أن يكون أحد هذين العلمين عين العلم الآخر طبقاً لعلاقة الاتحاد والعينية، كما سنرى، وأن لم يكن العلمان متحدين في جميع التفاصيل. وفي هذا القول يمكن الاستدلال على إثبات الاتصال والعلاقة العينية بين هذين العلمين تبعاً لمستويين أحدهما المستويين يتكفل الجواب على دليل القول بالانفصال، والمستوى الآخر يتكفل ببيان دليل القول بالاتصال، فهنا مستويان:

المستوى الأول: دليل القول بالانفصال، وفيه جانبان:

الأول: الانفصال النظري، ويرد عليه أن علمي الفقه والأخلاق يلتقيان في كثير من مسائلهما، بل في أكثر المسائل، بل في جميع المسائل، وذلك بسبب التقاء وعلاقة كثير من العلوم فيما بينها في موضوعات ومسائل مشتركة، وأمثلة ذلك:

- علم الفيزياء بعلم الفلك.

- علم النفس بعلم الاجتماع.

- علم الاقتصاد بعلم السياسة.

- علم الكيمياء بعلم الفيزياء.

- علم التفسير بعلم الفقه.

- علم النحو بعلم الصرف.

إلى غير ذلك كثير على تفصيل بينه المصنف قدس في مقدمة كتاب (ما وراء الفقه) ².

فهنا أيضاً علاقة والتقاء أو تداخل بين علم الفقه والأخلاق إلى درجة وحد يكون من الصعب عزل أحد هذين العلمين عن العلم الآخر من الجانب النظري والجانب العملي، فيثبت اتصال هذين العلمين في الجانب النظري، ويتم المطلوب.

² ما وراء الفقه الجزء 1 القسم 1 ص 7.

الثاني: الانفصال العملي، وفيه ردود ثلاثة:

1- اهتمام الاختصاصيين، أي أن اهتمام وتركيز الاختصاصيين بعلم الفقه أكثر من علم الأخلاق، فهذا يمكنك أن تجد في جوابه احد وجهتي أو ثلاثة وجوه نظر:

الوجهة الأولى: أن الحق أن يكون الفرد والمجتمع عارفاً ومطبقاً للفقه والأخلاق معاً، فلو كان قاصراً أو مقصراً من احد الجانبين كان ناقصاً لا محالة، سواء كان اختصاصياً بأحد الحقلين أو لم يكن اختصاصياً بأحد الحقلين.

الوجهة الثانية: أن الاختصاص والتعمق الكامل بعلمي الفقه والأخلاق متعذر تماماً، فيكون من اللازم على الاختصاصيين بالفقه والأخلاق أن الإمام المعين، وترك العلم الآخر الخارج عن القدرة والمكنة.

الوجهة الثالثة: أن يقال - وقد يكون هذا القول ناشئاً من النفس الأمارة بالسوء - أن هناك عدم تبادل حسن الظن بين الفقهاء والأخلاقين، وذلك لأن الفقهاء يبنون علمهم على ظاهر الشريعة أو الشريعة الظاهرية الفقهية غالباً. بينما الأخلاقيون يبنون علمهم على باطن الشريعة أو الشريعة الباطنية الأخلاقية غالباً. ومن المؤسف أن يكون أهل الظاهر من الفقهاء غير معتقدين بالباطن، وأهل الباطن من الأخلاقيين غير معتقدين بالظاهر، فاحدهما يخطئ الآخر في السير في طريقه.

2- اهتمام المشرعة، أي أن اهتمام وتركيز المشرعة بعلم الفقه أكثر من علم الأخلاق، فهذا على الأغلب صحيح ولكن بتوجيه بناء على تفسير الأخلاق بأحد تفسيرين من جانبين:

الأول: السلوك الظاهري، أي أن يكون المقصود من الأخلاق السلوك الظاهري العام وهو حسن معاملة الآخرين الظاهري، فهنا في هذا القصد من لم يأخذ بهذه المعاملة كان ظالماً ومقصراً.

والثاني: السلوك الباطني المعمق، أي أن يكون المقصود من الأخلاق السلوك الأخلاقي العرفاني الباطني المعمق، فهنا في هذا القصد مما لا يحتمله عامة واغلب الناس، وإنما جاءت الشريعة الظاهرية الفقهية من أجل حفظ النظام بين عامة الناس، فكان من واجبهم الالتزام بهذه الشريعة الظاهرية الفقهية، وان يدعوا ما لا يستطيعون وما لا يطبقون من الشريعة الباطنية الأخلاقية. ومع

هذا فلا منافاة في وجود اللفقات واللمعات الأخلاقية الجيدة عند الكثيرين من الاختصاصيين المهتمين بالفقه أو الفقهاء الذين يتصفون بنفس قوية وقلب طاهر.

3- اهتمام الأئمة عليهم السلام، أي أن اهتمام وتركيز الأئمة المعصومين عليهم السلام بعلم الفقه أكثر من علم الأخلاق، فهذا على إطلاقه غير صحيح من وجوه، ومنها وجهان:

أولاً: أن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم قد بينوا كلا العلمين من الفقه والأخلاق بالمقدار الذي يستحقه ويتحمله عامة الناس، ولم يقتصر بيان الأئمة أحد هين العلمين دون العلم الآخر.

ثانياً: إن بيان الأئمة المعصومين سلام الله عليهم للتعاليم الظاهرية الفقهية أكثر من التعاليم الباطنية الأخلاقية يعتمد على أن أكثر أفراد المجتمع هم من المستحقين لبيان ظاهر الشريعة الفقهية، والقاصرين عن بلوغ باطن الشريعة الأخلاقية، فهنا كانت المصلحة الضرورية تقتضي ظهور المعصومين سلام الله عليهم أمام الناس بمظهر ظاهر الشريعة، وعض النظر عن باطن الشريعة. وينتج من هذا تفسير كثرة ما وصلنا من الأحاديث الفقهية عن الأحاديث الأخلاقية. هذا بناء على تفسير الأخلاق بجانبها العرفاني الباطني. هذا أولاً.

وثانياً: أننا إذا فسرنا الأخلاق جانبها الظاهري، وهو حسن معاملة الآخرين، فهنا ينتج لدينا عكس النتيجة السابقة وهي كثرة ما وصلنا من الأحاديث الأخلاقية عن الأحاديث الفقهية بتفصيل آت. فيثبت اتصال هذين العلمين في الجانب العملي، ويتم المطلوب.

المستوى الثاني: دليل القول بالاتصال، وفيه مستويات أربعة:

1- إن الفقه يمثل الشريعة الإسلامية، والشريعة الإسلامية تمثل العدل الإلهي، فينتج أن الفقه يمثل العدل الإلهي. والعدل جزء من الأخلاق، وذلك لأن القضية الرئيسية والكبرى في علم الأخلاق هي إدراك حسن العدل وقبح الظلم، فينتج أن الفقه يمثل الأخلاق، أو أن الفقه ناشئ من منشئ أخلاقي، وهو العدل. مضافاً إلى انطباق هذا المفهوم على كل مسألة من مسائله وكل تطبيق من تطبيقاته. بحيث يكون كل حكم فيه هو عادل، بالعدالة الإلهية التي اقتضته. فهنا في هذا المستوى يبرهن أن الأخلاق تشمل كل مسائل الفقه وليس بعض مسائل الفقه.

2- أن التكاليف العامة في الفقه هي الواجبات والمحرمات، بينما التكاليف المعمقة في الفقه هي المستحبات والمكروهات بناء على تفسير الأخلاق بجانبها الباطني، فتكون المستحبات

والمكروهات الفقهية هي أحكام أخلاقية بطبيعتها. ومن المعلوم أن المستحبات والمكروهات الأخلاقية تستوعب أغلب أبواب الفقه من الناحية العملية. سواء بالنسبة إلى الأخبار الواردة فيها أو الكتب المؤلفة، أو السلوك الذي تقتضيه. فهنا في هذا المستوى يبرهن على أن أكثر أحكام الفقه هي أحكام أخلاقية.

3- إن الفرد إذا أراد أن يسير في طريق الكمال عليه أن يخطو خطوة أولى من خلال الالتزام بالشريعة الظاهرية الفقهية، حتى ما إذا حصل ذلك بالإخلاص كان الفرد مستحقاً للخطوة الثانية في طريق الكمال من خلال الالتزام بالشريعة الباطنية الأخلاقية. فهنا في هذا المستوى يبرهن على علاقة المقدمة بين علم الفقه والأخلاق، أي أن الفقه مقدمة للأخلاق، ومقدمة الشيء من ذي الشيء حقيقة وليست غريبة عنه، لأن مع تغاير وتباين بين الشيء وذي الشيء يتعذر أو يستحيل حصول مثل هذه المقدمة.

4- إننا في أول هذا البحث عرفنا علم الفقه بأنه علم التشريع، وعرفنا الأخلاق بأنها علم السلوك، فهنا هل يمكن أن يكون بين التشريع الفقهي وبين السلوك الأخلاق تباين وتغاير؟. وجوابه: النفي، وذلك لأن التشريع إنما وجد من أجل إيجاد السلوك الصالح على طبق التشريع العادل علا كلا معنيي السلوك الأخلاقي:

أولاً: السلوك الأخلاقي الظاهري أو العام، وهو حسن معاملة الآخرين ونحوها، فهنا يكون السلوك الأخلاقي من صميم التشريع الفقهي.

وثانياً: السلوك الأخلاقي المعمق، فهنا يكون السلوك الأخلاقي نوعاً من أنواع التشريع الفقهي.

ومعه فهنا في هذا المستوى يبرهن على أن الفقه ليس فقط مقدمة للأخلاق العليا، كما قلنا في المستوى السابق بل الفقه يبقى مرافقاً للفرد السالك في مدارج الكمال مهما كان هذا المدرج مرتفعاً.

وبهذه المستويات الأربعة أمكننا البرهنة على الاتصال والارتباط والتلاقي والتلاحق الكامل بين الفقه والأخلاق حتى يمكن أن يقال بعلاقة العينية، أي أن أحد هذين العلمين عين العلم الآخر، وإنما تنشأ علاقة المغايرة الظاهرية أو المعروفة بين هذين العلمين من القصور أو التقصير. أو من بعض اختلافات الاتجاه الذي عرفنا بمراراته في المستويات السابقة نفسها، كما لو قلنا إن البحث

شرح فقه الأخلاق
عن الواجبات والمحرمات في الشريعة هي الفقه، والبحث عن المستحبات والمكروهات هي
الأخلاق. أو نحو ذلك. هذا أولاً.

وثانياً: أن الحديث في الكتاب يكون بعنوانين مختلفة مشتركة في وحدة النتيجة، ومن هذه العناوين:

1- فقه الأخلاق.

2- الفقه الأخلاقي.

3- الأخلاق الفقهية.

وبعد علاقة الاتحاد والعينية بين هذين العلمين يمكن الحديث تحت هذا العنوان عن كل الفقه وعن
كل الأخلاق بمستويات مختلفة، ومن هذه المستويات ثلاثة، والمقصود من هذه المستويات مستوى
واحد يكون هو موضوع هذا الكتاب ونترك المستويين الآخرين:

1- المستوى الإلزامي في الشريعة المتمثل بالواجبات والمحرمات.

2- المستوى غير الإلزامي من الشريعة المتمثل بالمستحبات والمكروهات.

3- المستوى المعمق للسلوك الأخلاقي الباطني.

وموضوع هذا الكتاب هو المستوى الثاني فقط، دون المستويين الأخلاقيين الأول والثالث؛

أما حذف المستوى الأول فباعتبار كون الكلام في هذا المستوى من التعاليم الإلزامية موكلاً إلى
المؤلفات والمصادر الفقهية الاعتيادية.

وأما حذف المستوى الثالث فباعتبار كون الكلام في هذا المستوى من التعاليم المعقدة الأخلاقية
خاصاً بأهلها ولا يشمل عموم الناس فمن لا يعرف أو ممن لا يطبق تطبيق هذه التعاليم.

وأما اختيار المستوى الثاني من التعاليم غير الإلزامية فباعتبار المصداق الأوضح والأوسع من
الترابط بين الفقه والأخلاق، وعنوان هذا المستوى وإن كان هو المستحبات والمكروهات ولكن
يمكن فهمها على مستويات ستة:

- 1- المستوى الظاهري كاستحباب النوافل والأدعية ونحوها.
- 2- المستوى الفردي الاجتماعي، كاستحباب قضاء حاجة الآخرين والسعي في الصلح بين المتخاصمين.
- 3- المستوى الفردي النفسي، كالتقليل من حب الدنيا والالتفات إلى الرغبة في الآخرة.
- 4- المستوى الفردي العقلي، كحسن الفهم للأمور الدينية والأخلاقية، واختيار الصالح من الحقائق وطرح الأمور الباطلة والرديئة.
- 5- المستوى الروحي، كالصبر على الشدائد والتسليم لأمر الله سبحانه والخشوع في العبادات والإخلاص فيها.
- 6- المستوى الاجتماعي العقلي والروحي معا وهو محاولة إيصال النتائج الفردية المشار إليها إلى الآخرين. بتعليمهم وتربيتهم على ذلك.

بقي الإلماع إلى أمرين:

الأول: انه يندرج في موضوع هذا الكتاب جميع الأدعية الواردة، والزيارات المنقولة، والنوافل في الصلوات والصيام والحج وغير ذلك كثير. ولكن الكلام في هذه المذكورات ينبغي أن يكون مختصراً، وإيكال التوسيع فيه إلى المصادر الخاصة به.

والثاني: إن بعض تلك المستويات الستة من المستحبات المتقدمة قد يشعر البعض بان بعض هذه المستحبات من الواجبات وليست من المستحبات فتخرج بذلك عن موضوع هذا الكتاب، فهنا نقول في دفع هذا الاشكال بأحد أسلوبين.

- 1- إن هذه الأمور الواجبة مما يكون أحياناً واجباً وأحياناً مستحباً بصورة نسبية بحسب اختلاف مستويات هذه الأمور، وبحسب اختلاف الأفراد المخاطبين أو المأمورين بها، فهنا ناسب ذكر هذه الأمور في هذا الكتاب، ويتم المطلوب.

2- أننا قصدنا من المستحبات ما كان غير داخل في الواجبات والمحرمات العامة الفقهية كوجوب الصلاة والصوم وحرمة السرقة والزنا، فإن كان الصبر واجباً أحياناً، فهذا لا يعني اندراج الصبر في الواجبات العامة الفقهية بذلك المعنى، فهنا ناسب ذكر هذه الأمور في هذا الكتاب، ويتم المطلوب.

ثم إن هنا أمرين آخرين:

الأول: الكلام في أدلة المستحبات والمكروهات في الكتاب والسنة والإجماع والعقل سوف يكون مختصراً والتفصيل إنما يكون في نتائج البحث عن المستحبات والمكروهات.

والثاني: أن عناوين وتبويب هذا الكتاب يعتمد على نفس تبويب عناوين الكتب الفقهية مثل البدء بكتاب الطهارة والانتهاه بكتاب الديات، ولكن المصنف قدس في هذا الكتاب تكلم عن الكتب الفقهية الخاصة بالعبادات في ضمن جزأين؛ أما الجزء الأول ففيه بعد مقدمة العبادات ثلاثة كتب:

1- كتاب الطهارة.

2- كتاب الصلاة .

3- كتاب الصوم.

وأما الجزء الثاني ففيه ستة كتب:

1- كتاب الزكاة.

2- كتاب الخمس.

3- كتاب الاعتكاف.

4- كتاب الحج.

5- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6- كتاب الجهاد.

وبهذا يكون موضوع هذا الكتاب مستو عباً وشاملاً لناحيتين:

الأولى: أبواب علم الفقه.

والثانية: النشاط الفردي والاجتماعي للمكلفين.

مقدمة العبادات

الفقرة (1) معنى النية

سؤال: ما معنى النية؟

جواب: للنية عدة معاني يمكن أن تراد النية من هذه المعاني، ومن هذه المعاني خمسة:

1- النية اللفظية: وهو ما قد ينطقه ويتلفظ به الإنسان عند إرادة الدخول في الصلاة أو بعض أفعال الحج كالإحرام.

2- الأخطار الذهني: وهو تذكر واستحضار مضمون ومعنى النية اللفظية من دون نطق وتلفظ بهذه النية.

3- القصد: وهو ما يعرفه الفرد من فعل، بحيث لو سئلت عن هذا الفعل أمكنك الجواب عن هذا الفعل، وهذا المعنى شامل لكل الأفعال الاختيارية القصدية أو المتعمدة. وبهذا المعنى قد يفسر ما ورد من (إن الأعمال بالنيات)³. أي أن الأعمال بالقصود، وكل عمل لا قصد فيه فهو عمل خال من النية.

4- الهدف أو الاستهداف: وهو ما يقصده الفرد في عمله كنتيجة نهائية، فإن كان الهدف خيراً صالحاً قيل: إن النية صالحة، وإن كان الهدف شراً سيئاً قيل: إن النية سيئة. وبهذا المعنى قد يفسر

³ الوسائل: ج 1 - م 1 الباب الخامس من أبواب مقدمة العبادات - حديث 1.

ما ورد: (لكل امرئ ما نوى)⁴. أي لكل امرئ ما يستهدفه فان استهدف الفرد خيراً رأى خيراً, وان استهدف الفرد شراً رأى شراً, وعاد الوبال على هذا الفرد.

5- الباطن أو المحتوى الداخلي للإنسان أو قل: النفس أو القلب: وهو ما يستبطنه الفرد في داخله من نفس وقلب, فمن كانت نفسه وقلبه طاهراً فنيته حسنة, ومن كانت نفسه خبيثة وقلبه غليظاً فنيته سيئة. وبهذا المعنى قد يفسر ما ورد: (إن نية المؤمن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله)⁵. أي أن نفس وقلب المؤمن خير من عمله, ونفس وقلب الفاسق شر من عمله. وذلك لأن العمل إنما يمثل المحتوى الداخلي للفرد. وهذا المحتوى أهم وخير من العمل بطبيعة الحال.

الفقرة (2) معاني حسن النية

سؤال: ما هي معاني حسن النية؟

جواب: خلوص وصفاء النية وحسن النية يمكن أن يفسر بعدة تفسيرات غير متنافية، بمعنى أن هذه المعاني يمكن أن تصدق جميعاً من دون تناف، ومن هذه المعاني ثمانية:

1- الإضرار بالآخرين: أي أن يكون العمل خالياً وخالصاً من قصد الإضرار بالآخرين المنتج لظلم بالآخرين، وذلك لأن الإضرار بمن لا يستحق ظلم واضح.

2- الإضرار بالنفس: أي أن يكون العمل خالياً وخالصاً من قصد الإضرار بالنفس، بحسب الواقع سواء عرف الفاعل هذا الإضرار أم غفل الفاعل عن هذا الإضرار، وذلك لأن عدداً من أعمالنا المضرة يبدأ ضررها بنا قبل أن يصل الضرر إلى الآخرين، ونحن قد لا نكون ملتفتين لهذا إضرار، فنكون بذلك الإضرار مصداقاً لآيتين:

الأولى: قوله سبحانه: (يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)⁶. وذلك بسبب عدم الالتفات إلى الضرر الذي يلحق النفس من هذه الأعمال المضرة.

⁴ نفس المصدر.

⁵ الوسائل ج 1، م 1 الباب 6 من أبواب مقدمة العبادات - حديث 3.

⁶ سورة الكهف - آية 104.

والثانية: قوله جل جلاله: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)⁷. وذلك لأن النفس تحتاج إلى التربية والعناية، فكل عمل غير موافق لذلك النحو من التربية والعناية فهو ظلم للنفس.

3- الهدف السيئ: أي أن يكون العمل خالياً وخالصاً من الهدف السيئ ولو كان هذا الهدف السيئ في المدى البعيد، سواء علم بهذا الهدف السيئ الفرد أم لم يعلم بهذا الهدف السيئ الفرد. ولكن الفرد إن كان عالماً ملتفتاً إلى هذا الهدف السيئ، فهذا كان ظلم الفرد أكبر. ومن هنا قال الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فهنا الخلو من مثل هذا الاستهداف السيئ يعتبر شكلاً من أشكال خلوص النية وحسن النية بلا شك.

4- المحتوى الداخلي: أي أن يكون العمل ناتجاً من قلب طاهر ونفس صافية ليكون العمل ذا نية حسنة. وإن لم يكن العمل ناتجاً من قلب طاهر ونفس صافية، فهذا لم يكن عمل الفرد متصفاً بحسن وخلوص النية. ومن هنا نجد أن ذوي النفوس الشريرة والسيئة تكون كل أعمالهم غير نقية، وكل نياتهم غير حسنة، وذلك لأن هذه الأعمال تكون ناتجة من نفوسهم الشريرة والسيئة، فهذه النفوس تمثل وتعكس شر هذه الأعمال بشكل آخر.

5- الطمع المتزايد بالدنيا: أي أن يكون العمل خالياً وخالصاً من الطمع المتزايد بالدنيا، وأن يكون العمل حاوياً على درجة من درجات القناعة. فإن كان العمل مستهدفاً للطمع المتزايد بالمال أو الجاه أو السمعة أو السيطرة من دون مصلحة عامة في ذلك، فهذا كان عمل الفرد غير متصف بحسن وخلوص النية.

6- الطمع بالدنيا عموماً: أي أن يكون العمل خالياً وخالصاً من الطمع بالدنيا عموماً، وليس فقط أن يكون العمل خالياً وخالصاً بالشيء المتزايد من الدنيا، كما في الوجه السابق. وبذلك ينبغي الاقتصاد على ضروريات الحياة والقناعة بهذه الضرورات عن الباقي من متعلقات الدنيا غير الضرورية، وذلك لتكون النية حسنة خالصة. وكل عمل زاد على ذلك الاقتصاد فهو عمل صادر عن نية سيئة وملوثة، وهذه القناعة لا يمكن أن تحصل بصورة عبثية، وإنما تحصل هذه القناعة

⁷ سورة النحل - آية 118.

من أجل الحصول على الجانب الآخر من الحياة بمعناها الأوسع، وهو الجانب الأخروي المرضي لله تعالى.

7- تحصيل الغفران: أي أن يقصد الفرد بعمله تحصيل غفران الله سبحانه وتعالى لذنوبه، وتحصيل ستر الله تعالى لعيوبه.

8- تحصيل الرضوان: أي أن يقصد الفرد بعمله تحصيل رضوان الله سبحانه وليس تحصيل الغفران فقط، كما في الوجه السابق، وذلك بسبب وضوح أن درجة الرضوان أعلى من درجة الغفران. وسيأتي عن قريب بعونه سبحانه معاني التقرب إلى الله سبحانه في النية، فيكون كل عمل قصد به الفرد أي معنى من معاني التقرب إلى الله سبحانه ذا نية حسنة أو خالصة، وبخلاف هذا القصد فيكون العمل ذا نية مشوبة أو سيئة.

الفقرة (3) العبادات بالمعنى الأعم

سؤال: ما معنى العبادات بالمعنى الأعم والعبادات بالمعنى الأخص؟

جواب: هنا نحوان من العبادات:

1- العبادات بالمعنى الأعم: وهي الأعمال التي لا يشترط في صحتها قصد القربة إلى الله تعالى، فتشمل جميع الأعمال الحسنة والنافعة للنفس وللآخرين بصورة عامة، ولكن إذا قصد من هذه الأعمال قصد القربة فستكون هذه الأعمال أفضل وأكمل.

2- العبادات بالمعنى الأخص: وهي الأعمال التي يشترط في صحتها قصد القربة إلى الله تعالى، كالصلاة والصوم وغيرهما. ومن دون قصد القربة تكون هذه الأعمال باطلة.

الفقرة (4) الدليل على ذلك

سؤال: ما الدليل على أن الأعمال الحسنة كلها عبادة مرضية لله عز وجل وإن لم يقصد الفرد بهذه الأعمال نية القربة بالتفات تفصيلي؟

جواب: من الأدلة على أن جميع الأعمال الحسنة عبادة مرضية لله عز وجل وان لم يقصد الفرد بهذه الأعمال نية التقرب إلى الله سبحانه نحو تفصيلي جملة الآيات القرآنية الدالة على أن الله سبحانه وتعالى على محبة الذين يعملون هذه الأعمال من قبل الله تعالى، وأمثلة ذلك:

- (يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)⁸.

- (يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)⁹.

- (يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)¹⁰.

- (يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)¹¹.

ولم يقيد الله تعالى بأن يكون التطهير أو القسط أو الإحسان بقصدٍ قربي أو بقصدٍ إلهي ملتفت إلى هذا القصد بنحو تفصيلي، بل يكفي في هذا العمل ألا يكون العمل بهدف سيء أو يكون العمل بنية مريية.

نعم إذا كان القصد القربي ملتفتاً إليه بنحو واضح ومبين، فهنا كان العمل أفضل وأكمل بلا أشكال.

الفقرة (5) معنى قصد القربة

سؤال: ما معنى نية قصد القربة؟.

جواب: نية قصد القربة إلى الله تعالى التي اشترطها الإسلام في صحة العبادات لها جملة من المعاني، ومن هذه المعاني:

1- التقرب المكاني.

⁸ سورة البقرة آية 222.

⁹ سورة آل عمران آية 76.

¹⁰ سورة آل عمران آية 134.

¹¹ سورة المائدة آية 42.

3- التقرب الرتبي.

4- التقرب المعنوي.

ولابد أن نستبعد من هذه المعاني الثلاثة الأولى من قصد التقرب المكاني أو الزماني أو الرتبي، وكل أمر ثبت بالدليل القطعي بأن الله سبحانه يجل عن الاتصاف به. إذن فالقربة بهذه المعاني غير مقصودة، وكل من قصد القربة فقصدته يكون باطلاً، ومن ثم تكون عباداته باطلة. وإنما يبدأ قصد القربى بمعناه الصحيح من الجانب المعنوي في المعنى الرابع، ويمكن انطباق هذا المعنى على عدة أمور ذكر أكثرها الفقهاء المتأخرون:

1- قصد الثواب الأخروي المتمثل بالجنة.

2- خوف العقاب الأخروي المتمثل بنار جهنم.

3- قصد الشكر على نعم الله تعالى التي لا تحصى.

4- قصد التقرب المعنوي إلى الله سبحانه بالتكامل إلى المقامات العليا.

5- قصد امتثال أمر الله التشريعي في الكتاب والسنة.

6- قصد تطبيق العبودية لله سبحانه.

7- قصد الحصول على رضا الله أو رضوان الله جل جلاله.

وهناك عدة أمور يمكن أن تكون تفسيراً لقصد القربة، ولكن يشكل صحة العبادة بهذه الأمور، بل لا إشكال من فساد وبطلان العبادة إن قصد الفرد بعض هذه الأمور على الرغم من أن هذا البعض هي مقاصد صحيحة بأنفسها، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه الأمور دخيلة في صحة العبادات بالمعنى الأخص، وذلك لحصول المنافاة بين قصد القربة بمعناه الصحيح المتقدم وبين هذه المعاني، ومن هذه الأمور:

1- قصد المصلحة الاجتماعية العامة، كما هو مبنى السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس.

- 2- قصد غفران الذنوب وقصد ستر العيوب.
- 3- قصد الحصول على الثواب الدنيوي كسعة الرزق وإطالة العمر.
- 4- قصد الحصول على الثواب المعنوي في الدنيا، كصفاء النية ونور الوجه، وحسن ظن الآخرين بالفرد.
- 5- قصد دفع واجتناب البلاء الدنيوي الذي ينزل أو يحصل عادة كعقاب مؤقت على الذنوب كالمرض أو الفقر.
- 6- قصد دفع واجتناب البلاء المعنوي في الدنيا، كسوء السريرة وظلام القلب أو الوجه أو سوء ظن الآخرين به.
- 7- قصد الشكر على نعمة معينة أنعمها الله تعالى. فإن هذه النعمة تكون عندئذ (صلاة شكر) وليست (صلاة ظهر).
- 8- قصد الحصول على نعمة معينة في الدنيا، كشفاء مريض أو عودة مسافر أو غيرها.
- 9- قصد الحصول على اثر دنيوي معين، كالرياضة في الصلاة والتنزه في الحج، وتنظيم الجهاز الهضمي في الصوم.

الفقرة (6) في قصد هدف معين للعبادة

سؤال: ما معنى قصد هدف معين للعبادة؟

جواب: دلت الآية الكريمة في قوله تعالى : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)¹². وغير هذه الآية على أن من قصد بعبادته هدفاً معيناً، فهنا سوف يحصل الفرد على هذا الهدف

¹² سورة الأحقاف آية 20.

المعين المقصود من العبادة، ولم يكن الفرد مستحقاً لما فوق هذا الهدف، بمعنى أن العطاء الإلهي والثواب الأخروي محدد ومقيد بمقدار القصد، وأمثلة ذلك:

- لو قصد الفرد من عبادته سعة الرزق، فهنا سيحصل لهذا الفرد سعة الرزق في الدنيا، ولم يكن لهذا الفرد الثواب في الآخرة.

- لو قصد الفرد في تأليف كتابه السمعة، فهنا سيحصل لهذا الفرد السمعة في الدنيا، ولم يكن لهذا الفرد الثواب الآخرة.

وأما سبب عدم نيل هذا الفرد الثواب الأخروي فلأنه يقال لهذا الفرد في يوم القيامة أنك كما في الآية المتقدمة أذهبت ثواب أعمالك في الدنيا واستمتعت بهذا الثواب فليس لك في الآخرة أي ثواب، فيثبت تحديد العطاء الإلهي بمقدار القصد من الفرد.

ومن هنا فقد يكون من الأرجح والأفضل للفرد المؤمن أن يدع طلب مقدار ثوابه على عمله الصالح، وإنما يوكل مقدار الثواب إلى رحمة الله سبحانه التي وسعت كل شيء، والتي لا نهاية لهذه الرحمة الإلهية، كما لا نهاية لكرم الله سبحانه، ولا مانع لعطاء الله سبحانه.

الفقرة (7) في ثواب الأدعية والأحراز

سؤال: هل الأدعية والأحراز والأذكار من العبادات؟

يوجد هناك الكثير من الأدعية والأحراز وردت للحصول من أجل الحصول على نتائج دنيوية، وأمثلة ذلك:

- شفاء مريض.

- إطلاق أسير.

- سعة رزق.

- طول عمر.

فهنا هل تكون هذه الأدعية من العبادات باعتبار كون الهدف من هذه الأدعية ذكراً لله واستجارة بالله، أو لا تكون هذه الأدعية من العبادات باعتبار كون الهدف دنيوياً خالصاً؟. ويمكن أن يقال في مقام الجواب عدة أمور، ومنها أمور ثلاثة:

1- إننا لو سلمنا طبقاً لما تقدم في الفقرة السابقة من دلالة الآية الكريمة في قوله تعالى (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)¹³. على تحديد العطاء الإلهي بمقدار القصد وفوات الثواب الأخروي، فهنا إن كان القصد من الدعاء دنيوياً، فهنا لم يعط الفرد من العطاء الأخروي شيئاً، والمفروض أن القصد هنا دنيوي، فإن كان الدعاء مستجاباً فقد حصل المطلوب من القصد الدنيوي، ولم يستحق الفرد شيئاً من الثواب الأخروي.

2- إن النتائج الجيدة من الأدعية والأذكار غير منحصرة بجانب واحد، بل قد تتعدد جوانب هذه النتائج الدنيوية، وتكون جميع هذه الجوانب ذات فوائد للفرد. فإن كان الثواب الأخروي قد فات بحصول النتيجة الدنيوية، فهنا ليس معنى هذا الفوات انحصار الفائدة بتلك النتيجة الدنيوية، وإنما يمكن للأدعية أن تكون لها نتائج أخرى غير دنيوية من حيث كون هذه الأدعية ذكراً لله سبحانه وتوكلنا على الله وتوسلاً بالله، فتنتج هذه الأدعية فوائد نفسية وتربوية عديدة.

3- أنه يمكن القول بأن الأدعية والأحراز إنما وجدت من أجل التغيير النفسي للفرد الداعي مقدمة لحصول الحاجة، وذلك لأن الأسباب الطبيعية مهما كانت مهمة فإن الفاعل الحقيقي هو سبب ومسبب الأسباب جل جلاله. ولا يكون أي شيء من هذه الأسباب الطبيعية إلا بمشيئة الله وإرادة الله. ولا تقضى الحاجات إلا بالتوجه الحقيقي لله تعالى. وهذا ما تريد الأحراز والأذكار الإيحاء به والتأكيد عليه حتى يحصل من الفرد التغيير النفسي من خلال الانقطاع بالطمع والحاجة إلى الله عز وجل، والانصراف عن الأسباب الطبيعية. وإذا حصل مثل هذا الانقطاع، فهنا حصلت الاستجابة كما هو الموعود والمجرب من قبل الداعين لله والمتوسلين بالله.

الفقرة (8) الطاعة الباطنية

¹³ سورة الأحقاف آية 20.

جواب: هنا نحوان من الطاعات والمعاصي:

النحو الأول: الطاعات والمعاصي الظاهرية: وهي ما يخص العمل الجسدي للإنسان، وفيها مستويان:

1- الطاعات الظاهرية: هي إطاعة الأوامر والنواهي والمرجحات الشرعية الظاهرية كالصلاة والصوم والصدقة. وغيرها كثير.

2- المعاصي الظاهرية: هي عصيان تلك الأوامر والنواهي، كشرب الخمر والكذب والغيبة والزنا.

النحو الثاني: الطاعات والمعاصي الباطنية: وهي ما يخص العمل النفسي أو العمل القلبي للإنسان، وليس لهذا العمل اثر مباشر على الجسد، وفيها مستويان:

1- الطاعات الباطنية: كالإخلاص والصبر والتوكل والتوحيد وغيرها.

2- المعاصي الباطنية: ما يقابل ذلك كالحسد والجشع والرغبة في الحرام والشرك وغير ذلك.

وإذا عرفنا أن العبادات والطاعات الظاهرية تنتج من الفرد كفرد ذي نفس وقلب وعقل، أي إن هذه العبادات ناتجة من المحتوى الباطني للإنسان. فقد أصبح المحتوى الباطني سببا وعلّة والعقل الظاهري مسببا ومعلولاً. فهنا يكون العمل الظاهري محدداً وناتجاً من العمل الباطني للإنسان، ومثاله:

- الحرارة تزيد عند زيادة النار، وتضعف الحرارة عند قلة النار، فهنا النار سبب للحرارة.

- الصلاة قد تصدر بإخلاص كبير، وقد تصدر الصلاة بإخلاص قليل، كما قد تصدر الصلاة بخشوع كثير، وقد توجد الصلاة بخشوع قليل. وهكذا.

إذن، فالجزء الأهم والأوكد من العمل سواء على مستوى الطاعات أو على مستوى المعاصي إنما هو العمل الباطني، وأما العمل الظاهري مهما كان لطيفاً ومحترماً فإنما يتحدد بالباطن، ويدل على ذلك من الآيات والروايات:

- قولهم عليهم السلام: (إن الله سبحانه لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم)¹⁴.
- قولهم عليهم السلام: (نية المؤمن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله)¹⁵.
- قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)¹⁶.

الفقرة (9) معنى التوحيد

سؤال: ما معنى التوحيد ؟.

جواب: التوحيد من جملة الطاعات القلبية الباطنية الداخلية، بل التوحيد من أعظم الطاعات على الإطلاق. ويقابل التوحيد الشرك، والشرك من أعظم المعاصي القلبية الباطنية الداخلية على الإطلاق. ومن هنا ورد في بعض الأدعية: (رب إنني أطعك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في ابغض الأشياء إليك وهو الشرك)¹⁷. وللتوحيد مراتب عديدة يتلقى الإنسان من هذه المراتب بمقدار ما يستحق أو يتحملها، ويقابل التوحيد الشرك فإن للشرك مراتب عديدة بتفصيل آت. واهم تقسيم جامع لدرجات التوحيد هو تقسيم هذه الدرجات الرباعي المشهور عند علماء الكلام:

1. التوحيد الساذج: وهو الاعتقاد بنفي الشريك المماثل لذاته سبحانه في الذات والصفات، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء في الذات والصفات. ومن هنا يكون الخلق والرزق والقدرة وغيرها من الصفات منحصرة به تعالى، ومع هذا التوحيد تكون أهلية العبادة منحصرة به تعالى. فلا تجوز العبادة لغيره تعالى كائنا من كان.

¹⁴ مستدرک الوسائل ج 2 الباب 20 من أبواب جهاد النفس حديث 6 ص 299.

¹⁵ الوسائل ج 1 م 1 الباب 6 من أبواب مقدمة العبادات حديث 3.

¹⁶ سورة البقرة آية 204.

¹⁷ مفتاح الجنان للشيخ عباس القمي ص 114.

2. التوحيد في الأفعال: وهو الاعتقاد بأنه لا فاعل حقيقي إلا الله سبحانه, فإن الله سبحانه له التأثير الحقيقي في الخلق سواء كان ذلك التأثير على المستوى الطبيعي من الأسباب الطبيعية, ومثاله:

- هو الذي يوجد النار, ثم يوجد حرارة النار.

- هو الذي يوجد الماء, ثم يوجد برودة الماء.

- هو الذي يزجي سحابة, ثم يوجد البرق أو المطر.

فإن الفاعل والمؤثر الحقيقي لهذه المذكورات لهو الله سبحانه, وكذلك كان ذلك التأثير على المستوى الاختياري مما يفعله أفراد الناس من خير وشر تجاه الآخرين. فما وصلك من أي الخلق من أي أنحاء التأثير فإنما هو بقضاء الله وقدر الله. ولم يكن ذاك قادرا على التأثير لولا قدرة الله سبحانه.

3. التوحيد في الصفات: وهو الاعتقاد بأن كل صفات المخلوقين إنما هي ظلال وناشئة ومسببة من صفات الله سبحانه, ومثاله:

- صفة عطاء أي شخص مخلوق فهي من عطاء الله سبحانه.

- صفة رحمة أي شخص فهي من رحمة الله.

- صفة كرم أي شخص فهي من كرم الله.

- صفة غضب أي شخص فهي من غضب الله.

- صفة انتقام أي شخص فهي من انتقام الله.

- صفة مكر أي شخص من مكر الله.

وفرق هذا القسم عن القسم السابق هو أن النظر هناك في القسم السابق كان إلى الأعمال الناجزة الظاهرة, بينما النظر هنا في هذا القسم إلى الصفات الباطنة.

4. التوحيد في الذات: وهو الاعتقاد بأن الوجود كله راجع إلى فيض وجود الله سبحانه، والوجود من أنوار الله، والوجود من ظلال الله، والوجود من آثار رحمة الله. ويدل على ذلك جملة من الآيات، ومنها:

- (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ¹⁸.

- (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ¹⁹.

- (هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) ²⁰.

الفقرة (10) معاني الشرك

سؤال: ما هي معاني الشرك؟

جواب: معاني ومراتب الشرك أربعة تقابل مراتب التوحيد المتقدمة، والشرك يعني اعتقاد أو توهم الاستقلال عن الله سبحانه وتعالى أعاذنا الله تعالى من كل سوء وضلال، فهنا مراتب أربعة:

1- الشرك في الذات: وهو الاعتقاد بوجود شيء مستقل بوجوده وذاته عن الله سبحانه. أو الاعتقاد بأن كل الوجود مستقل بوجوده وذاته عن الله سبحانه.

2- الشرك في الصفات: وهو الاعتقاد بوجود صفة مستقلة عن صفات الله تعالى.

3- الشرك في الأفعال: وهو الاعتقاد بتأثير مستقل على مستوى الأفعال عن تسبيب الله تعالى.

وهذه الأنواع الثلاثة من الشرك الخفي، وذلك لأن هذا الشرك لا يكون ملتفتاً إليه ولا متعمداً من قبل الأفراد العاديين.

¹⁸ سورة البقرة آية 117.

¹⁹ سورة النور آية 35.

²⁰ سورة الأنعام آية 3.

4- الشرك الجلي: ويقابل النوع الأول من التوحيد الساذج، وهذا الشرك على أنواع:

أولاً: شرك التعطيل: وهو الاعتقاد بعدم وجود أي خالق لهذا الكون الموجود.

ثانياً: شرك الخالق: وهو الاعتقاد بوجود خالق غير الله سبحانه.

ثالثاً: شرك وجود إلهين: وهو الاعتقاد بوجود إلهين.

رابعاً: شرك تعدد الآلهة: وهو الاعتقاد بوجود عدد من الآلهة.

خامساً: شرك تعدد الذات أو تعدد الصفات: وهو الاعتقاد بتعدد الذات الإلهية أو الصفات، ومن هذا النوع قولان:

- قول النصارى بالإيمان بالأب والابن وروح القدس التي تعود في نظرهم إلى تقسيم الذات الإلهية.

- قول الأشاعرة بقدّم الصفات الثمانية – الوجود، الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام - بإزاء قدّم الذات منذ الأزل.

سادساً: الشرك في العبادات: وهو الاعتقاد بوجود معبود غير الله سبحانه يستحق العبادات، وأمثلة ذلك:

- عبادة بعض الأجرام السماوية كمثل الشمس.

- عبادة بعض الحيوانات كمثل البقر.

سابعاً: شرك الطاعة: وهو الاعتقاد بلزوم طاعة مستقلة عن طاعة الله عز وجل، أو طاعة غير من أمر الله سبحانه بطاعته. وأمثلة ذلك:

- عبادة الشياطين، أي طاعة الشياطين كما في قوله تعالى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)²¹ وكذلك قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)²². حيث ورد في تفسير هذه

²¹ سورة الأنعام آية 121.

²² سورة التوبة آية 31.

الآية أنهم أطاعوهم في عصيانه سبحانه. وكذلك قال الله سبحانه: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)²³.

- عبادة الطواغيت, أي طاعة الطواغيت والظالمين, كما قال الله سبحانه: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)²⁴.

- عبادة الهوى والشهوة, أي السير على طبق متطلبات الهوى والشهوة, كما قال الله سبحانه: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)²⁵ وقال تعالى: (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)²⁶.

وهذا النوع وان اعتبرناه من (الشرك الجلي) إلا انه مشروط ومقيد بما يصدر عن قناعة واعتقاد، وأما مع الالتزام عن قناعة واعتقاد بطاعة الله ولكن قد ينزلق الفرد لطاعة غير الله تعالى، فهنا يكون هذا النوع من أقسام الشرك الخفي المتقدمة.

الفقرة (11) معنى عدم غفران الشرك

سؤال: ما معنى عدم غفران الشرك بالله تعالى؟

جواب: قد يقع السؤال حول دلالة قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)²⁷. الدال على عدم غفران معصية الشرك بالله تعالى وبين ما دل على غفران معصية الشرك, ومن هذه الأدلة دليان:

الأول: أدلة التوبة الموثقة في الكتاب والسنة, ومن ذلك ما روي عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : (هو الذنب الذي لا

²³ سورة يس آية 60.

²⁴ سورة يوسف آية 40.

²⁵ سورة الجاثية - آية 23.

²⁶ سورة الأعراف - آية 176. والكهف - آية 28. وطه - آية 16. والقصاص - آية 50.

²⁷ سورة النساء - آية 116.

يعود فيه أبداً)، قلت: وأينا لم يعد؟ فقال: (يا أبا محمد إن الله يحب من عباده المفتن التواب)

والثاني: سيرة النبي صلى الله عليه وآله في قبول إسلام المشركين من قريش. فإن من المشركين من أسلم وحسن إسلامه، وقد ورد: (إن الإسلام يجب ما قلبه)²⁹.

فهنا يقع التعارض والمنافاة بين هذه الأدلة الدالة على عدم غفران الشرك، وبين دلالة الآية المتقدمة على عدم غفران الشرك، ويمكن الجواب على هذا التعارض بوجه، ومنها ثلاثة:

1- إن عدم غفران معصية الشرك خاص بصورة الموت على الشرك، فمن مات مشركاً، فهنا حشر هذا المشرك الميت على ما مات عليه من الشرك، ولم يغفر الله سبحانه له شركه.

2- أن المقصود من الغفران في قوله: (لا يغفر) درجة عالية من الغفران مساوية ومساوقة لدرجة الرضوان العالية، فيكون المعنى في الآية: إن الله تعالى يغفر للمشرك مع التوبة بدرجة قليلة من المغفرة، ولكن الله تعالى لا يغفر للمشرك بدرجة عالية تبلغه درجة الرضوان، ولو مع حصول التوبة.

وهذا المعنى من غفران الشرك يشبه غفران الظلم باعتبار ما فهمه مشهور الإمامية من قوله تعالى: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)³⁰. من حيث المقصود من الظلم هو درجة عالية، فمن كان ظالماً ومشركاً ولو زمنياً قليلاً في حياته، فهنا هذا الظالم لا ينال عهد الله سبحانه، وولاية الله تعالى، ولو مع حصول التوبة، وذلك لأن الظلم خلال الحياة يجعل القلب والنفس بحالة متدنية بحيث لا يستحق الظالم نجاز الوعد من الله سبحانه. فكذا القول في غفران الشرك، فإن من أشرك بالله ولو قليلاً من الزمن، فإن هذا الشرك يجعل قلبه ونفسه في درجة متدنية بحيث لا يستحق المشرك نيل درجة الرضوان.

²⁸ سورة البقرة آية 275، الوسائل باب 86 وجوب التوبة، ح 4.

²⁹ مجمع البحرين ج 2 ص 21. مادة (جيب).

³⁰ سورة البقرة - آية 124.

3- أن المقصود من الآية الكريمة معنى حيثي أو معنى نسبي، فيكون المعنى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ما دام الفرد مشركاً. أو مادام الفرد غير تائب، فمع زوال هذا الشرك بحصول التوبة، فهنا تحصل درجة الغفران.

الفقرة (12) هل إن الفضيلة وسط بين رذيلتين؟

سؤال: هل إن الفضيلة الأخلاقية تقع وسطاً بين رذيلتين أخلاقيتين؟

جواب: ما يقوله علماء الأخلاق من وقوع الفضيلة وسط بين رذيلتين، ومثاله³¹:

- فضيلة الكرم وسط بين رذيلة البخل وبين رذيلة التبذير.

- فضيلة الشجاعة وسط بين رذيلة الجبن وبين رذيلة التهور.

فهنا هذا القول وإن كان له وجه لطيف في الذوق على مستوى علم الأخلاق إلا أن هذا القول مع ذلك قابل للمناقشة من عدة وجوه، ومنها وجوه:

1- إن هذا التقسيم الثلاثي في الصفات مبني على أن الفضيلة إن قلت عن حدها واعتدالها، فهنا أصبحت الفضيلة رذيلة، وكذلك إن زادت الفضيلة زيادة مفرطة، فهنا أصبحت الفضيلة رذيلة، ومثاله:

- رذيلة البخل تعني قلة في العطاء، زرذيلة التبذير تعني زيادة في العطاء، فالبخل والتبذير رذيلتان بينهما فضيلة الكرم التي تعني الاعتدال بين البخل وبين الكرم.

إلا أننا لو استقرأنا وتتبعنا الصفات الفاضلة والحسنة لم نجد لها كلها مما يقبل الزيادة والنقصان بحيث تنقلب إلى رذائل سيئة، ومثاله:

³¹ المعروف عند علماء الأخلاق بتسمية هذه الوسطية بنظرية الاوساط والاطراف، أو الوسط والاطراف. والمقصود بالاوساط أو الوسط هو الفضائل الأخلاقية، وأما المقصود بالاطراف هو الرذائل الاخلاقية. ووجه التسمية بالوسط والطرف هو أنهم شبهوا الفضائل والرذائل بنقط الدائرة، فمركز ووسط الدائرة هو الفضيلة، والباقي من نقاط الدائرة وأطرافها هو الرذائل غير المتناهية.

- بعض الصفات مما لا تخل به الزيادة ولا تتصف بالنقصان، كالإيمان والصبر واليقين والشكر والعافية.

- بعض الصفات مما لا يضرها النقص، كالصدقة والرحمة والموعظة والإتقان.

2- إن هذه السلسلة الثلاثية في الصفات التي ذكرها علماء الأخلاق قد لا تكون هذه السلسلة الثلاثية منظورة من زاوية واحدة، فلا تكون هذه السلسلة الثلاثية داخلة في معنى مشترك بحيث يكون قليله وكثيره مبعوضاً، ويكون وسطه محموداً، ومثاله:

- الجبن وإن كان معناه هو عدم الشجاعة، إلا أن التهور ليس هو الزيادة في الشجاعة.

- البخل وإن كان معناه هو عدم الكرم، إلا أن التبذير ليس هو الزيادة في الكرم.

- الجبن والشجاعة يشتركان في مواجهة الأعداء من البشر، ولكن التهور غير مرتبط بهذه المواجهة، بل التهور معناه هو إلقاء النفس في أية صعوبة شديدة، سواء كانت الصعوبة طبيعية كالنار أو صعوبة حيوانية كالمسبعة أو صعوبة بشرية كالأعداء.

- البخل والكرم يشتركان في مواجهة الآخرين بالعطاء، إلا أن التبذير لا يرتبط بهذه المواجهة للآخرين أصلاً، بل التبذير هو زيادة الصرف المالي على النفس.

3- إننا لو سلمنا أن يكون لكل من هذه الأمور المذكورة في السلسلة الثلاثية زيادة ونقصان ومع ذلك التسليم فلا يؤول زيادة أحدهما أو نقص أحدهما إلى المفهوم الآخر، ومثاله:

- لو سلمنا زيادة الجبن وقتله إلا أن قلة الجبن ليس شجاعة.

- لو سلمنا زيادة الشجاعة وقتلتها إلا زيادة الشجاعة ليست تهوراً.

- لو سلمنا زيادة التهور وقتله إلا قلة التهور ليس شجاعة.

ولو كان الأمر كما قال الأخلاقيون من لزوم الترتيب الثلاثي، فهنا يلزم من ترتيب الأخلاقيين لزوم زيادة أحد الصفات يؤدي إلى نقصان الصفات الأخرى، والحال عدم صحة هذا اللزوم كما تقدم.

4- إن العقل يقيس التصرف الإنساني إلى قيمة ومضمون أهداف هذا التصرف من حيث كون الأهداف حقاً أو باطلاً، فإن كانت الأهداف حقاً، فهنا أعطى العقل الأهداف صفة حسنة وإن كانت الأهداف باطلاً، فهنا أعطى العقل الأهداف صفة سيئة، ومثاله:

- يرى العقل السلبية وقلة المبالاة تجاه هدف معين، فإن كان ذاك الهدف حقاً، فهنا اسمى العقل الهدف جبناً. وإن كان الهدف باطلاً، فهنا اسمى العقل الهدف حذراً واحتراساً.

- يرى العقل زيادة الفعالية تجاه هدف معين فإن كان الهدف باطلاً، فهنا اسمى العقل الهدف تهوراً، وإن كان الهدف حقاً، فهنا اسمى العقل الهدف إقداماً واقتحاماً.

- يرى العقل عدم العطاء أو قلته، فإن كان قلة العطاء باطلاً، فهنا اسمى العقل قلة العطاء بخلاً، وإن كان قلة العطاء حقاً، فهنا اسمى العقل قلة العطاء صوناً ورشداً.

- يرى العقل كثرة العطاء المتزايد، فإن كان كثرة العطاء بالباطل، فهنا اسمى العقل كثرة العطاء تبذيراً وخرقاً، وإن كان كثرة العطاء بالحق، فهنا اسمى العقل كثرة العطاء كرمًا وإسباغاً.

ومن هنا نرى الصفة الأخلاقية تتحدد بمقدار قيمة الهدف، فإذا اختلف شخصان اثنان في تقييم الهدف، فهنا أمكن أن يكون للفعل الواحد في نظر هذين الشخصين اسمان مختلفان ناشئان من قيمتين مختلفتين بحسب اختلاف النظرة، فهذا الشخص في نظره شجاعة، وذاك الشخص في نظره تهور. وهذا الشخص في نظره كرم، وذاك الشخص في نظره تبذير.

ثم إن الضابط والميزان في تقييم الأهداف لدينا كمتدينين إنما هو في المسار أو الاتجاه الديني الإسلامي، فما حسنه الدين الإسلامي من أهداف فهو الحسن، وما قبحه الدين الإسلامي من أهداف فهو الرديء، ومثاله:

- أن عمل الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية ليس هذا العمل جبناً، وإنما عمل شجاع.

- أن عمل الإمام الحسين عليه السلام في حربه مع يزيد ليس هذا العمل تهوراً، وإنما عمل شجاع.

مع انه يمكن أن يكون هذا العمل في ضمن المسار أو الاتجاه الدنيوي متصفا بتلك الصفات من الجبن والتهور، أعاذنا الله تعالى من الزلل والخطل.

الفقرة (13) الرياء

سؤال: ما الفرق بين الرياء والإخلاص؟

جواب: الرياء من أهم العيوب التي ذكرها الفقهاء للعبادة الموجبة لبطلان العبادة، ويقابل الرياء الإخلاص. والفرق بين الرياء والإخلاص بحسب فهم المصنف قدس هو في إعطاء الأهمية أو في الاهتمام بأحد أمرين لا ثالث لهما: أما الله، وأما غير الله من حيث استهداف الاطلاع والرضا وزوال العائبة والنقمة، فهنا مفهومان:

1- الإخلاص: وهو أن يكون العمل خاصاً بالله في نظر الفرد. بمعنى أن يكون هنا الاهتمام بالله فقط من حيث اطلاع الله على العمل، ورضا الله عن العمل، واندفاع نقمة وغضب الله مع إسقاط غير الله عن الأهمية في نظر الفرد.

2- الرياء: وهو أن يكون العمل مشتركاً بين الله وبين غير الله، فضلاً عما إذا كان العمل خاصاً بغير الله. بمعنى أن يكون هنا الاهتمام بغير الله من حيث الاطلاع والرضا والاندفاع مع إسقاط الله عن الأهمية في نظر الفرد، والعياذ بالله. فهذا هو أعظم درجات الرياء. وبهذا يكون العمل لغير الله تماماً. وقد يكون الاهتمام موزعاً بين الله وبين خلق الله من حيث رغبة ومودة الفرد في أن يره الله والناس متعبداً أو محسناً أو عالماً، وغير ذلك. فهذا أيضاً من الرياء. ومن الروايات الواردة في الرياء:

- قولهم عليهم السلام: (إن الرياء من الشرك)³²، وذلك لأن الرياء يحتوى على الاشتراك في اهتمام الفرد بين الله وبين خلق الله مع انه يجب على الفرد أن يبدل هذا الاهتمام بالإخلاص والتمحض بالاهتمام بالهدف الإلهي الخالص، فيصح العمل.

³²الوسائل ج 2 م 3- الباب 2 من أبواب اعداد الفرائض - حديث 2.

- قول الله تعالى في الحديث القدسي: (إني أفضل الشريكين، فمن عمل لي ولغيري أوكلته لغيري)³³. وهذا معناه انه لا يمكن أن ينال العمل القبول إلا العمل المخلص تماما. فان كان في العمل شائبة الغير، فهنا كان العمل بمنزلة من عمل العمل كله للغير، فيبطل العمل.

- قولهم عليهم السلام: (خذ جزائك ممن عملت له)³⁴. وهذا معناه ان كان عمل الفرد لله مخلصا، فهنا يكون جزاء الفرد على الله سبحانه، فيحصل الفرد على الجزاء. وان كان عمل الفرد لغير الله، فهنا يكون جزاء الفرد على ذلك الغير، فلا يحصل الفرد على الجزاء. وكذلك لو عمل الفرد بالاهتمام المشترك بين الله وبين خلق الله، فهنا يكون جزاء الفرد على الطرف الآخر فيما لو كان الطرف الآخر معطيا شيئا. وذلك لسببين:

أولا: لما تقدم في قولهم عليهم السلام: (من عمل لغيري أوكلته إليه).

وثانيا: لما تقدم في فقرة قصد هدف معين للعبادة من أن من عمل عبادة أو عمل حسنة لهدف دنيوي، فهنا أعطي العامل ذلك الهدف الدنيوي، ولم يكن الفرد مستحقا في الآخرة لأي ثواب.

ثم إن أغلب أشكال الرياء بالمعنى المتقدم هو من أقسام الشرك الخفي وليس من الشرك الجلي، وذلك لأن الرياء ليس من الشرك في العبادة، وإنما الرياء من الشرك في الطاعة، وقد عتقد أن الشرك في الطاعة من أقسام الشرك الخفي بشرط أن يكون هذا النحو من الشرك مستمرا وحاصلا عن قناعة والتزام، فإن كان الشرك عن قناعة والتزام، فهنا يكون هذا الشرك من الشرك الجلي.

الفقرة (14) مراتب الرياء

سؤال: ما هي مراتب وأقسام الرياء؟

جواب: مراتب وأقسام الرياء كثيرة، ويمكن تقسيم الرياء من ناحيتين:

³³الوسائل ج 2 م 3- الباب 2- من أبواب اعداد الفرائض- حديث 6.

³⁴ ثواب الأعمال للصدوق- ص 255.

الناحية الأولى: من حيث الداعي النفسي الذاتي, وفيها أقسام خمسة:

- 1- أن يكون الداعي النفسي تاماً لغير الله.
- 2- أن يكون الداعي النفسي لغير الله هو الأرجح.
- 3- أن يكون الداعي النفسي لغير الله هو المساوي.
- 4- أن يكون الداعي النفسي لغير الله هو المرجوح.
- 5- أن يكون الداعي النفسي لغير الله دون المرجوح.

الناحية الثانية: من حيث الداعي الخارج عن الذات, وفيه أقسام أربعة:

- 1- أن يكون الداعي الخارجي هو الأسباب الطبيعية.
- 2- أن يكون الداعي الخارجي هو النفس.
- 3- أن يكون الداعي الخارجي هو الناس أو المجتمع.
- 4- أن يكون الداعي الخارجي هو المخلوقات الأخرى كالملائكة والجن.

ومجموع هذه الأقسام في كلا الناحيتين هو عشرين قسماً, وأما التمثيل لهذه الأقسام فمنه:

- اشتراك الأسباب الطبيعية في العبادة، كالحصول على الارتياح النفسي أو التبريد لدى الحر، أو التدفئة لدى البرد أو الحصول على سعة المال أو طول العمر كنتيجة لهذه العبادة.

- اشتراك النفس في العبادة، يعنى استهداف نمو أو زيادة بعض صفات النفس الدنيوية كالعلم والشجاعة والصفاء أو القدرة على الخوارق أو حتى طول العمر أو قوة البصر أو قوة الذاكرة ونحو ذلك. وهناك صفات أخروية كصفاء القلب والتكامل المعنوي وزيادة الخشوع والتواضع وغيرها، فهنا لا إشكال في صحة هذه الصفات، وعدم إبطال هذه الصفات للعبادة، وإنما يبدأ (الشرك الخفي) من حيث استهداف أمور دنيوية في ذلك. فقد يكون الداعي هو الأهم، وقد يكون الداعي هو المساوي، وقد يكون الداعي هو الأضعف بتفصيل تقدم.

- اشتراك الناس في العبادة، فهذا لا يختلف فيه بين الفرد والجماعة والمجتمع. كما لا يختلف فيه بين القصد السيئة كالخداع، والقصد الصالحة كالتعليم، فهنا لا إشكال عدم صحة هذه الصفات وإبطال وإخلال هذه الصفات بالعبادة فيما إذا كانت هي الداعي الأهم أو المساوي بتفصيل آت.

- اشتراك المخلوقات الأخرى في العبادة، ممن قد يعتقد الفرد بأن هذه المخلوقات يرون ويسمعون، فيؤدي الفرد العبادة من أجل تحصيل رضا هذه المخلوقات، فهنا لا إشكال في عدم صحة هذه الصفات وإبطال وإخلال هذه الصفات بالعبادة فيما إذا كانت هي الداعي الأهم أو الداعي المساوي بتفصيل آت.

ثم إن مشهور الفقهاء من ناحية قوة الداعي في صحة العبادة وإبطالها اشتراطوا شرطاً في صحة العبادة وهو أن يكون الداعي للعبادة هو الداعي الإلهي أو الطاعة الصحيحة، سواء في حال وجود هذه العبادة أو في حال عدم وجود هذه العبادة. وسواء انضم إلى العبادة داعي آخر غير إلهي أم لم ينضم إلى العبادة داعي آخر. وبهذا الشرط المشهور نعرف أن الأقسام السابقة للرياء تكون مخلة ومبطلّة للعبادة، وذلك لأن هذه الأقسام مما لا يتوفر فيها شرط صحة العبادة، وهو أن تكون العبادة لغير الله محضاً من الأسباب الطبيعية أو الناس أو غيرها. وكذلك إذا انضم إليها جملة من الدواعي والتأثيرات، ومنها:

1- إذا كان الداعي الإلهي موجوداً ولكن كان الداعي الآخر غير الإلهي أقوى من الداعي الإلهي، فهنا نحكم ببطلان العبادة.

2- إذا كان الداعيان الإلهي وغير الإلهي متساويين، لأن هذا التساوي يعني اشتراك الداعيين في إيجاد العمل، بحيث لو كان أحد الداعيين وحده بما فيها الداعي الإلهي لم يكن سبباً كافياً لوجود العبادة. وهذا معناه عدم توفر الشرط الأساسي لصحة العبادة الذي ذكرناه، فهنا نحكم ببطلان العبادة.

3- إذا كان الداعي الآخر غير الإلهي أضعف من الداعي الإلهي، إلا أن الداعي الإلهي وحده لم يكن مؤثراً كافياً في صحة العبادة، فهنا نحكم ببطلان العبادة.

وأما ما دون ذلك من الدواعي والتأثيرات التي تعني كفاية الداعي الإلهي في وجود العبادة، فهنا نحكم بصحة العبادة سواء انضم إلى العبادة داعي ضعيف أو داعي ضعيف جداً أو كان الداعي

لمجرد السرور برؤية الآخرين، أو كان الداعي مجرد تحصيل الراحة ضمناً من السبب الطبيعي مثلاً، وهكذا، فهنا نحكم بصحة العبادة من الناحية الفقهية، ولكن من الناحية الأخلاقية نحكم بكون هذه العبادة من (الشرك الخفي) بسبب اخلال هذه العبادة بالإخلاص الكامل لله سبحانه وتعالى.

بقي أن نشير إلى أن جميع هذه الأقسام المتقدمة للرياء وإن اشتركت في النظرية الفقهية العامة، إلا أن جميع هذه الأقسام لا ينطبق عليها مفهوم الرياء، بل ينطبق مفهوم الرياء على بعض هذه الأقسام فقط، ومن الأقسام التي لا ينطبق مفهوم الرياء عليها ما يلي:

أولاً: إذا كان الداعي الآخر من الأسباب الطبيعية.

ثانياً: إذا كان الداعي هو تربية النفس تربية أخروية.

ثالثاً: إذا كان الداعي هو تربية النفس تربية دنيوية.

فهنا نحكم ببطلان العبادة في هذه المذكورات، ولكن هذه الأقسام لا تحتوي على الاهتمام برؤية الآخرين، فتخرج من أقسام الرياء. وأما رؤية المخلوقات الأخرى كالجن، فهنا لم يتعرض الفقهاء لبيان حكم هذا القسم، وحكمه عند المصنف قدس هو أنه من أقسام الرياء، وذلك بسبب احتواء هذا القسم على الاهتمام برؤية الآخرين من الذوات العاقلة المدركة خارج ذاته، وهذا الفرد ممن يعتقد ويهتم بحصول وتحقيق هذه الرؤية، فيدخل هذا القسم بأقسام الرياء.

الفقرة (15) بعض أقسام الرياء

سؤال: ما هي أقسام الرياء الأخرى؟

جواب: قسم الفقهاء الرياء إلى تقسيمين آخرين مضافاً إلى الأقسام المتقدمة من ناحيتين:

الناحية الأولى: من حيث كون الرياء في كل العبادات أو جزء العبادة الواجب أو جزء العبادة المستحب أو هيئة العبادة الواجبة أو هيئة العبادة المستحبة، فهنا تفصيل:

1- لو وقع الرياء في العبادة الواجبة، فهنا نحكم ببطلان العبادة سواء وقع الرياء في جزء العبادة الواجب أو جزء جزء العبادة، ولو كان هذا جزء الجزء حراً واجباً أو حركة واجبة.

2- لو وقع الرياء في المستحب، فهنا نحكم بصحة العبادة سواء كان المستحب جزءاً كزيادة الذكر في الركوع والسجود، أو كان المستحب هيئة كإظهار الخشوع.

نعم لو كان مصداق تحقق الرياء هو مصداق الواجب، كقراءة السور الطويلة بدل قراءة السورة القصيرة في الصلاة مع أن أصل قراءة السورة لداعٍ إلهي إلا أن طول قراءة السورة لداعٍ غير إلهي ريائي. غير أن الحاصل خارجاً أن اختيار السورة الطويلة كان أساساً لداعٍ ريائي. وأما قصد أصل قراءة السورة، فهنا تفصيل:

أولاً: إن كان القصد منطبقاً على نفس السورة، فهنا يكون المصداقان من مصداق الرياء ومصداق الواجب مصداقاً واحداً لقصدين مختلفين تامين، وهو محل إشكال في الصحة من الناحية الفقهية، وإن قال بعض الفقهاء بصحته.

وثانياً: إن كان القصد منطبقاً على غير السورة، فهنا هذا القصد مما ليس له وجود.

الناحية الثانية: من حيث كون الرياء راجحاً بل واجباً، ومثاله:

- التجلل أمام الإخوان.

- إذلال الفرد نفسه.

- إكرام الضيف.

- إقامة المآتم في وفيات المعصومين عليهم السلام.

- قضاء حاجة المحتاجين.

فهنا هذا الرجحان والوجوب للرياء في هذه المذكورات يكون سبباً وعلّة لمعنى إرائة ورؤية الناس فعلاً أو تركاً للعمل، فيكون الرجحان والوجوب مندرجاً في الرياء بمعناه الواسع. إلا أنه يمكن القول بخروج هذا الرجحان والوجوب من الرياء من حيث إن مثل هذه المذكورات في الأمثلة وإن وجدت من أجل رؤية الآخرين للعمل، ولكنها بالحقيقة ليس بداعي الرؤية بل بداعي الاستحباب الشرعي. ومن هنا يمكن القول بأنها ليس برياء، لأن معنى الرياء هو الإراءة للآخرين

منفصلاً عن الناحية الشرعية وعن القصد الإلهي. وهذا المورد ليس كذلك بحسب الفرض. ومن الواضح أن هذه المذكورات فيها نحو من التفصيل:

1- إن كانت هذه المذكورات بداعي دنيوي، فهنا لم تكن راجحة من الناحية الشرعية، بل كانت من (الشرك الخفي)، فتبطل.

2- إن كانت هذه المذكورات بداعي إلهي، فهنا صحت بشرط تحقق الإخلاص الحقيقي في انجازها وتمامها.

الفقرة (16) الإخلاص

سؤال: ما معنى الإخلاص مبيناً مراتبه ؟.

جواب: بحسب فهم المصنف قدس فان الإخلاص له مرتبتان مهمتان، تحتوى كل مرتبة من هاتين المرتبتين على عدة درجات:

المرتبة الأولى: الإخلاص المقابل للرياء، فهنا الإخلاص يعني عدم الرياء أو خلاص القلب والنفس من الرياء، فإذا حصلت هذه المرتبة للفرد كان الفرد مستحقاً للمرتبة التي بعدها.

المرتبة الثانية: الإخلاص لله سبحانه بالمعنى العالي الذي يفهمه ذووه ممن وصلوا إلى مراتب عالية من الكمال، فان كل مرتبة من هذه المراتب العالية موافقة ومساوقة ومساوية مع درجة من الإخلاص أكثر من المرتبة التي قبلها، وهكذا.

ومحل الكلام هو خصوص المرتبة الأولى من الإخلاص دون المرتبة الثانية، فالإخلاص المقابل للرياء ينقسم بانقسامات الرياء الذي يقابله المتقدمة بحسب اختلاف النواحي والحيثيات المتقدمة، فكلما زال شيء من الرياء عن القلب حصل في القلب الإخلاص من تلك الجهة التي أزيلت. ها الأول.

والثاني: أنه قد تقدم أن الرياء بالمعنى العام يشمل كل الدواعي والتأثيرات غير الإلهية التي تدخل في العمل حتى ما كان من هذه الدواعي مما لا يسمى رياء في اللغة أو العرف، مثل الأسباب

الطبيعية، والمقاصد الذاتية. ومعه فيكون خلو القلب من أمثال هذه المقاصد أيضاً يكون من الإخلاص بطبيعة الحال. وان لم يقابل الرياء بالمعنى اللغوي والعرفي.

والثالث: الإخلاص يعني خلو القلب والنفس عند العمل من كل مقصد سوى المقصد الإلهي من أجل تحصيل رضا الله سبحانه. وهذه هي الدرجة الأهم للمرتبة الأولى من الإخلاص، فما ظنك بالمرتبة الثانية من الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

الفقرة (17) العجب

سؤال: ما معنى العجب موضحاً أقسامه ؟.

جواب: العجب من جملة العيوب التي ذكرها الفقهاء للعبادة، وهو الاعجاب أو الزهو أو الفخر بالعمل، للعجب انقسامات عديدة من عدة اعتبارات أو جهات، ومنها جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: جهة المتعلق أي ما يتعلق ويتصف ويحصل به العجب من الأمور، فهنا أقسام ثلاثة:

1- الذات: وهو الإعجاب بالنفس من حيث الذات وما ينطبق على الذات من جهات خارجية أو كالعلم والشجاعة والكرم والعشيرة أو العنصر أو البلد أو أو غير ذلك من الأمور.

2- الصفات الدنيوية: وهو الاعجاب بالصفات أو الخصائص الدنيوية، كالمال والبيت الفاره والسيارة الفخمة والسلطة الواسعة والأمر المطاع والثياب الفاخرة، وغير ذلك من الأمور.

3- الصفات الخروية: وهو الاعجاب بالصفات أو الخصائص الأخروية، كالأعمال الصالحة، ونور الوجه وطيبة القلب، وتكرار الحج والالتزام بصلاة الليل أو غسل الجمعة أو قضاء حاجة المحتاجين من الأقارب أو الأبعد، أو غير ذلك من الأمور.

الجهة الثانية: درجات العجب نفسه، فهنا أقسام ثلاثة:

1- أن يشعر الفرد بأهمية صفته أو عمله بحيث يحصل لهذا الفرد الزهو والفخر بهذه الصفة أو العمل.

2- أن يشعر الفرد بأهمية صفته أو عمله بمقدار معلوم وان لم يصل إلى درجة الزهو والفخر بهذه الصفة أو العمل, وإنما يعتقد الفرد بأنه يقيم صفته وعمله بالمقدار المناسب مع القوانين الطبيعية, والقوانين الاجتماعية مع ما وعد الله على هذه الأعمال من الثواب في الكتاب والسنة.

3- أن يشعر الفرد بوجود صفته أو عمله بغض النظر عن التوفيق الإلهي والرحمة والإرادة الإلهية, وان ما حصل عليه الفرد من هذه النتائج كانت من عنديات الفرد وليس لله سبحانه فيها تدخل, وهذا القسم من مصاديق قوله تعالى: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)³⁵.

الجهة الثالثة: فيمن يحصل العجب تجاهه, فهنا احتمالات أوضحتها أربعة:

- 1- العجب على الله سبحانه, فيدعي الفرد انه خير من الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
 - 2- العجب على المعصومين عليهم السلام والأولياء الصالحين, فيدعي الفرد انه خير من المعصومين والأولياء.
 - 3- العجب على مشاهير البارزين من أهل الدنيا, فيدعي الفرد انه خير من هؤلاء المشاهير بصفة معينة أو في جميع الصفات.
 - 4- أرادل الناس في الدنيا وفي الآخرة, فيدعي الفرد انه خير من هؤلاء الأرادل, ومثاله:
- أن يرى الغني انه خير من الفقراء في الدنيا.

- أن يرى العابد انه خير من من الفساق والفجار في الآخرة.

فإذا تمت لدينا هذه الانقسامات الثلاثة أصبحت لنا أقسام العجب ستة وثلاثون قسمًا ناتجة هذه الأقسام من حاصل ضرب الأقسام بعضها ببعض $3 \times 3 \times 4$. وفي المقام نحاول استعراض بعض النماذج كأمثلة على هذه الأقسام بعد تعذر الحديث عن جميع هذه الأقسام, فهنا نماذج خمسة:

النموذج الأول: الغني المتمول الذي يفخر ويزهو على الآخرين بثروته, فهنا يكون هذا الغني يكون مشمولاً لايتين:

- قوله تعالى: (أَذْهَبْنُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)³⁶, فلا يكون لهذا الغني في الآخرة حسن الثواب.

- قوله تعالى: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)³⁷ وإنما المال هو رزق أتاه من قبل الله عز وجل، إن كان مألًا حلالًا.

النموذج الثاني: العالم المتعلم الذي يفخر ويزهو على الآخرين بعلمه, فهنا يكون هذا العالم مشمولاً لرواية وآية:

- قوله عليه السلام: (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)³⁸.

- قوله تعالى (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)³⁹.

النموذج الثالث: العابد المتعبد الذي يفخر ويزهو على الآخر بعبادته, والعبادة من الأعمال الحسنة التي تحصل بتوفيق وتسديد من الله عز وجل. على أن الله عز وجل لا يعبد حق عبادته، فلا يجوز للمتعبد أن يخرج حد الاعتراف بالتقصير والشعور بالتضاؤل أمام حق طاعة وعظمة الله تعالى، فهنا يكون هذا العالم مشمولاً لآية ورواية:

- قوله تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)⁴⁰..

- وصية الإمام الكاظم عليه السلام لبعض ولده: (يا بني، عليك بالجد، لا تخرج نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته).

³⁶ سورة الاحقاف - آية 20.

³⁷ سورة القصص - آية 78.

³⁸ مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام ص 5.

³⁹ سورة البقرة - آية 282.

⁴⁰ سورة النساء - آية 79.

النموذج الرابع: شريف النسب الذي يفخر يزهو على الآخرين بنسبه فهنا يكون هذا الشريف مشمولاً لآية ورواية:

- قول الله عز وجل (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)⁴¹.

- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)⁴².

النموذج الخامس: الطاغوت المتسلط الذي يفخر ويزهو على الناس بسلطته, فهنا يكون هذا المتسلط مشمولاً لآيات ثلاثة:

- قول الله عز وجل: (أَيَّتَنَّهُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)⁴³.

- قول الله عز وجل: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)⁴⁴.

- قوله سبحانه: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)⁴⁵.

وعموماً فإن حكم العجب من الناحية الفقهية هو أن الفقهاء لم يفتوا ببطلان العبادة المتصفة بالعجب, فهنا تكون العبادة التي أعجب صاحبها بها مجزية, ولكن هذه العبادة غير مقبولة, أي أن هذه العبادة لا تصل إلى درجة الأهمية والترحيب بها عند الله تعالى, وذلك لأن هذه العبادة تكون قد أعطيت من قبل صاحبها قيمة خاطئة اكبر من حجمها وأهميتها تجاه الله سبحانه وتعالى.

الفقرة (18) نكران الذات

سؤال: ما معنى نكران الذات شارحاً أقسامه ؟.

⁴¹ سورة المؤمنون - آية 101.

⁴² حقائق التأويل للشريف الرضي ج 5 ص 115.

⁴³ سورة النساء - آية 139.

⁴⁴ سورة المنافقين - آية 8.

⁴⁵ (7) سورة البقرة - آية 257.

جواب: نكران الذات ما يقابل العجب, فيكون معنى نكران الذات هو الشعور بعدم أهمية وتفاهة الذات. وانقسامات نكران الذات كالعجب على ثلاثة اعتبارات أو جهات:

الجهة الأولى: فيمن يحصل نكران الذات تجاهه, فهنا قسمان:

- 1- الله سبحانه وتعالى، فهنا يشعر الفرد بعدم أهمية ذاته تجاه الله سبحانه وعظمته ورحمته.
- 2- المخلوق، فهنا يشعر الفرد بعدم أهمية ذاته تجاه من هو ابرز منه بدرجة عالية في المال أولا.

وثانيا: في السلطة.

وثالثا: في الإيمان.

ورابعا: في العلم.

فهنا إنكار الذات تجاه الخلق إن كان من اجل الخالق نفسه، فهنا كان هو المطلوب حقيقة من حصول انكار الذات. وأما إنكار الذات تجاه المخلوق كما مثلنا لمجرد الشعور بأهمية الآخر، فهنا تحصل الضعة الذاتية أولا.

وثانيا: يحصل الشرك الخفي.

الجهة الثانية: جهة المتعلق أي ما يتعلق ويتصف ويحصل به نكران الذات من الأمور, فهنا أقسام ثلاثة:

- 1- الذات نفسها, وهذا هو مفهوم نكران الذات بمعناه اللغوي والعرفي, فهنا يشعر الفرد بتفاهة ذاته أو زوال الذات تجاه من يشعر بأهميته وعظمته, أي الله سبحانه أو المخلوق.
- 2- الصفات, فهنا يشعر الفرد بتفاهة صفاته أو انعدام صفاته تجاه الصفة المهمة لدى الغير, ومثاله:

- علم العلماء.

- شجاعة الشجعان.

- عظمة الله سبحانه، وهو الأهم.

3- الأعمال, فهنا أنحاء ثلاثة من الشعور:

أولاً: أن يشعر الفرد بتفاهة عمله تجاه عمل الآخرين.

وثانياً: أن يشعر الفرد بعمق ذنبه تجاه عمل الآخرين.

وثالثاً: أن يشعر الفرد بتفاهة عمله تجاه استحقاق الغير من الشكر على النعمة ونحوه. وهذا هو الموقف الأحسن تجاه الله سبحانه.

الجهة الثالثة: في أقسام نكران الذات من حيث الدرجات, فهنا أقسام ثلاثة.

1- الشعور بقلة الأهمية.

2- الشعور بزوال الأهمية وعدم زوال الأهمية إطلاقاً.

3- الفناء في الغير فناءً كاملاً, بحيث لا يكون للفرد وجود استقلالي بالمرة. وهذا هو الموقف الذي يراه العارفون تجاه الله سبحانه وتعالى.

فإذا عرفنا هذه الانقسامات لنكران الذات, فهنا كان ناتج الاحتمالات هو حاصل ضرب $3 * 3 * 2 / 18$ احتمالاً وفي المقام نحاول استعراض بعض النماذج كأمثلة على هذه الأقسام بعد تعذر الحديث عن جميع هذه الأقسام, فهنا نماذج خمسة:

النموذج الأول: الفقير الذي يشعر بتفاهة الحال والمال تجاه ذوي المال والنفوذ.

النموذج الثاني: المروءس الذي يشعر بتفاهة الحال والضعفة تجاه السلطان وذوي السلطة في المجتمع. وخاصة إذا كان تحت تصرفه الفعلي كالعامل لدى السلطان أو السجين المحجوز في سجون السلطان.

النموذج الثالث: العامل عملاً صالحاً الذي يشعر بتفاهة الإيمان والعمل الصالح تجاه الإيمان والعمل الصالح الذي يتصف به المعصومون سلام الله عليهم.

النموذج الرابع: العامل عملاً صالحاً الذي يشعر بتفاهة الإيمان والعمل الصالح تجاه الله سبحانه، بما له استحقاق كبير لشكر النعمة ودفع النعمة والبدء بالعطاء وغير ذلك.

النموذج الخامس: الفناء التام الذي يشعر به الفرد تجاه عظمة الله سبحانه تعالى من حيث العمل ومن حيث الذات وجميع الصفات.

الفقرة (19) مقارنة بين بعض الصفات

سؤال: ما الفرق الفارق بين صفتي العجب والتكبر، وبين صفتي نكران الذات والتواضع؟.

جواب: هنا جملة من جهات الاشتراك وجهات الافتراق بين هذه المذكورات من الصفات، فهنا انقسامان بين هذه الصفات:

1- أن بين صفتي العجب ونكران الذات جهتين متضادتين يعودان إلى الاتصاف الحقيقي للنفس، ولو كان هذا الاتصاف باعتقاد صاحبها على الأقل.

2- أن بين صفتي التكبر والتواضع جهتين متضادتين يعودان إلى إظهار الفرد تجاه الآخرين.

فمن هنا قد تجتمع صفات من هذين الانقسامين وتبدو متضادة في بادئ النظر، كمثل صفة العجب حين يجتمع مع صفة التواضع. ومثل صفة نكران الذات حين يجتمع مع صفة التكبر، فلا يحصل التنافي بين هاتين الصفتين. هذا الأول.

والثاني: جهة اشتراك واجتماع صفة العجب مع صفة التواضع، فهنا قد يكون الفرد بحسب اتصافه الحقيقي معجبا بنفسه أو معجبا بصفاته ولكن الفرد قد يرى وجود مصلحة للتواضع أحيانا.

والثالث: أن منكر الذات قد يرى مصلحة للتكبر أحيانا، ولو من باب ما ورد من أن التكبر على المتكبر عبادة، فهنا يكون الموقف الحقيقي من الناحية الأخلاقية أمام الله سبحانه في صفتي العجب

ونكران الذات، وليس في صفتي التواضع والتكبر، وذلك لأن المفروض إن صفتي العجب ونكران الذات صفتان راسختان، وأن صفتي التواضع والتكبر صفتان طارئتان. وما هو راسخ أهم في التقويم ممن هو الطارئ. هذا أولاً.

وثانياً: التكبر الناتج من العجب أو التكبر المقترن مع العجب، وكذلك التواضع الناتج من نكران الذات أو التواضع المقترن مع نكران الذات، فحساب الفرع – التكبر، التواضع – هو حساب الأصل – العجب، نكران الذات –، وقيمة الفرع والأصل من هذه الصفات متساويان من الناحية التقريبية، فهنا أحكام:

1- التكبر والتواضع صفتان راسختان.

2- التواضع مع العجب صفتان متضادتان.

3- التكبر مع النكران صفتان متضادتان.

والرابع : ليس كل عجب مذموماً، وإن كان الذم هو الصفة الغالبة لأكثر أقسام العجب المتقدمة، فلو كان العجب موجداً مع الاعتراف بفضل الله سبحانه في إيجاد الصفة المحببة، فهنا لم يكن العجب مذموماً، بل يكون العجب محموداً. ولكن بحسب اعتقاد المصنف قدس فإنه ليس في صفة العجب ما له قيمة أخلاقية حقيقية أو في صفة العجب ما يكون مؤثراً في السير في مدارج الكمال. هذا أولاً.

وثانياً: ليس كل تكبر مذموماً، وإن كان الذم هو الصفة الغالبة لأكثر أقسام التكبر، ومثال التكبر المحمود هو التكبر على المتكبر لكونه عبادة بحسب ما ورد.

وثالثاً: ليس كل نكرات للذات محموداً، وإن كان المدح هو الصفة الغالبة لنكران الذات، فإن حصول نكران الذات تجاه المخلوقين، وخاصة في الصفات الدنيوية كالمال أو الجمال أو الجاه، مذموماً من الناحية الأخلاقية.

ورابعاً: ليس كل تواضع محموداً، وإن كان المدح هو الصفة الغالبة للتواضع، ومثال التواضع المذموم هو التواضع الناتج من نكران الذات المذموم بالمعنى المتقدم. ولذا كان التكبر على المتكبر عبادة، وذلك بأحد معنيين:

1- أن التواضع للمتكبر يكون مذموماً.

2- أن التواضع للمتكبر يكون من الشرك الخفي بشرط أن تتعلق مصلحة ثانوية بهذا التواضع، سواء كانت مصلحة ثانوية عامة، أو كانت مصلحة ثانوية خاصة كبعض أشكال التقية.

الفقرة (20) التكبر لله سبحانه وتعالى

سؤال: ما معنى وصف الله سبحانه بصفة التكبر؟

جواب: ابتداءً أن موضوع هذا الكتاب خاص بعلمي الفقه والأخلاق بتفصيل تقدم، وفي المقام أن الصفات المتقدمة خاصة بصفات المخلوقين، وليس من صفات الخالق جل جلاله، فتخرج صفات الخالق عن موضوع هذا الكتاب، وإن كان الخالق هو الذي شرع وقدر هذه الصفات. وفي الجواب عن وصف الخالق بصفة التكبر، فهنا صفات أربعة:

1- صفة العجب، فهنا الله لا يمكن أن يوصف الله جل جلاله بصفة العجب، وذلك لأن هذه الصفة فيها إحياء وإشارة إلى كونها صفة غير حقيقية وبسيطة في حين أن صفات الله سبحانه هي الكمال الحقيقي، والله الكبرياء والعظمة الواقعية والحقيقية، مع استغناء الله جل جلاله عن هذه الصفة غير الحقيقية والبسيطة، فيثبت عدم وصفه تعالى بصفة العجب، ويتم المطلوب.

2- صفة نكران الذات، فهنا لا يمكن أن يوصف الله جل جلاله بصفة نكران الذات، وذلك لأن هذه الصفة تحتوي على اعتراف صاحبها الموصوف بها بنقصه الحقيقي في حين أن الله تعالى لا نقص فيه، بل الله تعالى هو الكمال المطلق، فيثبت عدم وصفه تعالى بصفة نكران الذات، ويتم المطلوب.

3- صفة التواضع، فهنا لا يمكن أن يوصف الله جل جلاله بصفة التواضع، وذلك لأن التواضع منتج لأحد أمرين:

الأول: أن ينتج التواضع نقصاً حقيقياً في الفرد.

والثاني: أن ينتج التواضع مصلحة تعود بالنفع على الفرد.

وكلا هذين الأمرين من النقص الحقيقي والمصلحة إنما موردها هو المخلوق، دون الخالق، فيثبت عدم وصفه تعالى بصفة التواضع، ويتم المطلوب.

3- صفة التكبر، فهنا يمكن أن يوصف الله جل جلاله بصفة التكبر، وذلك لأن معنى التكبر هو إظهار للعظمة، والله سبحانه الوحيد من بين سائر الموجودات كلها هو المستحق لهذه الصفة، وذلك لأن عظمته واقعية وحقيقية، فإظهار مثل هذه العظمة ليس بمذموم، بل إظهار مثل هذه العظمة محمود من أجل مصلحة تعود إلى تربية وتكامل الخلق. فتحصل أن التكبر مذموم غالباً إلا منه سبحانه، وأن التواضع محمود غالباً إلا منه جل جلاله، فيثبت صحة وصفه تعالى بصفة التكبر، ويتم المطلوب.

الفقرة (21) من نتائج العجب والتواضع

سؤال: ما هي النتائج المترتبة على صفتي العجب والتواضع؟

جواب: هنا جملة من النتائج المترتبة على صفتي العجب والتواضع، ومنها:

1- إذا كان العجب صفة مذمومة لنفسه، فهنا تكون العبادة مع وجود العجب مذمومة من الناحية الأخلاقية، وإن لم تكن العبادة باطلة من الناحية الفقهية، سواء كانت العبادة قليلة الثواب، أم لم يترتب على العبادة ثواب على الإطلاق. وخاصة فيما إذا اقترن العجب بالذات إلى العجب بالعبادة نفسها، وأياً من العجب بالذات والعجب بالعبادة اقترن بالعبادة نفسها، فهنا كانت العبادة مذمومة. هذا أولاً.

2- إذا كان التواضع ونكران الذات صفة محمودة لنفسه، فهنا تكون العبادة مع وجود التواضع محمودة أكثر من وقوع العبادة بصفتها العبادية، وخاصة فيما إذا اقترن التواضع في الذات إلى التواضع في العبادة نفسها، وعدم الشعور بأهمية العبادة تجاه الله سبحانه. وهذا المعنى مما يزيد الخشوع والخضوع والتضرع للفرد في عباداته المستحبة والواجبة معاً. وهذا بخلاف العجب،

فهنا يكون العجب سبباً أكيدا لقلّة أو سلب هذه الصفات المهمة من الخشوع والخضوع والتضرع عن عبادات الفرد المستحبة والواجبة معاً.

3- من حيث المحتوى الداخلي للإنسان، فهنا يوجد تقابل في السببية بين العجب والتواضع من اتجاهين:

الأول: أن يكون العجب سبباً لحصول صفات الغلظة والقسوة والظلمانية في القلب والنفس.

والثاني: أن يكون التواضع سبباً لحصول صفات الرقة والنورانية في القلب والنفس.

والعكس أيضاً صحيح، فإن الرقة والنورانية سبب لحصول صفة التواضع، كما أن الغلظة والقسوة والظلمانية سبب لحصول صفة العجب.

ولا يلزم في هذا التقابل في السببية بين صفتي العجب والتواضع محذور الدور بأن يتوقف سبب حصول مثل هذه الصفات على نفس سبب حصول مثل هذه الصفات، وذلك باعتبار تعدد المراتب المتصاعدة في كلا الاتجاهين المتقدمين.

الفقرة (22) الخشوع

سؤال: ما معنى الخشوع؟

جواب: الخشوع من جملة الأمور المستحسنة والمطلوبة في العبادة. والخشوع في اللغة يعني التضرع أو الضراعة، وحقيقة الخشوع هو عبارة عن حالة نفسية أو حالة قلبية توجد في الشخص الذليل تجاه الشخص العظيم، وذلك بسبب نتيجة الشعور بالذلة والتواضع أمام العظيم. وهذا معنى عام ولكن المتعارف لدى المتشرعة هو اختصاص الخشوع بالعلاقة مع الله سبحانه وتعالى، وهو الخشوع الحق وغير هذا الخشوع باطل. ويتعلق الخشوع بما يلي:

1- العبادة بالمعنى الأخص، أي تعلق الخشوع بالعمل الذي يشترط في صحته قصد القربة، كالصلاة، ومنه قول الله عز وجل: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)⁴⁶.

2- العبادة بالمعنى الأعم، أي تعلق الخشوع بكل عمل صالح، ومنه قوله عز وجل: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)⁴⁷.

3- المؤمن، أي تعلق الخشوع في كل أحوال المؤمن أو في غالب أوقات المؤمن، ومنه قول الله عز وجل عن الزمرة الصالحة من عباده: (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)⁴⁸.

4- العقوبة، أي تعلق الخشوع عند النظر إلى العقوبة، وذلك لما في العقوبة من التذلل أمام الشخص المعاقب، كمثّل الكفار عند نظرهم إلى نار جهنم، ومنه قول الله سبحانه: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)⁴⁹. وقولهم عليهم السلام في الدعاء: (الله أني أسالك خشوع الإيمان قبل خشوع الذل في النار)⁵⁰.

5- القلب، أي تعلق الخشوع بالقلب، أو الخشوع القلبي وليس الخشوع حالة جسدية، أو الخشوع الجسدي وإن كانت قد تدل حالة الجسد على الخشوع، إلا أن حالة الجسد قد تخلو من الإخلاص، والعياذ بالله بسبب اطلاع الآخرين على جوارح الجسد. وأما الخشوع القلبي فلا يكون إلا مخلصاً بسبب تعذر اطلاع الآخرين على القلب، فلا يمكن أن يحمل الرياء إطلاقاً. فإن خشعت مع القلب الجوارح أو الجسد، فهنا كان خشوع هذه الجوارح الجسدية مخلصاً أيضاً. وإن لم تخشع هذه الجوارح الجسدية، فهنا أمكن الاكتفاء بالخشوع القلبي. ومن هنا قلنا: إن الخشوع حال قابل للاستمرار أو التكرار كثيراً في جميع الأعمال الصالحة، وذلك لأن خشوع الجسد مؤقت بطبيعة تكوينه، ومن الصعب جداً أن يستمر ما دام الفرد مسؤولاً عن حياته الدنيا، وأما خشوع القلب فهو قابل للتكرار والاستمرار مع حسن التوفيق الإلهي. ومثاله:

⁴⁶ سورة المؤمنون - آية 2.

⁴⁷ سورة طه - آية 108.

⁴⁸ سورة الأنبياء - آية 90.

⁴⁹ سورة المعارج - آية 44.

⁵⁰ مصباح المنهج - للطوسي ص 413.

- وجود عبد ذليل في قصر جليل، فهذا العبد يشعر بالخشوع دائماً كلما تجول في أنحاء القصر وتذكر أصحاب القصر. وهذا الالتفات والشعور من العبد كثيراً ما يحصل عادة بسبب وجود العبد بين يدي صاحب القصر، وكل ما في القصر يدل على أهمية وعظمة صاحب القصر.

الفقرة (23) هل المطلوب كثرة العبادات أو قلتها؟

سؤال: هل المطلوب كثرة العبادات أو قلة العبادات في حصول التقرب من الله سبحانه وتعالى؟

جواب: فيه قولان:

الأول: التكثير، أي المطلوب كثرة العبادات.

والثاني: التقليل، أي المطلوب قلة العبادات.

وقد يقول قائل بالقول بالتكثير، وذلك لأن في هذه الكثرة زيادة في التقرب والخشوع اتجاهه سبحانه.

وقد يجاب على ذلك القول بما مؤداه: إن هذه الكثرة والتكثير من العبادات مناف لأحوال وحاجات الدنيا حتى الضرورية منها، كالاكتساب للحاجات الضرورية التي تقتضي التقليل من العبادات، ومن هنا نرى: المتعبدين والمتزهدين قد فانت منهم كثير من الحاجات الدنيوية أو أصبحوا في حال دنيوي بسيط.

ولكن يجاب عن هذا الجواب بعدة وجوه تقتضي التكثير من العبادات، وهناك وجوه وموارد تقتضي التقليل من العبادات، فهنا نحوان من الوجوه:

النحو الأول: الوجوه والموارد التي تقتضي القول بالتكثير، ومنها وجوه أربعة:

1- الالتزام بما اعتبره السائل محذورا وإشكالاً على القول بالتكثير، والاتجاه إلى تقليل أحوال ومصالح الدنيا من أجل أحوال ومصالح الآخرة التي تقتضي القول بالتكثير من العبادات.

2- الالتزام بتوسيع معنى العبادة، وذلك لأن معنى العبادة ليست فقط الصلاة ونحوها من العبادات الفردية، بل معنى العبادة تشمل أكثر أحوال المؤمن بما فيها قضاء حاجات الآخرين وزيارة المؤمنين والحضور في صلواتهم ومناسباتهم وتشجيع موتاهم وغير ذلك. وهذا المعنى العام للعبادة لا ينافي قضاء الحاجات الدنيوية الضرورية، وذلك لأن كسب الرزق نفسه عبادة، كما ثبت من الناحية الشرعية، كما في مثل قول الإمام الصادق عليه السلام: (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله)⁵¹.

3- الالتزام بالعبادات الباطنية، وذلك لأن معنى العبادة ليست فقط هي العبادة هي العبادة الظاهرية، بل هناك العبادة القلبية أو العبادة الباطنية، كالذكر والخشوع والإخلاص والإيمان وغيرها. وهذا أمر لا يكاد يكون مرتبطاً بالسلوك والعمل الخارجي أياً كان، فلا يلزم من هذا الأمر محذور المنافاة لأحوال الدنيا.

4- الالتزام بالاتجاه الذي فرضه السائل، وهو المنع من استمرار العبادة بالمعنى الظاهري أو المعنى الجسدي كالصلاة المستمرة أو الدعاء الدائم. فان هذا النحو من العبادة مما لم يلتزم به الأنبياء والأولياء والمعصومون سلام الله عليهم أجمعين، فكيف يمكن طلب هذا الالتزام ممن سواهم من عامة الناس؟.

النحو الثاني: الوجوه والموارد التي تقتضي القول بالتقليل، ومنها موارد سبعة:

1- مورد الملل، أي الالتزام بتقليل العبادات فيما لو استلزم القول بتكثير العبادة محذور الملل والتضجر من العبادة، فهنا ينبغي للفرد ترك التكثير حتى تنفتح الرغبة إلى ممارسة العبادة مرة أخرى. ولا ينبغي إيقاع العبادة حال وجود الملل في العبادة، وذلك بسبب وجود رد الفعل النفسي السيئ تجاه العبادة.

2- مورد التحمل، أي الالتزام بتقليل العبادات فيما لو استلزم القول بتكثير العبادة محذور تحمل النفس بما لا يطاق، فهنا لا يجوز للفرد ان يحمل نفسه فوق طاقته من أي عمل كان، فان بلغت العبادة به غاية التحمل وكان الزائد خارجاً عن طاقة الفرد من الناحية النفسية، فهنا لزم ترك العبادة.

⁵¹تحف العقول للحراي ص 32.

3- مورد طيبة القلب, أي الالتزام بتقليل العبادات في حال طيبة القلب والرضى والإخلاص القلبي الداعي الى قبول اليسير من الرزق الإلهي, فهذا يقبل الله تعالى من هذا الفرد الطيب القليل من العبادة. ومن هنا ورد الحديث بمضمون: (من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه باليسير من العبادة)⁵²

4- مورد العبادة القلبية, أي الالتزام بتقليل العبادات في حالة استغناء الفرد المؤمن عن العبادة الظاهرية كالصلاة والصيام ونحوها, فهذا ينبغي للفرد الالتزام بالعبادة القلبية أو الباطنية كالذكر والرضا والخشوع ونحوها. وهذه مرتبة أكثر من المرتبة السابقة من الرضا القلبي في مدارج الكمال النفسي.

5- مورد الحاجة الضرورية, أي الالتزام بتقليل العبادات في حالة حصول المنافاة والتزام بين العبادات المستحبة مع الحاجة الضرورية أو الحاجة شبه الضرورية للحياة الدنيوية, فهذا ينبغي للفرد تقديم الحاجات الضرورية على العبادات المستحبة.

6- مورد العبادة العامة, أي الالتزام بتقليل العبادات في حالة حصول المنافاة والتزام بين العبادة الشخصية كالصلاة والصوم المستحبين وبين العبادة العامة كقضاء حاجات المحتاجين وزيارة المؤمنين والأمر بالمعروف وغير ذلك كثير, فهذا ينبغي للفرد تقديم العبادة العامة على العبادة الشخصية.

7- مورد نزول البلاء, أي الالتزام بتقليل العبادات عند نزول البلاء الدنيوي والمصاعب الدنيوية, فهذا ينبغي للفرد تقليل العباد الفردية والنوافل المستكثرة ريثما يزول البلاء, فيعود الفرد إلى حاله السابق, مع حسن التوفيق.

وقد يخطر في ذهن إشكال حاصله أن يقال: العبادة من حيث الوقت على قسمين:

الأول: العبادة الموقته: وهى بالعبادة المحددة بالوقت كصلاة الليل وغسل الجمعة وصوم النصف من شعبان وغيرها من المستحبات.

⁵² الوسائل ج 6 - م 11 - الباب 16 من أبواب جهاد النفس - حديث 2.

والثاني: العبادة غير الموقته وهي العبادة غير المحدودة بوقت وإنما يأتي بها العبد زيادة في الخشوع وطلباً للثواب. وقد ورد قولهم عليهم السلام: (الصلاة خير موضوع من شاء استقل ومن شاء استكثر)⁵³. والمراد من هذا القول - والله أعلم - هو الصلاة الغير الموقته، وذلك لأن الموقت من الصلاة غير مرتبط بالمشيئة بحسب الظاهر.

فهنا الموارد والأسباب السابقة التي تقتضي التقليل من العبادة إنما تجعل قسماً من العبادة مرجوحاً غير مستحب، وهو العبادة الموقته، وأما العبادة الموقته، فإنها تبقى على أهميتها، فيتحصل أن الأسباب السابقة للتقليل من العبادة إنما تشمل العبادة غير الموقته، ولا تشمل العبادة الموقته.

ولكن هذا الإشكال غير صحيح، وذلك لأن الأسباب السابقة لها الإطلاق الكافي لكل الأقسام من الموقته وغير الموقته، هذا أولاً.

وثانياً: أن الأسباب السابقة لها التسبب الشرعي والمعقول للتقليل من العبادة، وليس التقليل بشكل عشوائي واعتباطي حتى يختص التقليل من العبادة بغير الموقت، ولا يشمل الموقت، فهنا ثبت شمول الأسباب للعبادة الموقته وغير الموقته، ويتم المطلوب.

نعم ظاهر هذه الأسباب خاص بالعبادة الظاهرية الفردية كالأمثلة السابقة، وأما العبادة العامة أو العبادة الاجتماعية أو العبادة القلبية فلا تشمل الأسباب هذه العبادة.

والحق أن شمول أسباب تقليل العبادة لهذه العبادة نادر، ولكن مع افتراض شمول بعض الأسباب لأحد هذين النوعين من العبادة الفردية والاجتماعية، فمن الراجح والمنطقي التقليل من هذه العبادة. وإن كان التقليل من هذه العبادة أحياناً صعباً بل التقليل متعزراً. مع كون هذه العبادة عادة مستمرة أو ملكة راسخة. هذا الأول.

والثاني: أن عدداً من أسباب تقليل العبادة لا مورد لها مع هذين النوعين الأخيرين من العبادة الفردية والاجتماعية، إلا أننا لا حاجة إلى الدخول إلى تفاصيل هذه الموارد، بل نوكل هذا التفصيل إلى فطنة القارئ اللبيب الذكي، وهذا القارئ له القدرة والاستطاعة على إدراك مثل هذه التفاصيل بقليل من المقارنة، وقليل من التفكير.

⁵³ (1) الوسائل ج 2 م 3 الباب 42 من أبواب أحكام المساجد - حديث 10.

والثالث: أن التقليل من العبادة لا يعنى التقليل من أهمية العبادة المعنوية، أو الحد من أثار العبادة المعنوية. وإنما التقليل يعنى فقط من أجل ان المصلحة في تلك الموارد السابقة تقتضي التقليل من العبادة من الناحية العملية. ولا شك انه مع إمكان الجمع وعدم تعذر الجمع بين العبادة وبين موارد تلك الوجوه السبعة السابقة الذي يقتضي تقليل العبادة لهو أفضل عند الله عز وجل بشرط ان لا يحصل حيف أو نقص على الجانب الذي هو الأفضل من العبادة والتقليل من العبادة عنده سبحانه وتعالى. ويتضح ذلك مع مقارنة الوجوه نفسها، ونوكل هذه المقارنة أيضاً إلى فطنة القارئ اللبيب.

الفقرة (24) التفكير في الخلق

سؤال: ما هي أساليب الحث على التفكير في القرآن الكريم ؟.

جواب: التفكير من الأمور التي حث عليها القرآن الكريم كثيراً، وحكم التفكير من الناحية الفقهية من المستحبات المؤكدة التي لها أثار وضعية جلية ومحمودة على الفرد، ولكن الفقهاء لم يعزل للتفكير مكاناً في فقههم، فهنا كان من المناسب ذكر التفكير في مقدمة العبادات من الناحية الأخلاقية. وأساليب الحث على التفكير في القرآن الكريم كثيرة، ومنها أربعة عشر مورداً:

1- الحث على التفكير، ومنه:

- قوله تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا)⁵⁴.

- قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)⁵⁵ خمسة أو ستة مرات في القرآن الكريم.

2- الحث على التفقه، ومنه قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)⁵⁶.

⁵⁴ سورة آل عمران - آية 191.

⁵⁵ سورة الرعد - آية 3.

⁵⁶ سورة الأنعام - آية 65.

3- الحث على النظر بعنوان الآيات، وهي الآيات النفسية التي تكون داخل النفس، والآيات الأفاقية التي تكون في خارج النفس من العجائب. وقد ورد لفظ آية في القرآن أربعاً وثمانين مرة، ولفظ الآيات مئة وثمانية وأربعين مرة⁵⁷.

4- الحث على النظر، ومنه قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁵⁸، وغيرها.

5- الحث على البصر أو الأبصار، ومنه:

- قوله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)⁵⁹ مع شجب التعامي وعدم استعمال البصر (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا)⁶⁰

- قوله تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا)⁶¹.

6- الحث على استعمال العقل، ومنه:

- قال سبحانه: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)⁶²

- قوله سبحانه: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)⁶³، وقد تكرر هذا القول وما في مضمونه القريب حوالي ثمانية مرات في القرآن الكريم⁶⁴. كما شجب القرآن إهمال العقل وعدم استعماله في آيات عديدة منها قوله تعالى: (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)⁶⁵.

⁵⁷ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (أي 1).

⁵⁸ سورة الأعراف- آية 185.

⁵⁹ سورة الناريات- آية 20- 21.

⁶⁰ سورة الأعراف- آية 195.

⁶¹ سورة الأعراف- آية 179.

⁶² سورة الحج- آية 46.

⁶³ سورة الرعد- آية 4.

⁶⁴ (3) وهي سورة البقرة- آية 164 والرعد آية 4 والنحل- آية 12 و 67 والعنكبوت- آية 35 والروم- آية 24 والجمانية- آية 5.

⁶⁵ (4) سورة يونس- آية 100.

7- الحث على استعمال اللب وهو العقل, وان يكون الفرد من ذوي الأبواب, وقد ورد قوله: (أُولُوا الأبواب) ستة عشر مرة⁶⁶. ومنها قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ)⁶⁷.

8- ذكر الآيات الكونية واحدة واحدة. كنزول المطر وإنبات الزرع وخلق الحيوان وخلق الجنين والليل والنهار والرعد والبرق والحليب وأنواع الفواكه والخضر، وغير ذلك في آيات كثيرة لا مجال لاستقصائها.

9- شجب الإعراض وهو عدم الالتفات إلى الآيات الكونية والتهاون في أمرها، ومنه قوله تعالى: (وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)⁶⁸. وقد ورد لفظ (معرضون) و (معرضين) تسعة عشر مرة في القرآن الكريم⁶⁹.

10 الحث على المعرفة، ومنه قوله تعالى: (وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)⁷⁰.

11- الحث على استهداف اليقين، أو حصول اليقين لدى الفرد نتيجة للنظر والتفكير، ومنه:

- قوله تعالى: (وَكَاثُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)⁷¹. وشجب حالة عدم اليقين كقوله تعالى: (بَلْ لَا يُوقِنُونَ)⁷².

- قوله سبحانه: (وَلَا يَسْتَحْفِظُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)⁷³.

12- الحث على السير في الأرض من أجل حصول العبرة والموعظة منها، ومنه:

⁶⁶ (5) وهي سورة البقرة- آية 179 و 197 و 269- وال عمران- آية 7 و 190 والمائدة- آية 100- ويونس 111 والرعد- آية 19 وإبراهيم- آية 52- وصاية 29 و 43 والزمر- آية 9 و 18 و 21 وغافر- آية 54 والطلاق- آية 10.

⁶⁷ (6) سورة آل عمران- آية 190.

⁶⁸ (1) سورة يونس- آية 105.

⁶⁹ (2) سورة البقرة- آية 83- وال عمران- آية 23 والأنفال- آية 23 والتوبة- آية 76 ويوسف- آية 105 والأنبياء- آية 24 و 32 و 42 والمؤمنون- آية 3 و 71 والنور- آية 48 وص- آية 68 والإحقاق- آية 3 والأنعام- آية 4 والحجر- آية 81 والشعراء- آية 5 ويس- آية 46 والمدثر- آية 49.

⁷⁰ (3) سورة النمل- آية 93.

⁷¹ (4) سورة السجدة- آية 24.

⁷² (5) سورة الطور- آية 36.

⁷³ (6) سورة الروم- آية 60.

- قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)⁷⁴ .

- قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)⁷⁵ . وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم حوالي أربعة عشر مرة، منها سبع مرات بصيغة الأمر: (سيروا)⁷⁶ .

13- الحث على اخذ الاعتبار أو العبرة من الآيات الكونية، ومنه:

- قوله تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ)⁷⁷ .

- قوله تعالى: (إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً)⁷⁸ .

14- الإنذار بالعذاب لمن ترك التفكير والاعتبار بالتفكير، ومنه:

- قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)⁷⁹ .

- قوله تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)⁸⁰ .

الفقرة (25) أهداف التفكير.

سؤال: ما هي حقيقة التفكير مبيناً أهدافه ؟.

جواب: هنا مطلبان:

⁷⁴ (7) سورة الحج- آية 46.

⁷⁵ (8) سورة النمل- آية 69.

⁷⁶ (1) ما ورد بصيغة الأمر (سيروا) سورة آل عمران- آية 137 والأنعام آية 11 والنحل- آية 36 والنمل- آية 69 والعنكبوت- آية 20 والروم- آية 42 وسبأ-

آية 18- وورد أيضاً بصيغة المضارع (يسيروا): سورة يوسف- آية 109 الحج- آية 46 والروم- آية 9 وفاطر- آية 44 وغافر- آية 21 و 82 ومحمد- آية 10.

⁷⁷ (2) سورة الحشر- آية 2.

⁷⁸ (3) سورة النحل- آية 66.

⁷⁹ (4) سورة الأنعام- آية 49.

⁸⁰ (5) سورة آل عمران- آية 191.

المطلب الأول: حقيقة التفكير، وفيه أن التفكير هو عملية إجابة الفكر في ذهن ومحاولة الاستنتاج والوصول إلى النتيجة من هذه العملية الفكرية الحاصلة في ذهن الفرد.

وهذا المعنى للتفكير مما يقتضيه الذوق العام، ومما يقتضيه التطبيق المهم لمعنى التفكير أو التفكير، إلا أنه لا ينحصر بذلك، ومن هنا كان المعنى الذهني الواحد يسمى بـ(فكرة). فحصول الفكرة ولو كان هذا الحصول في زمن قليل هي نوع من التفكير. ومعنى ذلك إن التفكير هو حصول الفكرة أو الأفكار في زمن قليل أو في زمن طويل مع محاولة الاستنتاج والوصول إلى النتيجة أو عدم الوصول إلى النتيجة. ولكن الشيء الذي يفرض نفسه من الناحية التلقائية مع حصول التفكير في الكون هو حصول الاستنتاج والنتيجة إلى عظمة الخالق سبحانه، وعجيب تدبيره، وواسع قدرته ورحمته جل جلاله في هذا الكون العجيب المترامي.

ثم أن التفكير منسوب إلى الذهن، أي حصول التفكير في الذهن، كما تقدم وما عليه المشهور أو المتعارف، إلا أن (الذهن) لم يذكره القرآن الكريم إطلاقاً، وإنما نسب القرآن التفكير إلى العقل تارة (لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)⁸¹ هذا أولاً.

وثانياً: نسبة التفكير إلى القلب، ومنه قوله تعالى: (أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ)⁸².

وثالثاً: نسبة التفكير إلى القلب، ومنه قوله تعالى: (هُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)⁸³.

ورابعاً: نسبة التفكير إلى النفس، ومنه قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ)⁸⁴.

وخامساً: نسبة التفكير إلى الصدور، ومنه قوله تعالى: (قُلْ إِنْ تُخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمُهُ اللَّهُ)⁸⁵. وقوله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)⁸⁶.

⁸¹ سورة البقرة- آية 164.

⁸² سورة البقرة- آية 179.

⁸³ سورة الحج- آية 46.

⁸⁴ سورة الروم- آية 8.

⁸⁵ سورة آل عمران- آية 29.

⁸⁶ سورة غافر- آية 19.

فهنا لا ينبغي الآن أن نتكلم في تفسير هذا المعنى وهو حصول التفكير في القلب والصدر، فإن لهذا الكلام مجالا موكولا في علوم أخرى كعلم التفسير وعلم الكلام والفلسفة وعلم النفس.

المطلب الثاني: أهداف التفكير، وفيه جملة من أهداف التفكير واستنتاجاته، ومنها أهداف ستة:

- 1- استنتاج الهدف من أمر دنيوي ذي نتيجة دنيوية محضة، ومثاله من يفكر في حسابات تجارته أو المحاضرة التي يلقيها على الطلاب.
- 2- استنتاج الهدف من أمر دنيوي ذي نتيجة دينية، ومثاله التفكير في بناء مسجد ومقدماته وحساباته.
- 3- استنتاج الهدف من وجود الله عز وجل المدبر بعد الالتفات إلى دقة الترتيب وحسن التدبير في هذا الكون، وإن ذلك الترتيب والتدبير لا يكون إلا من قبل صانع فاعل عالم قدير.
- 4- استنتاج الهدف من حسن تدبير الله سبحانه للكون وواسع قدرته ورحمته بعد التسليم بوجوده تعالى. وهذا الهدف هو الذي يستفاد من ظاهر القرآن الكريم، إلا أن هذا الهدف غير مناف مع الهدف الثالث الدال على وجود الله عز وجل بطبعه، وذلك لأنه بعد الالتفات والتأمل بالكون، فهنا يكون التدبير والمدبر واضحين.
- 5- استنتاج الهدف من عظمة الله سبحانه في خلقه، وهذا معنى غير معنى مجرد التدبير والترتيب في الهدفين السابقين.
- 6- استنتاج الهدف من الخليفة عن طريق التفكير في وجود الخليفة، كما في هدف العبادة في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁸⁷. أو غير ذلك من الأهداف الممكنة للخلقة، كما في مثل إقامة الحجة على العباد في قوله سبحانه: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)⁸⁸.

الفقرة (26) مستويات التفكير

⁸⁷ سورة الذاريات آية 56.

⁸⁸ سورة الأنعام آية 149.

سؤال: ما هي مستويات التفكير في الخلق؟.

جواب: هنا مستويات ثمانية:

1- التفكير في المستوى الظاهر من التدبير الكوني، ومثاله حركة الكواكب والنجوم والليل والنهار والفصول واختلاف المخلوقات وغير ذلك.

2- التفكير في العلاقات بين الأشياء، ومثاله العلاقة بين الشمس والأرض، أو القمر والأرض أو القمر والمد والجزر أو بين الشمس والنبات أو بين السحاب والمطر أو بين الجهاز الهضمي والدم أو التنفس والدم. أو بين ثمرة والشجرة. وغيرها.

3- التفكير في التفاصيل الفيزيائية والكيميائية والكهرومغناطيسية للأشياء، ومثاله الذرة ونواتها والهواء والبحار والفضاء الكوني والمجرات.

4- التفكير في الأمور التي يتعذر تفسيرها بالعلوم التجريبية المادي، ومثاله علوم الفيزياء والكيمياء وعلم النفس والباراسايكولوجي وعلم الحيوان وعلم طبقات الأرض وعلم الفلك وغيرها.

5- التفكير في الهدف الذي يستهدفه الكون من حركته بآثاره التساؤلات، ومثاله:

- كيف ولماذا تسير الأرض والشمس وكل النجوم في مدارتها؟.

- كيف ولماذا تسير جزيئات الذرة كالألكترونات والبروتونات وغيرها في مساراتها؟.

- كيف ولماذا وجد العقل ووجدت الذاكرة؟.

- كيف ولماذا وجد الإنسان وسائر الحيوان؟.

- كيف ولماذا كانت خلقة الإنسان على هذا التكوين اللطيف؟.

- تقسيم مراتب وعوالم الخلق أو الكون على أربعة أقسام:

المرتبة الأولى: عالم الطبيعة أو (الناسوت): وهو عالم الأجسام وهو عالمنا الذي نعيشه.

المرتبة الثانية: عالم الملكوت: وهو عالم النفوس.

المرتبة الثالثة: عالم الجبروت: وهو عالم العقول.

المرتبة الرابعة: عالم اللاهوت: وهو عالم الروح.

وقال الفلاسفة والعرفاء: إن الإنسان مكون من جميع هذه المراتب والعوالم الأربعة، وذلك لأن للإنسان جسماً ناسوتياً، ونفساً ملكوتياً، وعقلاً جبروتياً، وروحاً لاهوتياً. بل إن القرآن الكريم دال على أن جميع المخلوقات مكونة من هذه العوالم الأربعة، فكل شيء نفس وملكوت كقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁸⁹. هذا أولاً.

وثانياً: ولكل شيء عقل واختيار، وهو (عالم الجبروت)، كما هو المستنتج من عدد من الآيات الكونية كقوله تعالى: (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)⁹⁰، وقوله تعالى: (وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً)⁹¹، وقوله تعالى: (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا)⁹²، وغير ذلك.

وثالثاً: ولكل شيء حقيقة و (حق) وهو إشارة إلى عالم اللاهوت الروحي كقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)⁹³، وغيرها كثير.

فيثبت أن التفكير كما يمكن أن يعمل عمله في العالم المنظور الطبيعي المتمثل في المستويات الخمسة السابقة التي ذكرناها كذلك يمكن أيضاً أن يعمل التفكير عمله في العوالم الثلاثة التي فوقه، فتكون المستويات ثمانية، ويتم المطلوب.

6- التفكير في عالم الملكوت وهو عالم النفوس.

7- التفكير في عالم الجبروت وهو عالم العقول.

8- التفكير في عالم اللاهوت وهو عالم الروح.

⁸⁹ سورة الأعراف - آية 185.

⁹⁰ سورة فصلت - آية 11.

⁹¹ سورة الكهف - آية 33.

⁹² سورة الأحزاب - آية 72.

⁹³ سورة الحجر - آية 85.

ثم إنه يمكن توسعة هذه المستويات الثمانية من التفكير والقول بأن المستويات الخمسة السابقة كما تنطبق على عالم الطبيعة كذلك تنطبق على العوالم الأخرى الأربعة، فينتج من حاصل ضرب المستويات الخمسة والعوالم الأربعة عشرون مستوى من مستويات التفكير.

الفقرة (27) هل يجتمع التفكير مع العبادات الأخرى؟

سؤال: هل يجتمع التفكير مع العبادات الأخرى؟

جواب: العبادات الأخرى التي يجتمع التفكير معها على أقسام ثلاثة:

1- العبادات الجسدية: وهي العبادة التي لا دخل للفكر فيها إلا بشكل ثانوي كالسعي والطواف والمبيت في منى والصوم ودفع الزكاة وغيرها.

2- العبادة الفكرية: وهي العبادة التي للفكر دخل فيها كقراءة القرآن والأدعية.

3- العبادة الجسدية الفكرية: وهي العبادة التي يشترك فيها الجسد والفكر معاً كالصلاة، حيث يوجد مضافاً إلى الحركات الجسدية في القيام والركوع والسجود، يوجد جانب فكري مهم في النية أولاً والعلم بقراءة القرآن ومعانيه في قراءة الفاتحة والسورة وكذلك سائر أذكار الصلاة كالتشهد والتسليم وذكر السجود والركوع مضافاً إلى جانب الخشوع ونحوه، مما يكون جانبه الفكري أو الذهني عالياً.

فهنا التنافي بين التفكير في الخلق في العبادة، فيجتمع التفكير مع العبادات الأخرى، وإنما يوجد التنافي في العبادة الفكرية، لأنه فكر واحد. فأما أن يفكر الفرد في الخلق وأما أن يفكر الفرد في عبادته، وأيا من هذين النحويين من التفكير يختار الفرد. فيكون السؤال المطروح في هذه الفقرة سؤالاً وهمياً لعدم حصول التنافي بين التفكير في الخلق في العبادة. مع الالتفات إلى نقطتين مهمتين تخصان العبادة الجسدية الفكرية:

1- أن التفكير في العبادة الجسدية الفكرية يستدعي التفكير في الخلق، فعند قراءة القرآن الكريم والأدعية والقرآن المقروء في الصلاة أو الذكر الذي في الصلاة، فهنا المطلوب هو التفكير في

معاني هذه الأذكار، ومعلوم أن هذه المعاني من جملة أجزاء الكون أو إنها تجيل الذهن في أنحاء مختلفة من الكون، فيثبت أن التفكير في هذه العبادة هو تفكير في الكون أو الخلق نفسه، ويتم المطلوب.

2- أن هناك أساليب عليا من التفكير في الخلق تستدعي استدامة واستزادة الخشوع الخضوع والتبتل في العبادة كالصلاة، وليس هذا التفكير يكون سببا لنقصان التفكير في الخلق، كما يدعي السائل، وهذا يختلف باختلاف المدركات الإيمانية للمصلي. بل التفكير في جميع العلوم يستدعي التفكير في الخلق الموصل الى الارتباط بالله سبحانه، وذلك لأن جميع هذه العلوم إنما تعكس قدرة الله سبحانه في الكون وعجيب تدبيره تعالى لهذا الكون. وإنما ينافي عملية التفكير في الخلق أمر رئيسي واحد، هو معنى التفكير المنفصل والمنعزل عن معرفة الله تعالى، ومثاله:

- التفكير في سائر الأمور الدنيوية.

- التفكير في العلوم ذات الطابع المادي.

- التفكير في الأمور المحرمة من الناحية الشرعية، كشرب الخمر والزنا والسرقه وسماح الأغاني الجنسية، وغير ذلك.

الفقرة (28) دوام التفكير

سؤال: هل المطلوب مجرد التفكير المؤقت أو التفكير الدائم؟

جواب: يختلف الجواب باعتبار اختلاف قدرات الشخص من ناحية، وأهداف الشخص في التفكير من ناحية أخرى، فهنا تفصيل.

1- إن كان المراد أو الهدف من التفكير هو الاعتبار بظاهر الخلق، فهنا أمكن القول بالتفكير الدائم مادام الفرد مزودا بسمع وبصر سليمين. هذا أولا.

وثانيا: إن كان المراد أو الهدف من التفكير ما هو أكثر من الاعتبار بظاهر الخلقة , فهنا أمكن القول بالتفكير المؤقت والمحدد بحدود الطاقة العقلية والنفسية لدى الفرد. وكثير من مستويات التفكير العالية لا يكون إلا بحسن التوفيق والتسديد الإلهي.

2- إن كان المراد أو الهدف من التفكير هو مجرد إثبات وجود الله سبحانه من أجل دخول الفرد في الإسلام مثلا، فهنا أمكن القول بالتفكير المؤقت والمحدد بالزمن القليل من التفكير في حدود التوصل إلى هذه النتيجة. هذا أولا.

وثانيا: إذا كان المراد أو الهدف من التفكير ما هو أكثر من مجرد إثبات وجود الله سبحانه، كالتعارض الكثير من الخلق ومن حوادث الدهر، أو الذكر الكثير لله سبحانه وتعالى إطاعة لقوله جل جلاله: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)⁹⁴. فهنا لا يمكن القول بالتفكير المؤقت، بل كلما كان التفكير أكثر كان أفضل بطبيعة الحال.

الفقرة (29) درجة التفكير

سؤال: ما هي درجة المطلوبة من التفكير ؟.

جواب: جميع مستويات التفكير أمر راجح ومنتج لنتائج التفكير الحسنة والمطلوبة في عقل ونفس وقلب الإنسان، ولكن بحسب اعتقاد المصنف قدس أن الأرجح هو أن يمارس الفرد عملية التفكير في أعلى مستوى ودرجة إيمانية فكرية ممكنة لهذا الفرد، وذلك بسبب وضوح أن الفرد مع وصوله إلى درجة معينة من الإيمان فيكون من المناسب لهذا الفرد أن يمارس تفاصيل ذلك المستوى الإيماني من أجل حصول التكامل والصعود في درجات الكمال، وتكون الدرجات الإيمانية والفكرية السابقة والانزل أو الأدنى من ذلك المستوى الإيماني والفكري غير مناسبة وغير مسببة لحصول التربية والتكامل المطلوب، بل تكون هذه الدرجات الفكرية الإيمانية باصطلاح العرفاء حجابا بين الفرد الساعي وبين ما يستحق الوصول إليه من الدرجات الإيمانية الفكرية المطلوبة في سلم التكامل.

⁹⁴ سورة الأحزاب - آية 41.

كتاب الطهارة

الفقرة (1) معاني الطهارة

سؤال: ما هي معاني الطهارة؟

جواب: الطهارة من الناحية الفقهية لها معنى خاص قد تقدم من المصنف قدس في كتاب (ما وراء الفقه) تفصيل الكلام فيه مع بيان أقسام الطهارة وحكمها، ومنه البرهنة على أمرين⁹⁵:

الأول: أن الطهارة هي عبارة عن الحالة الناتجة عن زوال الدنس إلا أن الأدناس مختلفة، وباختلاف هذه الأدناس تختلف أنواع ومعاني الطهارة مع رجوع جميع هذه الأنواع والمعاني إلى معنى زوال الدنس.

والثاني: أن معاني الطهارة تعود إلى الطهارة المعنوية التي هي زوال الدنس المعنوي كالذنب، ولا تختص هذه المعاني بالطهارة المادية التي هي زوال الدنس المادي كالتراب - وهناك طهارة حكمية ثابتة بحكم الشارع المقدس كالطهارة من الخبث والطهارة من الحدث - وإنما هذا الزوال المادي هو احد معاني الطهارة فقط من بين عدد كثيرة من المعاني التي تعود كلها إلى الجهة المعنوية للطهارة.

فهنا جملة من معاني الطهارة، ومنها اثنان وعشرون معنى:

1. الطهارة من الدنس المادي كما في التراب.

2. الطهارة الخبثية الحكمية الثابتة بحكم الشارع المقدس والناتجة . وتكون عن أعيان النجاسة، كالبول والمني والدم، ومنه قوله تعالى (وَيَبَايِكَ فَطَهِّرْ)⁹⁶.

⁹⁵ ما وراء الفقه ج 1 ق 1 ص 71.

⁹⁶ سورة المدثر - آية 4.

3. الطهارة الحديثة من الحدث الأصغر وهي الطهارة الناتجة عن الوضوء، ولهذه الطهارة جهتان:

الأولى: جهة حكمية وهي جواز الدخول في الصلاة.

والثانية: جهة معنوية وهي نورانية النفس التي تحصل بالوضوء. وقد نص عليها بعض الأخبار: (الوضوء على وضوء نور على نور)⁹⁷.

4. الطهارة الحديثة من الحدث الأكبر وهي الطهارة الناتجة عن الغسل. ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)⁹⁸.

5. انقطاع دم الحيض عن المرأة، ومنه قوله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)⁹⁹.

6. الاستنجاء من البول والغائط، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)¹⁰⁰.

7. التنزه عن الدنس والباطل، ومنه قوله تعالى: (إِنِّي مُتَوَقِّعُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)¹⁰¹.

8. التنزه عن الإثم وما لا يجل، ومنه قوله تعالى: (أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنَظَّهَرُونَ)¹⁰².

9. طهارة ونقاء الأخلاق من السوء والنفاق.

10. طهارة وهدى القلب، ومنه قوله تعالى: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)¹⁰³.

11. الطهارة التي تحصل بإقامة الحد.

⁹⁷ الوسائل ج 1 م 1 - الباب 8 من أبواب الوضوء - حديث 8.

⁹⁸ سورة المائدة - آية 6.

⁹⁹ سورة البقرة - آية 222.

¹⁰⁰ سورة البقرة - آية 222.

¹⁰¹ سورة آل عمران - آية 55.

¹⁰² سورة الأعراف - آية 82.

¹⁰³ سورة الأحزاب - آية 53.

13. الطهارة التي تحصل بالعلو عن الماديات كالملائكة والأرواح العليا.

14. الطهارة التي تحصل بالختان.

15. الطهارة التي تحصل للذات كلها، ومنه قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)¹⁰⁴.

16. الطهارة التي تحصل في الأموال، ومنه قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)¹⁰⁵. بمعنى تزكية وتطهير الأموال، وأما بمعنى تزكية وتطهير الذوات والنفوس فالطهارة راجعة إلى الذات.

17. الطهارة التي تحصل للصحف، ومنه قوله تعالى: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً)¹⁰⁶.

18. الطهارة التي تحصل للشراب، ومنه قوله تعالى: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)¹⁰⁷.

19. الطهارة التي تحصل لبیت الله الكعبة المشرفة، ومنه قوله تعالى: (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)¹⁰⁸.

20. الطهارة التي تحصل للماء، ومنه قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)¹⁰⁹.

21. الحلية والجواز، ومنه قوله تعالى (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)¹¹⁰.

22. الطهارة التي تحصل للثياب بمعنى معنوي، فيقال: رجل طاهر الثياب، أي منزّه، ومنه قوله تعالى: (وَيُثَابِّك فَطَهِّرْ)¹¹¹.

¹⁰⁴ سورة الأحزاب - آية 33.

¹⁰⁵ سورة التوبة - آية 103.

¹⁰⁶ سورة البينة - آية 2.

¹⁰⁷ سورة الإنسان - آية 21.

¹⁰⁸ سورة الحج - آية 26.

¹⁰⁹ سورة الفرقان - آية 48.

¹¹⁰ سورة هود - آية 78.

¹¹¹ سورة المائدة - آية 4.

الفقرة (2) في بعض أعمال المؤمن ما بين الطلوعين

سؤال: ما هي الأعمال التي يستحب أن يقوم بها الفرد بين طلوع الفجر وبين طلوع الشمس؟.

جواب: هنا جملة من الأعمال والآثار التي يستحب أن يقوم بها الفرد بين طلوع الفجر وبين طلوع الشمس:

1- النوم واليقظة، أي أن النوم في هذه الفترة الزمنية من وقت ما بين الطلوعين مكروه من الناحية الشرعية، وإنما هذا الوقت مخصص لذكر الله عز وجل من دعاء وصلاة، خصوصاً وأن الجسم قد أخذ قسطه من النوم، ولم يحن بعد وقت العمل والارتزاق. وقد ورد في الحديث: (إن الله سبحانه يقسم الأرزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فإياكم وتلك النومة)¹¹². هذا أولاً.

وثانياً: مع هذا الحكم بكراهة النوم في هذا الوقت وتقسيم الأرزاق فينبغي أن يكون الفرد مستيقظاً ليحصل على رزقه، والمقصود بهذا الرزق هو الرزق المعنوي، وذلك بسبب وضوح وصول الرزق المادي إلى اليقظ والنائم معاً.

2- أن يقول الفرد إذا استيقظ آخر الليل: (الحمد لله الذي بعثني من مرقدتي هذا ولو شاء جعله سرمداً)¹¹³. ويضيف: حمداً دائماً لا ينقطع أبداً ولا تحصى له الخلائق عدداً)¹¹⁴. هذا أولاً.

وثانياً: يستحب أن يكون وقت الاستيقاظ قبل الفجر بساعة في زمان يسع الطهارة والقيام بباقي الأعمال من صلاة الليل والأذكار، فإذا انتهت هذه الساعة ودخل وقت طلوع الفجر، فهنا صلى الفرد فريضة الفجر.

3- روي أن النبي صلى الله عليه وآله حين كان ينظر إلى السماء بعد استيقاظه، فإنه كان يقرأ هذه الآيات الواردة في آخر سورة آل عمران: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

¹¹²مفتاح الفلاح ص 9.

¹¹³ بحار الأنوار ج 76 - ص 203 - حديث 20.

¹¹⁴ بحار الأنوار ج 97 - ص 146 - حديث 4.

وَالْأَرْضِ. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ¹¹⁵. هذا أولاً.

وثانياً: يستحب أن يدعو الفرد عند طلوع الفجر الصادق: (اللهم أنت صاحبنا فصل على محمد وآله وأفضل علينا اللهم بنعمتك تتم الصالحات فصل على محمد وآله وأتممها علينا. عائذاً بالله من النار. عائذاً بالله من النار عائذاً بالله من النار)¹¹⁶. ثم يقول: (يا فالقه من حيث لا أرى ومخرجه من حيث أرى صل على محمد وآله واجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً)¹¹⁷.

وثالثاً: ثم تقول مرات: (اللهم إني أشهد أنه ما أصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمذكرك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها على حتى ترضى وبعد الرضا)¹¹⁸.

ورابعاً: قل إذا سمعت صوت الأذان عند الفجر: (اللهم إني أسألك بإقبال نهارك وإدبار ليلك وحضور صلواتك وأصوات دعائك وتسبيح ملائكتك أن تصلي على محمد وآل محمد تتوب علي انك التواب الرحيم)¹¹⁹.

4- التخلي، أي إذا أردت التخلي، فقدم رجلك اليسرى عند الدخول وقل: (بسم الله وبالله أعوذ من الرجس النجس المخبث الشيطان الرجيم)¹²⁰. هذا أولاً.

وثانياً: البدأ بالتسمية في حال الكشف، واتباع الأحكام الفقهية المعتبرة حال التخلي، كوجوب ستر العورة وحرمة استقبال القبلة واستدبار القبلة، فإن في ذلك الاستقبال والاستدبار احتقاراً للقبلة والعياذ بالله. وترك الكلام إلا بذكر الله أو للضرورة. فإن ذكر الله حسن على كل حال، وهو أجل من أن يناله عيب أو نقصان من ذلك. هذا أولاً.

¹¹⁵ سورة آل عمران الآيات 190 إلى 194.

¹¹⁶ مفاتيح الجنان ص 16.

¹¹⁷ مفاتيح الجنان ص 16.

¹¹⁸ مفاتيح الجنان ص 16 و 17.

¹¹⁹ مفاتيح الجنان ص 17.

¹²⁰ مفاتيح الجنان ص 18.

وثالثاً: يستحب أن تقول عند قضاء الحاجة: (اللهم اجعلني طيباً في عافية وأخرجه مني خبيثاً في عافية)¹²¹.

ورابعاً: قل إذا وقع نظرك على البراز: (اللهم ارزقني الحلال وجنبني الحرام)¹²².

وخامساً: روى (إن لله سبحانه ملكاً يلوي عنق الإنسان للنظر إلى ما خرج منه. ثم يقول له: انظر إلى ما سعت له كيف صار)¹²³. وفي الخروج عدة عبر ومواعظ، في نسبة الخروج إلى الله تعالى تارة، ونسبة الخروج إلى الفرد تارة أخرى مما لا حاجة إلى الدخول في تفاصيلها.

وسادساً: إذا أردت أن تستنجي فاستبرئ أولاً. ثم اقرأ دعاء رؤية الماء: (الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً)¹²⁴.

وسابعاً: أن تقول عند الاستنجاء: (اللهم حصن فرجي وأعف عورتي وحرمني على النار)¹²⁵.

وثامناً: إذا فرغت وقمت، فامسح بطنك بيدك اليمنى وقل: (الحمد لله الذي أفاض عني الأذى وهنأني طعامي وشرابي وعافاني من البلوى)¹²⁶.

وتاسعاً: ثم تخرج وتقدم رجلك اليمنى للخروج، وتقول: (الحمد لله الذي عرفني لذته وأبقى في جسدي قوته وأخرج عني أذاه. يا لها نعمة لا يقدر القادرون قدرها)¹²⁷.

5- الوضوء، وفيه يستحب السواك، وهو أفضل أشكال تنظيف الأسنان من الناحية الدينية. فإن لم يتيسر السواك، فهنا أمكن تنظيف الأسنان بأي أسلوب آخر كاسلوب التنظيف بالفرشاة المشمول

¹²¹ مفاتيح الجنان ص 18.

¹²² الوسائل ج 1 م 1- الباب 18- من أبواب أحكام الخلوة- حديث 1- ص 235.

¹²³ الوسائل ج 1 م 1- الباب 18- من أبواب أحكام الخلوة- حديث 1.

¹²⁴ مفاتيح الجنان ص 19.

¹²⁵ مفتاح الفلاح ص 301.

¹²⁶ مفتاح الفلاح ص 300.

¹²⁷ مفتاح الفلاح ص 302.

للأمر بالنظافة. واسلوب وضع الاصبع فيما إذا كان ذلك خلال وضع الماء في الفم للمضمضة. هذا أولاً.

وثانياً: يستحب أن يجلس عند الوضوء مستقبل القبلة ويضع الإناء على يمينه ويقول إذا نظر إلى الماء: (الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً)¹²⁸.

وثالثاً: غسل اليد بإراقة الماء عليها قبل إدخالها الإناء، فإن كانت متنجسة كان هذا الغسل واجباً مقدماً لصحة الوضوء. ولا يفرق في استحباب هذا الغسل بين الماء القليل أو الكثير، كالحنيفة والأنهار.

ورابعاً: أن تقول إذا أدخلت يدك في الإناء أو تحت الحنفية: (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)¹²⁹.

وخامساً: المضمضة ثلاث مرات، بجعل الماء في الفم وتحريكه وبزقه، ولكن إذا كان في الفم بعض الأجسام المحترمة كالرز والخبز، وجب- على الاحوط- بلع ماء المضمضة. إلا أن تكون بالوعدة طاهرة.

وسادساً: أن تقول أثناء المضمضة: (اللهم لقني حجتي يوم ألقاك وأطلق لساني بذكراك)¹³⁰.

وسابعاً: الاستنشاق ثلاث مرات بسحب الماء في الأنف ثم إرجاعه. وتقول: (اللهم لا تحرم علي ريح الجنة واجعلني ممن يشم ريحها وروحها وطيبها)¹³¹.

وثامناً: نية الوضوء يمكن أن تكون عند البدء بغسل اليد، أو البدء بغسل الوجه. والأقوى من الناحية الفقهية أنه يكفي فيها قصد الداعي، يعني أن يعلم أنه ماذا يفعل. بحيث إذا سئل عنه استطاع الجواب. فإن كان بحيث يتأمل ويتردد عندئذ، فهذا كانت نيته باطلة.

¹²⁸ مفتاح الفلاح ص 22.

¹²⁹ مفاتيح الجنان ص 21.

¹³⁰ المصباح الفصل الثاني ص 10.

¹³¹ مفاتيح الجنان ص 21.

وتاسعاً: البدء بغسل الوجه بالمقدار المعتبر من الناحية الفقهية، وقل خلال الغسل: (اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه، ولا تسود وجهي يوم تبيض الوجوه)¹³². ويكفي في غسل الوجه كف واحدة مليئة بالماء، فإن كانت ثلاثة أكف، فهنا كان ذلك الوضوء إسباًغاً. وكذلك في اليد اليمنى واليسرى والغسلة الثانية فيها سنة والثالثة بدعة، إلا أن يؤتي بها للتقية، فلا تكون مبطلية. والأحوط استحباباً ترك الغسلة الثانية لليسرى والاكتفاء بالمرة.

وعاشراً: غسل اليد اليمنى فتقول: (اللهم أعطني كتابي بيمينتي والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً)¹³³.

وأحد عشر: غسل اليد اليسرى فتقول: (اللهم لا تعطيني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي وأعوذ بك من مقطعات النيران)¹³⁴.

وثاني عشر: مسح مقدم الراس ببله باطن كفك اليمنى فتقول: (اللهم غشني برحمتك وبركاتك)¹³⁵.

وثالث عشر: مسح ظاهر قدمك الأيمن ببل كفك اليمنى فتقول: (اللهم ثبتني على الصراط يوم تزل الأقدام)¹³⁶.

ورابع عشر: مسح ظاهر قدمك الأيسر ببل كفك اليسرى فتقول: (واجعل سعبي فيما يرضيك عني يا ذا الجلال والإكرام)¹³⁷.

وخامس عشر: قل إذا فرغت من الوضوء: (اللهم اني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك والجنة). وتقول: (الحمد لله رب العالمين)¹³⁸.

¹³² مفاتيح الجنان ص 22.

¹³³ المصباح الفصل الثاني ص 10.

¹³⁴ المصباح الفصل الثاني ص 10.

¹³⁵ المصباح الفصل الثاني ص 10.

¹³⁶ المصباح الفصل الثاني ص 11.

¹³⁷ المصباح الفصل الثاني ص 11.

¹³⁸ الباقيات الصالحات للقمي على هامش مفاتيح الجنان ص 23.

وسادس عشر: ولا ينبغي للفرد العادي ان يستصعب الوضوء، باعتبار وجود هذه الأدعية فيه. فانها مستحبة وتركها ممكن، فان كانت صعبة عليه فليقتصر على ما هو الواجب من أعمال الوضوء.

6- أن صورة الوضوء المتقدمة في فترة ما بين الطلوعين هي نفس صورة الوضوء في كل مرة يتوضأ فيها المؤمن. وينبغي ان يكون الفرد في كل أوقاته على غسل ووضوء وطهارة تامة. فان الكون على الطهارة مروي وله آثار مهمة، منها ما ورد في الروايات من: (انك إذا مت مت شهيدا)¹³⁹. ومن أسهل أساليب الكون على الطهارة من الناحية العملية هو المبادرة إلى رفع الحدث كلما حصل. والوضوء على الوضوء مطلوب إجمالاً. وخاصة عند حصول بعض الفعاليات الدنيوية، وكذلك مطلوبة الوضوء عند إرادة الدخول في أي صلاة. وكذلك مطلوبة الوضوء بحسب فهم المصنف قدس عند حصول بعض المحرمات من الفرد كالكذب والغيبة وغيرها. هذا أولاً.

وثانياً: استحباب تنثية الغسلات في الوضوء، والأحوط وجوباً عدم تنثية الغسلات باليسرى احتياطاً لها في المسح. وكذلك عدم تنثية الغسلات باليمنى إذا أراد المسح بها من دون ان يستعملها في غسل اليسرى. وكذلك عدم تنثية الغسلات بالوجه لأخذ البلل منه عند جفاف بلل اليد.

وثالثاً: يستحب ان يبدأ الرجل بظاهر ذراعيه في الغسلة الأولى، وفي الثانية أن يبدأ بباطن ذراعيه. والمرأة بالعكس بأن تبدأ بباطن ذراعيها في الغسلة الأولى، وفي الثانية أن تبدأ بظاهر ذراعيها.

ورابعاً: كيفية صلاة الليل، وكيفية نافلة الصبح، وكيفية صلاة الصبح ومستحباتها وتعقيباتها، فهذا ما سيأتي في كتاب الصلاة.

الفقرة (3) اثر الغسل معنوياً

سؤال: ما هو الأثر المعنوي والأخلاقي للغسل؟.

¹³⁹ (2) انظر نحوه الوسائل ج 1 م 1 الباب 11 من ابواب الوضوء - حديث 3.

جواب: أن الأثر المعنوي والأخلاقي للغسل هو تطهير جميع الجسد مما علق بهذا الجسد من دنس الحدث الأكبر، وذلك بناءً على تفسيرات ثلاثة:

1- أن الحدث يعني الذنب، فكما أن الحدث مقسم إلى حدث أصغر وحدث أكبر فكذلك الذنب مقسم إلى ذنب صغير وذنب كبير.

2- أن الحدث الأكبر يعني الذنب الكبير.

3- أن الحدث الأصغر يعني الذنب الصغير.

فهنا جميع أنواع الحدث من نوع الأدناس في الفهم الشرعي والمتشرعي، وآثار هذه الأحداث على النفس غير محمودة من حيث السبب ومن حيث النتيجة، فينبغي على الفرد أن يبادر إلى إزالة هذه الأحداث عن طريق الوضوء من جهة الحدث الأصغر أو الغسل من جهة الحدث الأكبر. والحدث بجميع أشكاله يكون ناتجاً عن شهوة أو منقصة، وأمثلة ذلك:

- الأكل والشرب غير الضروري ناتج عن شهوة ولذة.

- الأكل والشرب الضروري ناتج عن منقصة، وهي عدم تحمل الجوع أو عدم إمكان استمرار تحمل الجوع.

- النوم غير الضروري ناتج عن شهوة ولذة.

- النوم الضروري ناتج عن منقصة، وهي عدم تحمل السهر أو عدم إمكان النوم.

- الجنابة ناتج عن الشهوة الجنسية.

- الدماء الثلاثة للمرأة من الحيض والنفاس والاستحاضة ناتجة عن منقصة في التركيب الطبيعي لجسم المرأة.

- تغسيل الأموات، فهنا وجهان:

1- أن يكون نفس الموت منقصة، فيكون تغسيل الميت ناتجاً عن منقصة يستوجب إزالة هذه المنقصة عن طريق الغسل الذي أمرت به الشريعة، بل ظاهر الشريعة أن تغسيل الميت اشد منقصة من غيره من الأحداث، وذلك لوجوب تعدد الغسل إلى ثلاثة أغسال بحيث أن الميت لا يطهر إلا بهذه الأغسال الثلاثة، بينما يطهر الفرد من الأحداث الأخرى كالجنابة بغسل واحد. وأما اعتبار الموت منقصة فليس غريباً بعد وضوح كون الموت عبارة عن سلب جميع فعاليات الحياة بحيث تصبح جثة الميت من قبيل القذارة والنجاسة التي يجب إبعادها أو العورة التي يجب سترها. ومن هنا سميت جثة الميت بالسوءة في القرآن الكريم بقوله تعالى: (يُؤَارِي سَوْءَةً أَخِيهِ)¹⁴⁰.

2- أن الميت يكون مقبلاً على مواجهة الآخرة، لأن الموت هو آخر الدنيا وأول الآخرة، والدنيا مملوءة بالأثقال جراء الذنوب والمعاصي، فينبغي أن يتخفف الميت من الأثقال والادناس والارداًس التي لحقته في الدنيا عن طريق الغسل، فكلما كانت الأغسال أكثر، فهذا كان التطهير أوكد.

وعموماً فهذان الوجهان وغيرهما من الوجوه على نحو (الحكمة) التي ندركها للأحكام الفقهية التي يمكن أن تتخلف وتختلف، وليست هذه الوجوه على نحو (العلة) للأحكام الشرعية على المصطلح الفقهي الثابتة التي لا يمكن أن تتخلف أو تختلف، ولذا وجب تغسيل من لا منقصة فيه كالمعصومين (عليهم السلام).

- غسل مس الميت من أجل التعبد الشرعي بهذا الغسل، فهذا الغسل ليس ناتجاً عن منقصة أو شهوة، إلا أن الغالب في المس أن يكون بشهوة ناتجة عن أسس كثيرة، ومنها الحزن على الموت هذا أولاً.

وثانياً: الشوق إلى الميت.

وثالثاً: الحرص على عدم ابتعاده عن أهله.

فهنا يكون غسل مس الميت لازماً.

ثم إنه تبقى الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الحدث الأكبر وبين الحدث الأصغر، ومحصل هذا الفرق هو الالتفات إلى ما ورد في قولهم عليهم السلام: (من أن الجنابة تخرج من كل البدن)¹⁴¹، فهنا الجنابة هي من الحدث الأكبر، وكذلك الدماء الثلاثة، فيكون خروج الحدث الأكبر من جميع البدن، فيجب غسل جميع البدن، بينما الحدث الأصغر يخرج من عضو الجسم المعين، فلا يجب إلا غسل أعضاء معينة في الوضوء.

بقي الإلماع إلى أمرين مستبطنين لتساؤلين:

الأمر الأول: هل يحدث في مس الميت نقص في جميع الجسم ليجب غسل جميع الجسم أم لا يحدث في مس الميت نقص في جميع الجسم فلا يجب غسل جميع الجسم؟. وجوابه: أحد وجهين:

1- أن غسل مس الميت ثابت بالتعبد الشرعي فيجب غسل جميع الجسد، وخارج عن معنى الحدث الأكبر من جهة حدوث المنقصة والشهوة بتفصيل تقدم.

2- إن التأثير والنقص الحاصل في غسل مس الميت يكون من الناحية المعنوية أو الناحية الروحية، وليس التأثير من الناحية الجسدية أو الناحية النفسية.

الأمر الثاني: هل يجب في حدث النوم الغسل وليس الوضوء من جهة أنه تقدم في أن الحدث الأصغر يخرج من عضو معين من أعضاء الجسم، وليس بجميع الجسم، فالحكمة تقتضي الوضوء في هذا الحدث بينما النوم يحصل في جميع الجسم، فتقتضي في النوم الغسل وليس الوضوء؟. وجوابه: أحد وجوه ثلاثة:

1- إن الوضوء في النوم بنحو (الحكمة) وليست بنحو (العلة)، والحكمة قد تختلف أحياناً بخلاف العلة الثابتة، فهنا يمكن التعبد الشرعي بالوضوء على الرغم من سيطرة النوم على جميع الجسد، فيثبت الوضوء في النوم، ويتم المطلوب.

2- إن النوم لا يحصل من جميع الجسد، وإنما النوم يسيطر على الشعور الموجود في المخ فقط، ويكون باقي التأثير في أعضاء الجسد من باب التسبيب، فيثبت الوضوء في النوم، ويتم المطلوب.

¹⁴¹ دعائم الإسلام ص 114.

3- إن النوم ليس هو الحدث، كما هو المستفاد من لسان الأدلة الشرعية، وإنما الحدث هو الاستيقاظ من النوم، وإنما أشير إلى النوم باعتبار أن النوم ملازم مساوي مع الاستيقاظ، والاستيقاظ كمال وليس نقصاً حتى تقتضي الحكمة الغسل في الاستيقاظ، فيثبت الوضوء في النوم، ويتم المطلوب.

الفقرة (4) الأغسال المجزية عن الوضوء

سؤال: ما هي الأغسال المجزية عن الوضوء؟

الصحيح من الناحية الفقهية هو أن جميع الأغسال الواجبة تجزي وتغني عن الوضوء، كغسل الجنابة وغسل الحيض وغيرهما، بمعنى أن يكفي الفرد بالغسل من دون أیضم إلى هذا الغسل الوضوء بعد الغسل. ولكن يستثنى من هذه الأغسال غسلاّن: غسل المستحاضة، وغسل مس الميت. فهنا أن المهم هو دلالة الدليل على اجزاء واغناء الغسل عن الوضوء مع قطع النظر عن كون الغسل واجباً أو كون الغسل مستحباً، إلا إذا دل الدليل على وجوب الوضوء مع الغسل في مورد معين. ويمكن ان تتلخص المستثنيات في ثلاثة وجوه:

1- غسل المستحاضة وغسل مس الميت إن كان هذان الغسلان تامين من الناحية الفقهية كما تقدم.

2- الغسل المستحب الذي ثبت بأدلة قاعدة التسامح بأدلة السنن، فهنا يجب مع هذا الغسل ضم الوضوء بنية الرجاء أو بنية الاحتياطاً، وذلك لأن دليل هذا الغسل غير كاف، وأدلة قاعدة التسامح نفسها لا تثبت هذه الجهة.

3- الغسل بنية الكون على الطهارة، فهنا لم يثبت من الناحية الفقهية وجود الاستحباب في الكون على الطهارة في الغسل كما ثبت في الوضوء. هذا أولاً.

وثانياً: لم تثبت مشروعية الغسل على الغسل، كما ثبت في الوضوء.

فهنا ان حصل مثل ذلك الاستحباب، ولو كان بنية رجاء المطلوبة، فهنا لزم الوضوء بعد الغسل.

الفقرة (5) في تعداد الأغسال المجزية عن الوضوء وغير المجزية عنه

سؤال: عدد الأغسال المجزية المستحبة؟

جواب: هنا نحوان من الاغسال المستحبة باعتبار اجزاء هذه الاغسال عن الوضوء, وعدم اجزاء هذه الاغسال عن الوضوء:

النحو الأول: الأغسال المجزية عن الوضوء، أي الاغسال التي لا ينبغي الوضوء بعد هذه الاغسال, فمنها:

1. غسل الجمعة, ووقت هذا الغسل من طلوع الفجر من يوم الجمعة إلى غروب الشمس من يوم الجمعة على الأظهر. وكذلك قضاء غسل يوم الجمعة يوم السبت من طلوع فجر يوم السبت إلى غروب يوم السبت.

2. غسل يوم عيد الفطر، وهو اليوم الأول من شوال.

3. غسل يوم عيد الأضحى، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، ووقتهما من الفجر إلى الزوال في هذين اليومين، والأولى الإتيان بها قبل صلاة العيد.

4. غسل يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، والأولى الإتيان به قبل الظهر.

5. غسل يوم التروية، وهو يوم الثامن من ذي الحجة.

6. في الليلة الأولى من شهر رمضان.

7. في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان.

8. في ليالي القدر من شهر رمضان، وهي الليلة التاسعة عشر واللييلة الحادية العشرين واللييلة الثالثة والعشرين منه.

9. الغسل عند احتراق قرص الشمس كله في الكسوف.

10. غسل الإحرام للحج أو العمرة.

11. الغسل لدخول بيت الله الحرام، وهو الكعبة المشرفة.
 12. الغسل لزيارة المعصومين عليهم السلام، أو أي واحد من المعصومين.
 13. الغسل لدخول الحرام المكي.
 14. الغسل لدخول مكة.
 15. الغسل لدخول حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 16. الغسل لدخول المدينة المنورة.
 17. الغسل للاستخارة.
 18. الغسل للاستسقاء، والمقصود الغسل لإيجاد صلاة الاستسقاء.
 19. في يوم المباهلة، وهو يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة.
 20. الغسل لوداع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 21. الغسل لصلاة الكسوف أداء وقضاء.
 22. الغسل في يوم الغدير، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة.
 23. الغسل في يوم المبعث، وهو اليوم السابع والعشرين من رجب.
- النحو الثاني: الأغسال غير المجزية عن الوضوء، أي الاغسال التي ينبغي الوضوء بعد هذه الاغسال، فمنها:
1. غسل ليلة الفطر، وهي ليلة اليوم الأول من شوال، بعد ثبوت الهلال، والأولى استحباباً الإتيان بهذا الغسل أول الليل.
 2. غسل الليلة الرابعة والعشرين من شهر رمضان.
 3. غسل من مس ميتاً بعد تغسيله.

4. غسل من رأى مصلوباً بعد اليوم الثالث من موت المصلوب، وكان الرائي قاصداً إلى رؤية المصلوب.

5. الغسل لانجاز الذبح في الحج.

6. الغسل لانجاز النحر للإبل في الحج إن كان الهدى منها.

7. الغسل لانجاز الحلق أو التقصير في الحج.

8. الغسل في الليالي المفردة من شهر رمضان.

9. الغسل في جميع ليالي العشرة الأواخر منه.

10. الغسل في أول كل شهر، وخاصة رجب وشعبان ورمضان.

11. الغسل في نصف رجب ليلاً أو نهاراً.

12. الغسل في آخر يوم منه.

13. الغسل في نصف شعبان ليلاً أو نهاراً.

14. الغسل في يوم النوروز.

15. في التاسع من ربيع الأول.

16. في السابع عشر من ربيع الأول.

17. في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة.

18. الغسل لزيارة المعصومين عليهم السلام من بعد.

19. غسل تقديم غسل الجمعة يوم الخميس.

20. الغسل لقتل الوزغ.

الفقرة (6) في عبادة الحائض

سؤال: ما هي مستحبات عمل الحائض؟.

جواب: يستحب للحائض أمور، ومنها أمور ثلاثة:

1- أن تتوضأ الحائض وضوءاً من الناحية الشكلية، وذلك لأن هذا الوضوء غير مسبب للطهارة الحديثة من الناحية الفقهية.

2- الجلوس في مصلاها وتذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً وغير ذلك، مقدار زمان صلاتها على الأقل.

3- أن تكون الحائض مأمونة بأن تحفظ الطهارة من حيث الجسد ومن حيث الثياب في غير موضوع الدم، وإن كان هذا الحفظ غير مطلوب من الحائض وجوباً، وأن لا تكون الحائض من نوع الحائض غير المأمونة في النجاسة، والتي يكره سؤها المتبقي من ماء شربها.

الفقرة (7) صفة الموت

سؤال: ما هي صفة الموت؟.

جواب: استعرض المصنف قدس في وصف الموت خطبة من خطب سيد البلغاء والعارفين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث يصف الإمام أهل الدنيا أولاً، ثم يعرج الإمام على وصف الموت، والمستفاد من هذه الخطبة جملة من الأوصاف، ومنها¹⁴²:

1- أن أهل الدنيا قد اقبلوا على جثة الميت الجيفة بعد أن أحب وعشق أهل الدنيا هذه الجثة في الحياة الدنيا، والآن أصبح الميت بعد الموت ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع الميت بأذن غير

¹⁴² نهج البلاغة خطبة 109 ص 159.

سمعية، قد خرقت الشهوات عقل الميت، وأماتت الدنيا قلب الميت. وولعت وحزنت على الدنيا نفس الميت.

2- الميت عبد للدنيا حيثما زالت ومالت الدنيا زال ومال الميت إلى الدنيا، وحيثما أقبلت الدنيا أقبل الميت على الدنيا. ولا يزدجر وينتهي الميت من الله تعالى بزاجر. ولا يتعظ الميت من الله بواعظ وناصح.

3- الميت يرى المأخوذين على الغرة والفجأة، حيث لا إقالة وعفو ولا رجعة إلى الدنيا، كيف نزل بأهل الدنيا ما كانوا به يجهلون، وجاء أهل الدنيا من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدم أهل الدنيا من الآخرة على ما كانوا يوعدون.

4- أن ما نزل بأهل الدنيا غير موصوف، حيث اجتمعت على أهل الدنيا سكرة الموت والفناء، وحسرة الفوت والانقطاع، ففترت واستقرت لهذه السكرة والحسرة أرجلهم وأيديهم، وتغيرت لهذه السكرة والحسرة ألوان جلودهم.

5- ثم ازداد الموت في أهل الدنيا ولوجاً ودخولاً، فحيل ومنع الموت بين أحدهم وبين منطقته وكلامه، وإن الميت لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه على صحة وسلامة من عقله وبقاء من لبه. يفكر الميت فيم أفنى عمره، وفيه أذهب دهره، ويتذكر أموالاً قد جمعها بسهولة وعدم اكتراث في هذا الجمع بين الحلال والحرام والشبهة، وقد لزم هذا الميت تبعات جمع هذه الأموال، وقد أشرف بالموت على فراق هذه الأموال. فتكون هذه الأموال لمن وراء الميت من ورثة ينعمون في الأموال، ويتمتعون بالأموال، فيكون الميت المهنا لغيره من الورثة، والعبء من الحمل على ظهر هذا الميت.

6- أن هذا الفرد مرهون لا يستطيع فك هذه الرهائن من عنقه، فأصبح هذا الفرد يعرض يده ندامة على ما انكشف له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره. ويتمنى هذا الفرد أن الذي كان يغطيه بهذه الرهائن ويحسد عليها قد حازها دونه.

7- لم يزل الموت يبالغ في جسد الميت حتى خالط لسانه سمعه، فصار الميت بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، ويردد طرفه بالنظر في وجوه أهله، يرى حركات السنة أهله، ولا يسمع رجع كلام أهله.

8- ازداد الموت التصاقاً بهذا الفرد، فقبض الموت بصره كما قبض الموت سماعه، وخرجت الروح من جسد الميت، فصار الميت جيفة بين أهله، قد أوحش الأهل من مجنابة الميت، وتباعد الأهل من قرب الميت، لا يسعد الميت باكياً ولا يجيب الميت داعياً.

9- نقل أهل الميت ميتهم إلى مخط في الأرض من القبر، وأسلم الأهل الميت في القبر إلى عمل الميت في الدنيا، وانقطع الأهل عن زيارة الميت في قبره.

1- جعل الله تعالى الموتى على فريقين بعد أن جاء أمر الساعة ويوم القيامة وحساب الناس بعد حشرهم وهلاك جميع من في الأرض ومن عليها وفيها:

الفريق الأول: أهل الطاعة، وصفة هؤلاء أنهم بجوار الله تعالى لهم الخلود في دار الله سبحانه، حيث لا يرتحل من هذه الدار من نزل فيها، ولا تتغير بهم الحال، ولا يعترهم الفزع والخوف، ولا تنالهم الأسقام والأمراض، ولا تعرض لهم الأخطار والصعوبات، ولا تمنعهم الأسفار والانتقال.

الفريق الثاني: أهل المعصية، وصفة هؤلاء أن لهم شر دار، وغل الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وليس سراويل وقمصان القطران من النار، ومقطعات النيران، من عذاب قد اشتد حره، وباب أطبق على أهله، في نار لها شدة وصوت مخيف، ولهيب ساطع، وقصيف هائل. لا يظعن وينتقل مقيمها، ولا يفادي ويفتدى أسيرها، ولا تقصم قيودها، ولا توجد مدة للدار فتقنى وتنتهي هذه النار، ولا يوجد أجل لأهل النار فيقضى هذا الأجل.

الفقرة (8) اخذ العبرة من الموت

سؤال: ما هي العبرة المستفادة من الموت؟

جواب: هنا مستويات أربعة باعتبار نسبة الموت تارة إلى الفرد نفسه، وتارة أخرى نسبة الموت إلى غير الفرد. وعلى كلا التقديرين فأمّا أن نلاحظ أثر الموت في الدنيا، أو نلاحظ أثر الموت في الآخرة، فهنا تكون الأقسام أو المستويات أربعة:

المستوى الأول: أثر الموت على الفرد نفسه في الدنيا، أي بصفة ملاحظة الموت قبل وقوعه، وفيه آثار ستة:

1- أثر اليقين، أي أن الموت أمر يقيني مما لا شك فيه، وإن استبعد واستغفل أهل الدنيا الموت، واعتبر أهل الدنيا الموت كأنه غير موجود، قال الإمام الصادق عليه السلام: (وما خلق الله يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)¹⁴³.

2- أثر العمل، أي أن الموت باعث الفرد إلى العمل من حيث أن الموت باب الآخرة. وفي الآخرة ثواب على الطاعة وعقاب على المعصية مما يستدعي هذا الباب على العمل الجاد في الحصول على الثواب وتجنب العقاب.

3- أثر طول الأمل، أي أن الموت نافي طول الأمل في البقاء من حيث أن الموت ليس له وقت أو أمد موقت معروف، بل وقت الموت محدد بالإرادة الإلهية، فإنه يمكن حصول الموت في أية لحظة من اللحظات وبأي سبب من الأسباب بل من دون سبب.

4- أثر الفراق، أي أن الموت موجب واضح لفراق الدنيا وما في الدنيا من قريب وبعيد ومالك ومملوك، فكل ما هو موجود في الدنيا إنما هو مثل الاستعارة يستعيره الفرد، فلا ينبغي أن يشعر الفرد مع ما في الدنيا من أفراد وأملاك بالارتباط الدنيوي لأنه ارتباط زائل وفان.

5- أثر الطاعة، إن الموت يستلزم مفارقة الجسد للإنسان، فيكون الجسد من قبيل العارية الموهوبة من قبل الله تعالى من أجل الاستعانة بهذا الجسد على الطاعة والمعروف والتوبة والاستغفار، وليس لاستغلال الجسد للعصيان والطغيان. أعاذنا الله من كل سوء وبلاء.

6- أثر التحول، أي أن الموت يستلزم استحالة الجسد إلى جيفة أولاً، ثم التراب الذي يتحول إليه بعد ذلك، ولا يختلف في ذلك التحول والفناء المالك عن الملوك والغني عن الفقير والعالم عن الجاهل والمسلم عن الكافر.

المستوى الثاني: أثر الموت على الفرد في الآخرة، أي بصفة كون الموت طريقاً وباباً للآخرة، وفيه آثار ستة:

1- أثر استحقاق العقاب، أي أن الفرد يجهل مصيره في الآخرة على ماذا يقدم هل يقدم على ثواب جزيل أو على عقاب اليم ؟. ولكن الفرد يعلم باقترافه الذنوب والعيوب. ولذا يقول الإمام السجاد

¹⁴³ من لا يحضره الفقيه ج 1 باب 27 ح 38 ص 124.

(عليه السلام) (إذا نظرت إلى ذنوبي قنطت وإذا نظرت إلى رحمتك طمعت)¹⁴⁴. فهنا يكون استحقاق الفرد الأولي هو العقاب الأليم فيما لم تتداركه الرحمة والمغفرة، وينقل بذلك من العقاب الأليم إلى الثواب الجزيل.

2- أثر تقديم الرحمة الإلهية على العمل الصالح, أي أن ما ينجي الفرد في الآخرة أمران:

أحدهما: العمل الصالح.

والآخر: رحمة الله سبحانه.

ولكن العمل الصالح مهما كان لا يمكن الاعتماد عليه في النجاة باعتبار قلته وقصوره بخلاف سعة وجلالة الرحمة, بل إن منشأ العمل الصالح في الدنيا هو الرحمة وحسن التوفيق، فكيف يمكن تقديم أهمية العمل على الرحمة, أو جعل العمل كفوفاً مساوياً للرحمة.

3- أثر تمني الرجوع إلى الدنيا, لا يوجد هناك دليل يدل على أن كل ميت يتمنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت, ولكن دل الدليل المؤكد على طلب تمني الميت للرجوع إلى الدنيا من أجل ممارسة العمل الصالح, كما قال سبحانه: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)¹⁴⁵. وهذا الدعاء غير مستجاب بحسب ظاهر القرآن الكريم. حيث يجاب الميت: (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)¹⁴⁶. والحكمة من هذا الرفض الإلهي هي لمصلحة هذا الفرد الداعي نفسه, وذلك لأن هذا المتمني يتخيل أنه برجوعه للدنيا فإنه سوف يعمل العمل الصالح, ولكنه بمجرد الرجوع فإنه سوف يرجع إلى ممارسة العمل الطالح, فتكثر بذلك الذنوب, وتزداد العيوبه, وتسوء الآخرة بعد أن أراد ثرة الطاعات والقربات, وحسن الآخرة. هذا أولاً.

وثانياً: أثر وقت تمني الرجوع إلى الدنيا, أي أن تمني الرجوع إلى الدنيا يكون بأحد شكلين:

أحدهما: أن يكون تمني الرجوع عند زمان الاحتضار وفي الساعة الأولى من الموت. بحيث يتمنى الميت أن تعود الروح بصورة فورية, ويعود كما لو كان مغمى عليه ثم يستيقظ.

¹⁴⁴ دعاء أبي حمزة الثمالي مفتاح الجنان ص 187.

¹⁴⁵ سورة المؤمنون - آية 99 - 100.

¹⁴⁶ سورة المؤمنون - آية 100.

والآخر: أن يكون تمنى الرجوع في زمان آخر كيوم القيامة حينما يشاهد الأهل والأحباب، فهنا يكون هذا التمني عند مواجهة الأهل والأحباب من أجل الخلاص من صعوبة هذه الأحوال، والتخلص من أسباب هذه الأحوال التي هي الذنوب، ورجوع الميت إلى الدنيا يكون بحسب اعتقاده مما سوف تعود إليه فرصة التوبة والعمل الصالح.

4- أثر الاهتمام بعالم الموت، أي أن اهتمام الورثة بتجهيز جسد الميت يقابله اهتمام نفس الميت بعالمه الذي وصل إليه، وهوله الذي اطلع عليه، وما يرى ويسمع هناك من حوادث وأشخاص في هذه النشأة الأخرى التي تثبتت بدلالة الأدلة القطعية الثابتة في العقيدة الحقة.

5- أثر اختلاف طريقة الموت، أي أن طريقة الموت مختلفة فلا دليل على أن طريقة الموت واحدة. نعم طريقة واحدة من الناحية التقريبية بالنسبة لموت الجسد، ولكنها مختلفة من عدة حيثيات كحيثية إحساس الفرد نفسه حال النزاع للروح وبعده. هذا أولاً.

وثانياً: حيثية الراحة والألم.

وثالثاً: حيثية الأمن والفرع.

ورابعاً: حيثية عدد ما يرون من الأشخاص، ومن هم هؤلاء الأشخاص؟. وشكل ملك الموت.

بل أن هناك من الأدلة والروايات ما تؤيد هذا الاختلاف في طريقة الموت، كما أن النظر إلى أحوال الموتى يكون قرينة على ذلك الاختلاف، ومن هذه الروايات:

- (إن الموت صعب على الكافر وسهل على المؤمن)¹⁴⁷.

- (بأن الله سبحانه قد يجعل الموت صعباً على المؤمن ليكون سبباً لغفران ذنوبه وتسهيل ما بعده)¹⁴⁸.

- (أنه إذا كان الموت شديداً كان ما بعده أشد، وإن كان الموت سهلاً، كان ما بعده أسهل)¹⁴⁹.

¹⁴⁷ بحار الأنوار ج 6 ص 168 - ح 40.

¹⁴⁸ بحار الأنوار ج 6 ص 151 - ح 3.

¹⁴⁹ بحار الأنوار ج 6 ص 168 - ح 40.

المستوى الثالث: أثر الموت على الآخرين في الآخرة، أي ماهية وحقيقة إحساس الآخرين في رؤية الميت، وفيه آثار خمسة:

1- أثر الالتفات إلى موت نفس الشخص فيما إذا رأى شخصاً ميتاً، فإن كان الرائي غافلاً عن ذلك الموت، فهنا التفتت هذا الرائي إلى الموت بصورة قهرية.

2- أثر نعمة البقاء على قيد الحياة من حيث المبادرة إلى التوبة والعمل الصالح، ومن هنا ورد أن يقول الفرد إذا رأى جنازة: (الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم)¹⁵⁰، أي الحمد لله الذي لم يجعلني من الموتى بأن جعلني من الأحياء.

3- أثر ترجيح عدم الحزن على الميت، وذلك لأن الحزن على الميت إنما يكون لأسباب، فهل يرجح الحزن على الميت بسبب الموت؟. وجوابه: الموت الموت قانون عام لا يمكن الفرار منه، كما قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)¹⁵¹، والحزن على الميت قد يشكل اعتراضاً على القدر الإلهي، فيكون الحزن على الميت حراماً. هذا.

وثانياً: هل يرجح الحزن على الميت بسبب كون الميت من أهل النار؟. وجوابه: الكون في النار من استحقاق الميت، والله تعالى أرفق وأعلم بحقيقة الميت، وليس من المنطقي أن تحزن لشخص يستحق النار.

وثالثاً: هل يرجح الحزن على الميت بسبب كون الميت من أهل الجنة؟. وجوابه: الكون في الجنة سبباً لراحة الميت، وليس من المنطقي الحزن على من يكون في راحة، بحيث يكون هو مرتاحاً وأنت محزون؟!

4- أثر الإيمان بحفظ ورزق وتدبير الله تعالى، فإن هناك من يعتقد بأن موت بعض ممن له ولاية دنيوية أسرية أو اجتماعية أو اقتصادية أنهم يتركون فراغاً دنيوياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً هائلاً، فلا يبقى هناك حافظ ولا رازق ولا مدبر بعد أن مات أمثال هؤلاء. وهذا الاعتقاد ناتج من قلة اليقين بالله سبحانه، وهو أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان لولا أن بعضهم يكفر فيه بحسن نية، مع العلم بأن الحافظ والرازق والمدبر الحقيقي هو الله الحي الذي لم ولن يموت سبحانه وتعالى.

¹⁵⁰ الوسائل ج 1 م 2- الباب 9 من أبواب الدفن ح 1 و 3- ص 230.

¹⁵¹ سورة آل عمران- آية 185.

5- أثر انسحاب وانقطاع الميت, فإن من أعظم العبر والمواظ المستفادة من الموت هو انسحاب وانقطاع الفرد عن أقربائه وأصدقائه بالموت, فينقطع بذلك الموت جميع نشاطات الميت وفعالياته وصوت كلامه ومشيه, وتدفن مع هذا الميت جميع آرائه ووجهات نظره, فيبقى مكانه فارغاً ما من دليل يدل على وجوده إلا ما خلف من أولاد أو متاع أو عمل صالح ينتفع به.

المستوى الرابع: أثر الموت على الآخرين في الدنيا, وفيه آثار خمسة:

1- أثر احترام جسد الميت, فكما يجب احترام جسد الفرد حياً كذلك يجب احترام الجسد ميتاً, وإن قد أصبح هذا الجسد بعد الموت بحالة مزرية ومنظر قبيح, فهذا يجب المسارعة إلى ستر هذا الجسد بدفنه تحت التراب.

2- أثر تجهيز الميت بجملة من التجهيزات التي أمرت بها الشريعة الإسلامية المقدسة, فهذا يجب على المسلمين القيام بهذه التجهيزات.

3- أثر دفن الميت على الأحياء من حيث أن جثة الميت إذا استمرت من دون دفن فيكون وجود هذه الجثة مضرراً بالآخرين قطعاً, فهذا يجب دفن جثة الميت, فيكون الدفن نعمة وليس نقمة, كما قد يخطر في بال المحزونين على الميت.

4- أثر تجديد ذكر الموت في أكثر الأوقات, فهذا يستحب ذكر الموت لكون هذا الذكر فيه حياة للقلوب القاسية.

5- أثر اختيار الموتة الشريفة التي تكون في رضا الله, وفي هذه الموتة من علو القدر في الدنيا والآخرة مادامت الحياة مختومة بالموت الذي لا بد منه. وهذا النحو من الهدف ليستحق التضحية من أجله بالحياة الدنيا وعناصر ومتعلقات هذه الحياة, وذلك لأن الموتة لن تكون إلا واحدة, والتضحية من أجل الموتة لن تنتج موتاً متعدداً, وإنما موتاً واحداً, فلتكن هذه التضحية من أجل الموتة الشريفة المرضية عند الله سبحانه.

سؤال: ما معنى الحياة الثانية والموت الثاني المشار إليه في قوله تعالى: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) 152؟

جواب: فيه وجوه ستة:

1- المشهور بين المفسرين هو اعتبار العدم السابق والوجود اللاحق لهذه الحياة، فهنا معنى الحياة الثانية والموت الثاني:

الأول: العدم السابق على الحياة هو الموت الثاني.

والثاني: الوجود اللاحق لهذه الحياة الآخرة هو الحياة الثانية.

2- المشهور بين المتشرعة هو اعتبار سؤال ومسائلة الميت في القبر بعد دفنه، فهنا معنى الحياة الثانية والموت الثاني:

الأول: إعادة الحياة إلى الميت لإتمام المسائلة هي الحياة الثانية.

والثاني: موت الميت بعد إتمام المسائلة هو الموت الثاني.

3- إن المراد بالحياة الثانية والموت الثاني هو الحياة والموت المعنويان عند الكفار والمنافقين بدليل سياق القرآن الكريم، فهنا معنى الحياة الثانية والموت الثاني:

الأول: الموت المعنوي هو حال الكفر.

والثاني: الحياة المعنوية هي انكشاف الحق في الآخرة حين لا ينفع هؤلاء الكافرون ندم ولا تقبل منهم التوبة. ولذا يقولون في الآخرة: (هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) 153.

4- إن المراد بالحياة الثانية والموت الثاني هو الحياة والموت المعنويان عند المؤمنين فهنا معنى الحياة الثانية والموت الثاني:

152 (1) سورة غافر - آية 11.

153 (1) سورة الشورى - آية 44.

الأول: الموت المعنوي هو الغفلة عن الحق والتلهي بأمور الدنيا لفترة من الزمن.

والثاني: الحياة المعنوية هي صعود المؤمنين بالسباق المعنوي إلى العالم الأعلى، وانكشاف الحقيقة لهم.

5- إن المراد بالحياة الثانية والموت الثاني هو الكثرة والتعدد لأكثر من اثنين، فتكون التثنية بالحياة والموت ليست على نحو الحصر، فهنا أكثر من حياة وموت:

الأول: الحياة والموت في عالم الذر.

والثاني: الحياة والموت في الدنيا.

والثالث: الحياة والموت في البرزخ.

والرابع: الحياة والموت يوم الحساب.

والخامس: الحياة والموت في الثواب.

والسادس: الحياة والموت المعنوي.

الفقرة (10) الموتة الأولى

سؤال: ما معنى الموتة الأولى المشار إليه في قوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى)¹⁵⁴ خصوصاً مع حصول التعارض والمنافاة بين هذه الآية وبين ما تقدم في آية الفقرة السابقة (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) الدالة على وجود موتين أو أكثر من موت ؟.

جواب: فيه وجوه ثلاثة:

¹⁵⁴ سورة الدخان - آية 56.

1- إن المراد من الموتة في هذه الآية هو نفي حصول الموت بعد الدخول إلى الجنة. وأما المراد بالأولى هي السابقة، فيكون المعنى لا يذوقون في نار جهنم الموت إلا الموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا.

2- أن المراد بالموتة الأولى هو موت أهل الجنة، فلا يذوق أهل الجنة إلا موتاً واحداً، وأما أهل النار من الكفار والمنافقين فيذوقون موتين؛ الموت الأول هو موت الدنيا المادي، والموت الثاني هو موت الكفر المعنوي.

3- إن المشهور بين العارفين هو عدم مرور المؤمن العالي الدرجة عند الله عز وجل بالموت الطبيعي الدنيوي، وإن توهم أهله وأصدقائه والآخرين ذلك. وإنما يكون لهذا المؤمن ذلك الموت درجات الإيمان الرفيعة. ومعه فالمراد بالموت الذي سبق مروره، هو موت اسبق من ذلك الموت الدنيوي، وهو أحد أمرين:

أولاً: العدم السابق على الحياة.

وثانياً: عصر الغفلة والتلهي بالدنيا قبل الوصول إلى الدرجة الرفيعة من الإيمان بتفصيل تقدم في بعض الوجوه السابقة في الفقرة السابقة.

الفقرة (11) في تلقين الميت

سؤال: ما الأثر المعنوي لتلقين الميت ؟.

جواب: فيه أمور:

1- أن الأثر المعنوي المستفاد من تلقين الميت حال احتضاره بعد وجوب توجيه الميت إلى القبلة بناء على ما ذكره المشهور هو دفع أثر الشيطان الذي يحاول السيطرة على الميت من أجل أن يبدل عقيدة المحتضر من الإيمان إلى الكفر، ويسمى هذا التلقين بـ(العديلة) أي عدول المحتضر

من العقيدة الصحيحة إلى عقيدة أخرى فاسدة، أو محاولة الاعتراض على القدر الإلهي الذي قضى بموت هذا الميت الذي سيفارق أحبائه وأمواله وجميع ملذات الدنيا¹⁵⁵.

2- أن هذا الفرد المحتضر المشارف على الموت يسمع التلقين بأحد نحوين:

الأول: أن يسمع المحتضر التلقين بجسده وسمعه الطبيعي لكونه لا زال حياً لم يفارق الحياة.

والثاني: أن يسمع المحتضر التلقين بروحه بعد خروجها من الجسد.

ولكن يمكن أن يقال بعدم سماع المحتضر للتلقين في فترة ما بين انقطاع سمعه إلى خروج روحه، ولكن عدم السماع هذا لا ينافي استحباب تلقين المحتضر، وذلك لاحتمال أن يكون الميت بحالة تساعد على سماع التلقي.

3- كيفية التلقين هي إسماع الميت أصول العقيدة الحقة التي تستوجب أن يتذكرها المحتضر مع الإيمان بهذه العقيدة حتى يموت مودة طيبة، فتكون آخرة الميت طيبة. ولا يجب في التلقين اتباع نص معين، وإنما النصوص المروية والموروثة استحبابية مجزية فيما كان النص محتوياً على أصول العقيدة الحقة، ومن هذه النصوص¹⁵⁶:

- (اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم إني أعهد إليك في دار الدنيا أني أشهد إن لا آله إلا أنت وحدك لا شريك لك وإن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإنك تبعث من في القبور. وإن الحساب حق وإن الجنة حق وما وعد الله فيها من النعيم من المأكل والمشرب والنكاح حق. وإن النار حق. وإن الإيمان حق. وإن الدين كما وصفت وإن الإسلام كما شرعت وإن القول كما قلت وإن القرآن كما أنزلت وإنك أنت الله الحق المبين. وإني أعهد إليك في دار الدنيا أني رضيت بك رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبعلي إماماً وبالقرآن كتاباً وإن أهل بيت نبيك عليه وعليهم السلام أنمتي. اللهم أنت ثقتي عند شدتي ورجائي عند كربتي وعدتي عند الأمور التي تنزل بي وأنت

¹⁵⁵ يستحب التلقين في مواضع أو أحوال ثلاثة: 1- التلقين حال الاحتضار قبل الموت. 2- التلقين حال الدفن عند وضع الميت في القبر. 3- التلقين حال الانصراف من الدفن بعد وضع الميت في القبر.

¹⁵⁶ مستدرک الوسائل الباب 2 من أبواب الاحتضار ح3.

ولي نعمتي، وإلهي وإله آبائي، صل على محمد وآله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، وأنس في قبري وحشتي، واجعل لي عهداً عندك يوم ألقاك منشوراً).

فهنا هذا النص وارد بلسان الميت فيستحب للمحتضر أن يتابع ويتلفظ النص إما بصوته فيما إذا كان المحتضر قادراً على التلفظ، وإما بروحه فيما إذا تم موت المحتضر. هذا أولاً.

وثانياً: يمكن أن يكون تلقين المحتضر بأسلوب آخر، وهو أن يقول الملقن: يا فلان بن فلان أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمد رسول الله إلى آخر العقائد الحقة.

وثالثاً: المعروف بين الفقهاء استحباب أن يكون صوت الملقن عالياً مرتفعاً، وليس مجرد أن يكون الصوت مسموعاً من أجل اسماع المحتضر بأحد اعتبارين:

الأول: ثقل السمع المحتمل للميت قبل موته.

والثاني: شدة حالة النزاع والاحتضار التي تجعل المحتضر لاهياً عن سماع الأصوات، فهنا قد يكون الصوت العالي ملفتاً لهذا المحتضر في تلك الحال.

ورابعاً: هناك تلقين آخر بعد وضع الميت في القبر، وقبل طم القبر والبناء عليه، فهنا كيفية هذا التلقين لا تختلف عن كيفية تلقين الاحتضار في المعنى، وكلا التلقينين مستحب، والجمع بين التلقينين معاً أفضل على تفصيل آت في فقرة التلقين في القبر.

4- إن الفائدة من التلقين هي تذكير الإنسان بما يجب عليه من الاعتقاد الحق، كما تقدم، وأما باقي الفوائد كفائدة التوبة أو الاستغفار من الذنوب والتبري من العيوب وغير ذلك فلا يفيد التلقين مثل هذه الفوائد، وذلك لأن زمان هذه المذكورات قد انتهى.

نعم إذا كان زمان التلقين قبل الموت والبدء بخروج روح المحتضر من جسده، فهنا يكون التلقين مؤثراً وإذا فائدة في حصول التوبة والاستغفار، وذلك لأن التوبة إنما تنقطع مع البدء بالموت وخروج الروح من الجسد، والمفروض أن وسواس الشيطان والعديلة قبل بدء الموت، وذلك لأن الشيطان إنما هو في الدنيا ولا تسلط للشيطان على الموتى، فهنا التلقين ينفع في دفع هذه الوسوس.

5- يوجد في النصوص المروية نص يسمى بـ(دعاء العذيلة) يستحب قراءته في حال الاحتضار, ولا يحتاج استعراض نص هذا الدعاء, فيؤخذ من مصادره من كتب الأدعية والزيارات عند الحاجة إليه¹⁵⁷.

الفقرة (12) مستحبات حال الاحتضار

سؤال: ما هي مسنونات من مستحبات ومكروهات حال الاحتضار والتغسيل والتكفين؟

جواب: هنا أنحاء من المستحبات:

النحو الأول: مسنونات حال الاحتضار, وفيه أمور:

1- يستحب نقل المحتضر إلى مصلاه إن اشتد بالمحتضر نزع الموت.

2- يكره أن يحضره جنب أو حائض.

3- يكره مس المحتضر حال النزاع.

4- إذا مات المحتضر يستحب أن تغمض عيناه. هذا أولاً.

وثانياً: يستحب أن يطبق فوه.

وثالثاً: يستحب أن يشد لحياه.

ورابعاً: يستحب أن تمد يده إلى جانبيه.

وخامساً: يستحب أن تمد ساقاه.

وسادساً: يستحب أن ويغطي بثوب.

وسابعاً: يستحب أن يقرأ عنده القرآن، وخاصة سورة يس والواقعة والدخان.

وثامناً: يستحب أن يسرج في المكان الذي مات فيه إن مات في الليل.

وتاسعاً: يستحب إعلام المؤمنين بموته ليحضرُوا جنازته.

وعاشراً: يستحب أن يعجل تجهيزه إلا إذا شك بموته، فينتظر به حتى يعلم موته.

وأحد عشر: يكره أن يثقل بطنه بحديد أو غيره.

وثاني عشر: يكره أن يترك وحده.

النحو الثاني: مسنونات التغسيل، وفيه أمور:

- 1- يستحب أن يوضع الميت على مرتفع حال التغسيل.
- 2- يستحب أن يكون تحت الظلال وليس تحت السماء.
- 3- يستحب أن يوجه إلى القبلة كحال الاحتضار.
- 4- يستحب أن ينزع قميصه من طرف رجله، وإن استلزم فتق القميص بشرط إذن الوارث.
- 5- يستحب أن تليّن أصابعه برفق.
- 6- يستحب أن تليّن جميع مفاصله برفق.
- 7- يستحب أن يغسل رأسه برغوة السدر.
- 8- يستحب أن يغسل فرجه بالاشنان من الماء البارد.
- 9- يستحب أن يبدأ بغسل يديه إلى نصف الذراع في كل غسل ثلاث مرات. ثم يشق رأسه الأيمن ثم شق رأسه الأيسر.
- 10- يستحب أن يغسل كل عضو ثلاثاً في كل غسلة، ويمسح بطنه في الغسلين الأولين إلا الحامل التي مات ولدها في بطنها، فيكره فيها مسح البطن.

- 11- يستحب أن يقف الغاسل على الجانب الأيمن للميت.
- 12- يستحب أن يحفر للماء حفرة خاصة، ولا يسلط الماء على الكنيف من الموضع المعد للخلاء.
- 13- يستحب أن ينشف بدنه بعد الغسل بثوب نظيف وطاهر.
- 14- يكره إلقاء الميت بأن يجلس على قدميه كجلسة إلقاء الكلب.
- 15- يكره ترجيل وتسريح شعره.
- 16- يكره قص أظافره، وإن قصت أظافره أو انقطع منه شيء، فهذا وجب دفنه مع الميت داخل الكفن.
- 17- يكره جعل الميت بين رجلي الغاسل.
- 18- يكره حلق رأسه أو حلق عانته.
- 19- يكره قص شاربه، فإن حصل وانفصل شيء من هذا الشعر، فهذا وجب دفنه مع الميت داخل الكفن.
- 20- يكره تخليل ظفره.
- 21- يكره غسل الميت بالماء الساخن بالنار أو بأي ماء ساخن إلا مع الاضطرار.
- 22- يكره التخطي على الميت قبل التغسيل أو مطلقاً عن قبل أو بعد التغسيل.

النحو الثالث: مسنونات الكفن، وفيه أمور:

- 1- أن يضاف للرجل العمامة، ويكفي في العمامة المسمى. والأولى استحباباً أن تدار العمامة على رأس الميت، وأن يجعل طرفا العمامة تحت حنك الميت على صدر الميت، الطرف الأيمن على أيسر الميت، والطرف الأيسر على أيمن الميت.
- 2- يستحب أن تضاف المقنعة للمرأة، ويكفي في المقنعة المسمى.

- 3- يستحب أن تضاف لفافة لثديي المرأة يشدان بهذه اللفافة إلى ظهر المرأة.
 - 4- يستحب أن يضاف خرقة يعصب بهذه الخرقة وسط الميت ذكراً أم أنثى.
 - 5- يستحب أن تضاف لفافة أخرى للفخذين تلف على الفخذين.
 - 6- يستحب أن تضاف لفافة فوق الأزرار يلف بهذه اللفافة تمام بدن الميت. والأولى استحباباً أن تكون برداً لللفافة برداً يمانياً. كما يمكن استعمال البرد اليماني كإزار.
 - 7- يستحب أن يجعل القطن أو نحوه بين رجلي الميت يستر بهذا القطن العورتين.
 - 8- يستحب أن يوضع على الميت شيء من الحنوط.
 - 9- يستحب أن يحشى دبر ومنخري الرجل.
 - 10- يستحب أن يحشى قبل المرأة إن خيف خروج شيء من المرأة.
 - 11- يستحب إجادة الكفن بأن يكون الكفن من القطن. هذا أولاً.
- وثانياً: أن يكون الكفن أبيض.
- وثالثاً: أن يكون الكفن من خالص المال وطهوره.
- ورابعاً: أن يكون الكفن ثوباً قد أحرم أو صلى فيه الميت.
- وخامساً: أن يلقى على الكفن الكافور والذريرة.
- وسادساً: أن يخاط الكفن بخيوطه إن احتاج الكفن إلى الخياطة، وإن كان الأفضل تجنب الخياطة إلا ما يضطر إليه، وهو تكميل مساحة القطع الواجبة من الكفن.
- 12- يستحب أن يكتب على حاشية الكفن أو على أي قطعة من الكفن: (فلان ابن فلان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإن محمداً رسول الله ثم يذكر الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد.
- هذا أولاً.

وثانيا: ان يكتب على الكفن دعاء الجوشن الصغير ودعاء الجوشن الكبير.

وثالثا: الأفضل أن تكون الكتابة بماء الزعفران، أو بأي لون غير اسود.

ورابعا: يجب أن تكون الكتابة في موضع يؤمن عليه من النجاسة والقذارة، كما لو كتب في الكفن الذي من طرف رأس الميت أو جعلت الكتابة في علبة معدنية.

13- يستحب أن يجعل الطرف الأيمن من اللقافة على أيسر الميت والأيسر على أيمن الميت.

14- يستحب أن يكون المباشر للتكفين على طهارة من الحدث، وإن كان المباشر لذلك التكفين هو الذي باشر تغسيل الميت، فيغسل المكفن يديه من المرفقين بل المنكبين ثلاث مرات، ويغسل رجليه إلى الركبتين. ويغسل كل موضع تنجس من بدنه.

15- يستحب أن يجعل الميت حال التكفين مستقبل القبلة، والأولى استحبابا أن يكون الميت كحال الصلاة عليه.

16- يكره قطع الكفن بالحديد.

17- يكره عمل الأكمام والأزرار للكفن، ولو كفن الميت في قميصه، فهنا يستحب قطع أزرار القميص.

18- يكره بل الخيوط التي يخاط بها الكفن بريق المكفن.

19- يكره تبخير وتطيبب الميت بغير الكافور والذريرة.

20- يكره أن يكون الكفن اسود، بل مطلق المصبوغ، بل مطلق الملون أو المزوق.

21- يكره أن يكتب على الكفن بالسواد.

22- يكره أن يكون الكفن من الكتان.

23- يكره أن يكون الكفن ممزوجاً بابريسم.

24- تكره المماكسة والمعاملة في شراء الكفن.

25- يكره جعل العمامة بلا حنك.

26- يكره أن يكون الكفن وسخاً.

27- يكره أن يكون الكفن مخيطاً.

28- يستحب لكل احد أن يهيئ كفنه قبل موته، ويثاب كلما نظر الناظر إلى الكفن.

29- يستحب أن يجعل مع الميت جريدتان رطبتان:

إحدهما: من الجانب الأيمن من عند الترقوة ملصقه ببدن الميت.

والجريدة الأخرى: من الجانب الأيسر من عند الترقوة بين القميص والأزرار.

والأولى استحباباً أن تكون الجريدتان من جريد النخل، فإن لم يتيسر النخل فمن السدر، فإن لم يتيسر السدر فمن الخلف أو الرمان. فإن لم يتيسر الخلف أو الرمان فمن أي عود رطب. هذا أولاً.

وثانياً: الرطوبة مطلوبة في الجريدتين على أي حال، والمروي أن العذاب يدفع عن الميت ما دامت الجريدتان رطبتين¹⁵⁸.

وثالثاً: يستحب أن يكتب على الجريدتين ما كتب على حواشي الكفن من الشهادة والأدعية.

وربما: يستحب الاحتفاظ عن تلوث الجريدتين بما يوجب المهانة ولو بلف الجريدتين بما يمنع تلوث الجريدتين من القطن ونحوه.

الفقرة (13) الصلاة على الميت

¹⁵⁸ الوسائل أبواب التكفين الباب 7 حديث 1 و 4 و 7، والباب 8 حديث 1.

سؤال: ما هي كيفية الصلاة على الميت ؟.

جواب: فيه أمور:

1- الواجب في تجهيز الميت البدء بالتغسيل ثم التكفين ثم الصلاة على الميت ثم دفن الميت, ومحل الكلام في الصلاة على الميت حيث أن هذه الصلاة ليست كالصلاة الاعتيادية من حيث خلوها من الركوع والسجود والأذان والإقامة. هذا أولاً.

وثانياً: ولا تجب في هذه الصلاة الطهارة من الحدث والخبث. ومن هنا صرحوا أن تسمية هذه الصلاة بالصلاة تسمية مجازية وليس تسمية حقيقية.

2- تتكون الصلاة على الميت من خمسة تكبيرات، بعد كل تكبيرة من هذه التكبيرات بعض الأذكار, وقد ضبط هذه الأذكار في بيت شعر واحد سهل الحفظ السيد مهدي بحر العلوم قائلاً في منظومته:

شهادتان فصلاة فدعا * للمؤمنين وله مودعا

ولم يذكر الناظم التكبيرات في هذا البيت إلا تكبير الختام أو تكبير الوداع.

3- لا يوجد هناك للأذكار بعد التكبيرات نص معين سوى ما يؤدي المعنى، ومن هنا يمكن أن تكون الأذكار مطولة, كما يمكن أن تكون الأذكار مختصرة, فهنا نحوان:

الأول: الأذكار المختصرة: وهي أن يقول المصلي:

- الله اكبر. اشهد أن لا آله إلا الله وان محمداً رسول الله.

- الله اكبر. اللهم صل على محمد وآل محمد.

- الله اكبر. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات.

- الله اكبر. اللهم اغفر لهذا الميت.

- الله اكبر.

الثاني: الأذكار المطولة: وفيه نصوص عديدة نذكر من هذه النصوص نصاً واحداً كنموذج وهو أن يقول المصلي:

- الله اكبر. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة. أو يقول: أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

- الله أكبر. اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد، كأفضل ما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد. وصل على جميع الأنبياء والمرسلين، (ويضيف): والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

- الله اكبر. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وتابع بيننا وبينهم بالخيرات، انك مجيب الدعوات، انك على كل شيء قدير.

- الله اكبر. اللهم إن هذا عبدك وابن عبدك وابن أمتك نزل بك وأنت خير منزل به، اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً وأنت اعلم به منا. اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته واغفر له خطاياه. وارحمنا بعده فإننا لا نقيم بعده إلا قليلاً. اللهم اجعله عندك في أعلى عليين واحشره مع أوليائه الطاهرين واخلف على أهله في الغابرين وارحمه برحمتك يا ارحم الراحمين.

- الله اكبر.

4- في ذكر التكبير الرابع ان كان الميت أنثى، فهنا جعل هذا الدعاء بضمير المؤنث. وان كان الميت اثنان أو أكثر، فهنا جعله بضمير التثنية أو الجمع. وقد قال الفقهاء انه لا يتعين تأنيث الضمير وتذكيره، بل يجوز للمصلي أن يذكر الضمير باعتبار لفظ الميت، وان يؤنث الضمير باعتبار لفظ الجنائز، ومعنى ذلك القول انه لا يجب على المصلي أن يستعلم نوع الميت من الذكورة والانوثة. هذا أولاً.

وثانياً: إذا كان الميت مستضعفاً، فهنا يستحب أن يقول المصلي بعد التكبيرة الرابعة: (اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)¹⁵⁹.

ورابعاً: إن كان الميت طفلاً غير بالغ، فهنا يستحب أن يقول المصلي بعد التكبيرة الرابعة: (اللهم اجعله لأبويه ولنا سلفاً وفرطاً وأجراً)¹⁶⁰.

5- يستحب أن يقف المصلي لا سيما إمام الجماعة في مكانه حتى ترفع الجنازة. ويقول المصلي بعد الانتهاء من الصلاة: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)¹⁶¹.

6- أن المطلوب في هذه الصلاة استحباباً من الناحية الشرعية والأخلاقية هو التوجه والخشوع كأى صلاة أخرى، مع أخذ العبرة والاعتبار بهذا الميت الذي يراه الفرد بعينه، والذي سوف يكون الفرد مثل هذا الميت في زمن غير بعيد.

7- تستحب في هذه الصلاة إقامة صلاة الجماعة، وتكون متابعة المأموم إمام الجماعة بالتكبير، وليس بالأدعية والأذكار.

الفقرة (14) تشييع الميت

سؤال: ما هي مستحبات التشييع؟

جواب: يستحب إعلام المؤمنين بموت المؤمن ليشيع المؤمنون الميت المؤمن، ويستحب للمؤمنين تشييع الميت المؤمن. وقد ورد في فضل التشييع أخبار كثيرة. وللشييع آداب ومسئوليات من مستحبات ومكروهات كثيرة، ومنها:

1- يستحب أن يكون المشيع ماشياً خلف الجنازة خاشعاً متفكراً معتبراً.

¹⁵⁹ الوسائل ج 1 م 2- الباب 3- من أبواب صلاة الجنائز- حديث 2 و 3 و 4 ص 768.

¹⁶⁰ (2) الوسائل ج 1 م 2- الباب 12 من أبواب صلاة الجنائز- حديث 1.

¹⁶¹ (3) فقه الرضا ص 19.

2- يكره الضحك واللعب واللهو والإسراع بالمشي والكلام بغير ذكر الله تعالى والدعاء والاستغفار.

3- يكره الركوب والمشي قدام الجنازة، وإنما يمشي المشيع خلف الجنازة أو في احد طرفي الجنازة.

4- يكره وضع الرداء لغير صاحب المصيبة، فان وضع الرداء يستحب لصاحب المصيبة. ويستحب لصاحب المصيبة أن يمشى حافياً.

5- يستحب إذا كان المشيع حاملاً للجنازة قال: (بسم الله وبالله وصلى الله على محمد وعلى آل محمد. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات)¹⁶².

6- يستحب للحاملين التربع للجنازة، وذلك بأن يبدأ احدهم من الطرف الأمامي الأيمن للنعش، ثم ينتقل إلى الجانب الأمامي الأيسر، ثم ينتقل إلى الجانب الخلفي الأيسر، ثم ينتقل إلى الجانب الخلفي الأيمن، ثم إلى الجانب الأمامي الأيمن الذي كان فيه.

الفقرة (15) شكل القبر

سؤال: ما هي مستحبات الدفن ؟.

جواب: أمور:

- 1- يستحب حفر القبر قدر قامة أو إلى الترقوة، أي حفر القبر إلى حد الكتف.
- 2- يستحب أن يجعل للقبر الواحد لحد واحد مما يلي القبلة في الأرض الصلبة بقدر ما يكون فيه الجلوس. وفي الأرض الرخوة يشق وسط القبر شبه النهر على طول الجسد ويجعل في هذا الشق الميت ويسقف على الشق ثم يهال على القبر التراب. فهنا المفهوم هو بناء اللحد فوق جسد الميت من جميع أطرافه كغرفة صغيرة، وارتفاع الغرفة بقدر الجلوس. ثم يهال التراب في الفضاء الباقي من الحفرة. ويمكن الاستغناء عن كل هذا البناء بالحفر في الأرض في جانب القبر بمقدار هذه

¹⁶² الوسائل ج 1 م 2- الباب 9- من أبواب الدفن حديث 4 ص 831.

الأوصاف، وبناء فوهته من جانب واحد، وملء الحفرة الباقية بالتراب، وأما جعل ارتفاع اللحد قليلا، بحيث يسع الجسد فقط، فهو على خلاف الاستحباب الشرعي. هذا الأول.

والثاني: أما ما يسمى بالسرداب من بناء لحدود متعددة ذات طبقات قد تكون ثلاثة طوابق أو أكثر. فهذا السرداب وإن كان جائزاً من الناحية الشرعية فيما إذا كان سقف اللحد الأعلى ينزل عن سطح الأرض ولو قليلا، وأما إذا كان سقف اللحد أعلى من سطح الأرض، فهنا يكون بناء السرداب غير جائز من الناحية الشرعية. إلا أن عدم الجواز الشرعي يختص بالطبقة العليا دون ما دون الطبقة العليا.

ثم إن المصنف قدس يعلق على فكرة واسلوب بناء السرداب بما حاصله أن يقال: إن أسلوب السرداب وإن كان جائزاً من الناحية الشرعية إلا أنه لا يخلو من خلاف الاحتياط الاستحبابي، ولا يدري أي شخص مبتدع أشاع فكرة بناء السرداب بين الناس. أما الطبقة السفلى التي تكون الأجساد فيها على الأرض فهن لا إشكال في دفنها، إلا أن الإشكال يكون من عدة نواحي:

أولاً: أن أسلوب السرداب إنما هو عبارة عن دفن الموتى في بناء وإن كان الدفن تحت الأرض.

ثانياً: أن أسلوب السرداب يحتوى على دفن ميت فوق ميت واحد أو أكثر من ميت.

ثالثاً: أن أسلوب السرداب يحتوى على دفن ميتين في قبر واحد. وهو لا يخلو من إشكال من حيث عدم قول الفقهاء إن الممنوع أو المرجوح هو دفن ميتين في لحد واحد. بل قال الفقهاء بمنع أو مرجوحية دفن ميتين في قبر واحد، وإن كان الميتان في لحدين، وهذا الدفن يصدق على أسلوب السرداب.

رابعاً: إننا لو أردنا أن نزيل السقف عن جميع السرداب بحيث بدت أرض السرداب مكشوفة لأشعة الشمس، فهنا يكون دفن الموتى في بناء وليس في الأرض، وهذا الدفن غير جائز من الناحية الشرعية.

خامساً: إننا لو أردنا أن نزيل طبقة من سطح اللحد مقدار أربع أصابع بحيث تبرز فيها اللحد فوق سطح الأرض، فهنا هل نقول من الناحية الفقهية بحرمة تسوية وتعديل الأرض باعتبار أن هذا تعديل الأرض ملازم لصعود اللحد فوق سطح الأرض؟!.

فهنا هذه النواحي من الاشكالات على اسلوب السرداب لا يلزم فيما إذا كان القبر واحدا والحد واحدا كما تقدم, وكما أراده الشارع المقدس وكما عرفنا إياه الفقهاء أن يكون.

3- يستحب الذكر عند تناول الميت.

4- يستحب الذكر عند وضع الميت في لحد.

5- يستحب التحفي للنازل إلى داخل القبر.

6- يستحب وحل الأزرار للنازل إلى داخل القبر.

7- يستحب أن تحل عقد الكفن بعد الوضع في القبر من طرف الرأس.

8- يستحب أن يكشف وجه الميت بعد الوضع في القبر.

9- يستحب أن يجعل خد الميت على الأرض.

10- يستحب أن يعمل للميت وسادة من التراب.

11- يستحب أن يوضع شيء من تربة الحسين عليه السلام مع الميت بشكل بعيد عن النجاسة، وكذلك فيما يبعد عن النجاسة لو جعل مع الميت مصحف أو أدعية وأحراز, كما لو وضع ذلك في علبة معدنية بتفصيل سبق.

ثم إن المصنف قدس يستشكل في استحباب الكشف عن وجه الميت, وذلك لأن هذا الكشف يكون بمنزلة إزالة الكفن الواجب عن الميت, فهنا يمكن جعل خد الميت على التراب ليس بنحو المباشرة، بل حال كون الخد في الكفن.

الفقرة (16) التلقين في القبر

سؤال: ما هي كيفية تلقين الميت في القبر ؟.

جواب: أمور:

1- يستحب في القبر تلقين الميت، ووقت هذا التلقين هو عند إنزال واضجاع الميت في القبر، سواء كان التلقين قبل سد اللحد أو كان التلقين بعد سد اللحد من دون فرق في شأن وحال الميت بعد أن أصبح الميت روحاً بلا جسد، وأصبح جسد الميت بلا روح.

2- يستحب أن ينزل إلى القبر ولي الميت أو من يأذن له الولي بالنزول، ويكون نزول الملقن من عند رجلي القبر ويقول: (اللهم اجعلها روضة من رياض الجنة ولا تجعلها حفرة من حفر النار)¹⁶³.

3- يستحب أن ينزل الملقن القبر حافياً مكشوف الرأس محلول الأزار. ثم يتناول الميت، فيبدأ برأس الميت فيأخذه وينزل به القبر ويقول: (بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله. اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك. هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله. اللهم زدنا إيماناً وتسليماً)¹⁶⁴. هذا أولاً.

وثانياً: ثم يضجعه على جانبه الأيمن ويستقبل بوجهه القبلة. ويحل عقد أكفانه كما سبق. ثم يشرح عليه اللبن من الطين، ويقول: (اللهم صل وحدته وأنس وحشته وارحم غربته. واسكن إليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك واحشره مع من كان يتولاه من الأئمة الطاهرين)¹⁶⁵.

4- يستحب أن يلقي الميت الشهادتين وأسماء الأئمة عليهم السلام عند وضعه في القبر قبل تشريح اللبن عليه. فيقول: يا فلان بن فلان (أو يا عبد الله): اذكر العهد الذي خرجت عليه من دار الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وإن محمداً عبده ورسوله وإن علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين (وذكر الأئمة واحداً واحداً) أئمتك أئمة الهدى الأبرار¹⁶⁶. هذا أولاً.

وثانياً: إذا فرغ من تشريح اللبن على الميت أهال عليه التراب ويهيل كل من حضر استحباباً بظهور الأكف ويقولون عند ذلك: إنا لله وإنا إليه راجعون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله

¹⁶³ المصباح ص 9.

¹⁶⁴ نفس المصدر السابق.

¹⁶⁵ نفس المصدر السابق.

¹⁶⁶ نفس المصدر السابق.

ورسوله. اللهم زدنا إيماناً وتسليماً¹⁶⁷. ويقرأون على روحه سورة الفاتحة وثلاث مرات سورة التوحيد.

وثالثاً: إذا أراد الخروج من القبر خرج من قبل رجلي الميت. ثم يطم القبر، ويرفع عن الأرض مقدار أربعة أصابع، ولا يطرح فيه من غير ترابه. ثم يصب الماء على القبر، يبدأ بالصب من عند الرأس ثم يدار من أربعة جوانب القبر حتى يعود إلى موضع الرأس. فان فضل من الماء شيء صب على وسط القبر. فإذا سوي القبر وضع يده على القبر من أراد ذلك ويفرج أصابعه ويغمرها فيه ويدعو للميت، فيقول: (اللهم أنس وحشته وارحم غربته وأسكن روعته وصل وحدته واسكن إليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك. واحشره مع من كان يتولاه)¹⁶⁸.

ورابعاً: إذا انصرف الناس عن القبر تأخر أولى الناس بالميت ويقوم هذا الولي بتلقي الميت تلقيناً ثالثاً بنفس الكيفية السابقة. يقول بعد التلقين: (ثبتك الله بالقول الثابت وهداك إلى صراط مستقيم وعرف الله بينك وبين أوليائك في مستقر رحمة)¹⁶⁹. ثم يقول: (اللهم جاف الأرض عن جنبه واصعد بروحه إليك ولقه منك برهاناً، اللهم عفوك عفوك)¹⁷⁰.

الفقرة (17) ماذا للميت في الدنيا بعد موته؟

سؤال: ماذا يكون للميت في الدنيا بعد موته؟

جواب: يكون للميت في الدنيا بعد موته أمور:

- 1- الأموال التي تقسم بين الغرماء من الديانة وبين ورثة الميت.
- 2- الوصية بأن يوصي الميت بثلاث تركته، والوصايا بأن يعين الميت وصياً له على وصيته.

¹⁶⁷ مستدرک الوسائل - الباب ص 28 من أبواب الدفن - حديث 3.

¹⁶⁸ نفس المصدر السابق.

¹⁶⁹ الوسائل ج 1 2 - باب 21 - من أبواب الدفن - الحديث 6.

¹⁷⁰ نفس المصدر.

3- الولاية على القاصرين إن كان للميت ورثة قاصرون، فهل لأم القاصرين حق الولاية على القاصرين بع موت الأب أم ليس للأم ولاية على القاصرين؟.

4- العمل الصالح الذي ينتفع به الميت بعد وفاته.

ومحل الكلام في هذه المذكورات هو العمل الصالح بخلاف البقية فإن لها محلاً آخر، والسؤال المطروح في المقام حول حصول التنافي والتعارض بين مضمون خبرين:

الأول: قولهم عليهم السلام: (انه في الدنيا عمل ولا حساب وفي الآخرة حساب ولا عمل)¹⁷¹.

والثاني: قولهم عليهم السلام: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: كتاب علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يستغفر له)¹⁷².

فالحديث الأول يدل على نفي العمل بينما يدل الحديث الثاني إثبات العمل، فهنا جوانب تسعة:

1- توسيع معنى كتاب العلم في قوله في الحديث الثاني: (كتاب علم ينتفع به) بحيث يشمل هذا العلم الذي ينتفع به الميت جميع العلوم الشرعية والعلوم غير الشرعية.

2- هل يشمل الحديث الثاني الكتب غير العلمية كما في مثل كتاب صناعة كتعليم النجارة أو البناء، أو مثل تاب فكاهاة لترويج النفس بغير الباطل فيما إذا لم يكن معنى الكتاب هو الكتب العلمية؟. وجوابه: فيه جوابان:

الأول: توسيع معنى العلم بحيث يشمل الصناعات ولا يشمل غير الصناعات ككتب الفكاهاة أو تعليم الألعاب المسلية.

الثاني: توسيع معنى الانتفاع بحيث تشمل الكتب العلمية وغير الكتب العلمية من الآلة أو الظرف أو البناء أو الفرش وذلك لوجود قرينة دالة على التعميم، وتلك القرينة أمران:

أحدهما: قوله: (ينتفع به)، أي أن المدار هو النفع فقط.

¹⁷¹ إرشاد القلوب ص 19.

¹⁷² منية المريد للشهيد الثاني ص 25.

وثانيهما: قوله: (صدقة جارية)، أي المدار هو أساليب الانتفاع بالصدقة الجارية.

3- المراد بالصدقة الجارية في الحديث الثاني في قوله: (صدقة جارية) هو معنى الصدقة اللفظي أو المطابقي وهو الوارد المالي الذي يدر بصورة دائمية ومستمرة من أجل قضاء حاجة المحتاجين، أو قضاء بعض المصالح العامة المشروعة، فهنا قيدان:

الأول: الإيراد المالي.

والثاني: الدوام والاستمرار.

فهنا أما قيد الاستمرار فهو مفهوم من لفظ جارية، وأما قيد الإيراد المالي ففيه ضيق في التصور، والصحيح توسعة وشمول الإيراد المالي بالنحو الذي يحصل فيه قضاء حاجة المحتاجين، وأمثلة ذلك:

- صدقة الدار الذي تكون السكنى فيه صدقة جارية.

- التصدق بصدقة الانتفاع بالمسجد الذي تكون الصلاة فيه صدقة جارية.

- التصدق بصدقة غير جارية بأن تكون الصدقة محدودة بزمان معين، أو بمرة واحد فقط بعد موت صاحبها.

فهنا معنى الحديث عام وشامل لجميع هذه المذكورات.

4- المراد باستغفار الولد الصالح الذي يستغفر للميت في الحديث الثاني في قوله: (ولد صالح يستغفر له) هو عدم انحصار العمل باستغفار الولد الصالح، بل أحد معنيين¹⁷³:

الأول: الاستغفار بالحمل الأولي، وهو جميع الأعمال الصالحة التي يمكن تقديمها للميت.

¹⁷³ هنا حملان منطقيان: الأول: الحمل الأولي: وهو الحكم على المفهوم وحده بأن يجعله موضوعاً للحكم، كما في مثل مفهوم الإنسان المحمول على الحيوان الناطق من دون قصد أفراد ومصاديق الإنسان. والثاني: الحمل الشايخ: وهو الحكم على ما وراء المفهوم، بأن تلاحظ المفهوم لتجعله حاكياً عن مصداقه ودليلاً عليه، كما في مثل حمل مفهوم الإنسان على مصداق الضحك.

والثاني: الاستغفار بالحمل الشائع الصناعي, وهو العمل الذي يكون سبباً للمغفرة, سواء كان العمل دعاء بالغفران أو كان العمل من أعمال الرضوان.

5- هل لصلاح الولد دخل في صلاح الميت بأن يكون الاستغفار صادراً من ولد غير صالح, أو يكون الاستغفار صادراً من غير الولد؟.

وجوابه: صلاح الولد ليس داخلاً في صلاح الميت بحسب دلالة القرائن الشرعية الداخلية والخارجية, فإن المهم هو إيجاد سبب الغفران للميت, سواء كان الولد صالحاً أم كان الولد غير صالح, وسواء كان المستغفر له والدّاً للولد أم لم يكن المستغفر له والدّاً للولد. وسواء كان الاستغفار صادراً من الولد أم كان استغفار صادراً من أي إنسان, فهنا أمكن أن يصل الميت الغفران والرضوان في جمع هذه المذكورات.

6- ليس هناك تعارض أو تنافي بين قوله في الحديث الأول: (في الدنيا عمل ولا حساب وفي الآخرة حساب ولا عمل), بين قوله في الحديث الثاني: (انقطع عمله إلا من ثلاث) وذلك من حيث أن المراد بإثبات هذه الثلاث أعمال من كتاب العلم, والصدقة الجارية, واستغفار الولد الصالح هو حصولها في الدنيا, بينما المراد من نفي العمل هو العمل الذي يحصل بالآخرة. وما دام الميت سبباً بشكل آخر لوجود تلك الثلاثة, فهنا سيكون الميت مستحقاً لوصل الثواب إليه, وتكون هذه الأعمال بمنزلة أعماله في الدنيا.

7- هل أن مقتضى قوله في الحديث الأول: (في الآخرة حساب ولا عمل) هو عدم وصول الرحمة الزائدة إلى الميت في الآخرة, وذلك لأن هذه الرحمة الزائدة إنما تصل بالعمل, والمفروض أن عمل الميت منقطع في الدنيا, فهنا انقطعت الرحمة؟.

وجوابه: أن هذا الفهم غير صحيح من وجوه أربعة:

الأول: إن العمل ليس سبباً لوصل الرحمة بقول مطلق, وإنما هناك سبب لوصل الرحمة, وهو التفضل الابتدائي من الله سبحانه, وقد ورد في الدعاء (يا من كل رحمته ابتداء). أي من دون سبب سوى إرادته سبحانه, فهنا يمكن أن تصل الميت الرحمة في الآخرة من دون عمل.

الثاني: إن معنى نفي العمل هو نفي وجود العمل غير الصالح من الذنوب والمعاصي بقريضة (الحساب), وليس نفي العمل الصالح من الطاعات والقربات, فيكون معنى الحديث أنه في الآخرة لا يوجد عمل غير صالح يمكن أن يحاسب عليه الميت.

الثالث: إن معنى العمل هو العمل المأمور به من الناحية الشرعية, فيكون معنى الحديث أنه في الآخرة لا يوجد عمل مرتبط في الشريعة, وذلك لأن الشريعة في الآخرة منتفية.

الرابع: انه دل الكتاب والسنة على وجود بعض الأعمال الصالحة للمؤمنين في الآخرة, وأمثلة ذلك:

- قوله تعالى: (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)¹⁷⁴ أي أن ذكر الله تعالى عمل في الآخرة.

- قوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)¹⁷⁵ أي أن الشفاعة في إنقاذ بعض أهل النار من العذاب عمل في الآخرة.

- قولهم عليهم السلام ما مؤداه: (إن المؤمن لا عبادة له في الجنة إلا التحية والذكر). أي أن التحية فيما بينهم والذكر لله سبحانه عمل في الآخرة.

فهنا قوله في الحديث الأول: (في الآخرة حساب ولا عمل) معنى عام ومطلق يمكن تقييد هذا المعنى بمثل هذه الأدلة القرآنية والسنتية, ومثل هذه الوجوه.

8- ليس هناك تعارض أو تنافي بين قوله في الحديث الأول: (في الدنيا عمل ولا حساب) الدال على نفي الحساب في الدنيا, وبين ما ورد في الكتاب والسنة والتجربة الدال على وجود عدد من أنواع العقوبات الدنيوية البسيطة والمهمة نتيجة لذنوب الناس, وذلك بأحد وجوه ثلاثة:

الأول: إن المراد بالحساب المنفي في الحديث الأول هو الحساب الأخروي وليس المنفي هو العقاب الدنيوي, وما هو الثابت في الدنيا هو العقاب وليس الحساب الأخروي, فإذا اختلف الأمران:

¹⁷⁴ سورة يونس - آية 10.

¹⁷⁵ سورة الأنبياء - آية 28.

أولاً: نفي الحساب الأخروي.

وثانياً: إثبات العقاب الدنيوي.

فهنا يثبت انتفاء التنافي والتعارض، ويتم المطلوب.

الثاني: إن المراد بالحساب المنفي في الحديث الأول هو ما يحصل في الآخرة من تتبع واستقراء أعمال الفرد واحدة واحدة من أجل ينال الفرد جزاءه من هذه الأعمال بالعدل الإلهي كما ورد في الخبر: (إن خيراً فخير وإن شراً فشر). وهذا الحساب الأخروي المنفي غير موجود في الدنيا من حيث أن ما يحصل في الدنيا من أنواع العقوبات الدنيوية ليس من هذا القبيل، فهنا يثبت انتفاء التنافي والتعارض، ويتم المطلوب.

الثالث: إن المراد بالعقوبات الدنيوية ليست عقوبات بالمعنى الحقيقي الكامل لتحقيق العقاب، بل معنى هذه العقوبات هو مجرد إلفات النظر من أجل المقدمة لحصول مثل لاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله سبحانه. ومن هنا قال سبحانه:

- (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)¹⁷⁶.

- (لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ)¹⁷⁷.

وأما سبب تحقق العقاب الحقيقي الكامل فهو منحصر الوقوع في الآخرة.

9- ليس هناك تعارض أو تنافي بين ما ثبت لدى المتشرعة من نفي حصول الحساب الأخروي باعتبار أن هناك من الناس في الآخرة يدخلون الجنة بلا حساب، ومن الناس من يدخل جهنم بلا حساب، وبين قوله الحديث الأول: (انه في الآخرة حساب ولا عمل) الدال على إثبات وجود الحساب الأخروي. وذلك لوجوه ثلاثة:

الأول: إن كلمة (حساب) في الحديث الأول نكرة واقعة في سياق الإثبات، فهنا معنيان:

¹⁷⁶ سورة البقرة - الآية 221.

¹⁷⁷ سورة الأعراف - آية 176.

وثانياً: إفادة العموم أو الكبرى الكلية.

فهنا يكون معنى الحديث هو إن هناك حساباً أخروياً لبعض الناس أو أن هناك حساباً أخروياً لبعض الأعمال، فيثبت عدم وجود الحساب الأخروي لبعض الناس أو بعض الأعمال، فيثبت انتفاء التنافي والتعارض، ويتم المطلوب.

الثاني: إن في هذا الحديث مدلولين:

أولاً: إثبات الحساب الأخروي (في الآخرة حساب).

وثانياً: نفي العمل الأخروي (في الآخرة لا عمل).

والمهم في سياق الحديث هو نفي وجود العمل الأخروي، وليس إثبات الحساب الأخروي، فإذا صدق وجود الحساب الأخروي، فهنا كفى هذا الصدق في صحة السياق، فيثبت انتفاء التنافي والتعارض، ويتم المطلوب.

الثالث: إن معنى الحساب عام وشامل لجميع الأفراد بمقتضى العدل الإلهي، ولكن الحساب له شكلان:

أولاً: الحساب الظاهري الذي يحتاج إلى مزيد من الوقت.

وثانياً: الحساب الضمني السريع (وهو سريع الحساب)¹⁷⁸ الذي لا يحتاج إلى مزيد من الوقت.

فهنا المراد من الحساب هو خصوص الحساب الضمني حيث يدخل أهل الجنة وأهل النار دخولا ضمناً سريعاً من دون المرور بالحساب الظاهري الذي يحتاج إلى مزيد من الوقت.

الفقرة (18) التيمم

سؤال: ما معنى بدلية التيمم عن الوضوء ؟.

جواب: أن معنى البدلية العام هو أن البديل الأقل بعد تعذر الأصل الأهم، كما في مثل من يفقد داراً تقي بجميع حوائجه ومتطلباته، فيضطر إلى السكن في دار تقي بحاجاته الضرورية فقط. ولكن الملاحظ في بدلية التيمم أمور ستة:

1- البدلية التشريعية، أي أن التيمم بدل عن الوضوء من الناحية التشريعية، فلولا اختيار الشريعة لم يكن التيمم بدلاً عن الوضوء.

2- البدلية الترايبية، أي أن التيمم بدل عن الوضوء في خصوص استعمال التراب دون أي شيء آخر.

3- البدلية الأضعف، أي أن الطهارة الناتجة عن التيمم أقل وأضعف من الطهارة الناتجة عن الوضوء، حتى قيل عن الفقهاء: أن التيمم مبيح للأعمال العبادية التي يشترط في صحتها الطهارة ولكن التيمم غير رافع للحدث، بينما الوضوء مبيح لهذه الأعمال ورافع عن الحدث.

4- البدلية المقصودة، أي أن التيمم مهما كان ضعيفاً ولكنه يفي بالمقصود الأساسي، وهو إباحة الدخول في عمل عبادي يشترط في صحته الطهارة كالصلاة.

5- البدلية في الكون على الطهارة، أي أن التيمم من أجل الكون على الطهارة لم تثبت صحته، بينما في الوضوء قد ثبت صحة الوضوء من أجل الكون على الطهارة.

6- البدلية العدمية، أي أن التيمم لا يجوز استعماله إلا عند عدم إمكان استعمال الوضوء بسبب عدم الماء أو بسبب عدم إمكان استعمال الماء بتفصيل موكول في الفقه.

ثم إن بعض هذه الأمور مما يحتاج إلى شيء من الشرح في عدة نواحي، ومنها نواح ثلاثة:

1- أن السبب في اختيار التراب للتيمم راجع إلى حصول التنظيف والتطهير بالتراب في جميع أنواع الطهارة:

أولاً: الطهارة المادية، أي أن التراب منظم ومزيل للأوساخ الاعتيادية، بل يعتبر التراب في بعض الفروض معقماً ودواء وذا آثار طبية مهمة.

وثانياً: الطهارة الحكيمة، أي أن التراب مطهر من النجاسات الحديثة والخبثية الثابتة في حكم الشارع المقدس كالدم والمني والبول وغير ذلك.

وثالثاً: الطهارة المعنوية، أي أن التراب مطهر من الذنب والدنس والرجس المعنوي المنافي لحصول التكامل.

هذا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)¹⁷⁹. أي أن تراب الأرض طاهراً في نفسه مطهراً لغيره. وهذا يشمل سائر أشكال الطهارة ولكن الماء أكثر وأشد تطهيراً وتنظيفاً من التراب، فهنا كان من الناحية المنطقية تقديم الماء على التراب، كما أن ليس من الناحية المنطقية مع فقدان الماء أن يبقى الفرد بلا طهارة مع إمكان تطهيره بالتراب.

2- إن السبب في كون التيمم بالتراب هو البديل الأضعف والأقل في حصول للطهارة بالوضوء بالماء هو اختلاف طبع كلا المادتين أو كلا العنصرين من الماء والتراب، فإن الماء بحسب الطبع أكثر وأشد تطهيراً وتنظيفاً من التراب كما تقدم، سواء كان على مستوى الطهارة المادية، أم كان على مستوى الطهارة الحكيمة والمعنوية كما تقدم. ومن آثار هذه البديلية:

أولاً: لا يعقل مع توفر الطهارة المائية الأفضل الالتفات والانتقال إلى الطهارة الترابية الأضعف.

وثانياً: وقوع الخلاف بين الفقهاء بأن التيمم هل هو رافع للحدث أم أن التيمم ليس رافعاً للحدث، في حين لا شك ولا خلاف في كون الوضوء رافعاً للحدث.

وثالثاً: أن الحصول على الطهارة الترابية الضعيفة لم يكن مطلوباً لذاته، وإنما فقط مطلوباً لحصول نتائجه من إباحة الدخول في الأعمال العبادية التي يشترط في صحتها الطهارة. ولا أقل أنه لا دليل على هذه المطلوبة من الناحية الفقهية، وإن كان الأمر يختلف من الناحية المعنوية والمنطقية، وذلك لأن الحصول على الطهارة الضعيفة أولى من البقاء من دون طهارة في الأوساخ

¹⁷⁹ الوسائل ج 4 الباب 1 - من أبواب ما يسجد عليه - حديث 8.

أو الرجس أو الحدث. كما أن مقتضى بدلية التيمم عن الوضوء هو المطلوبة في كل موضع يكون الآخر مطلوباً، بما فيه مطلوبة الكون على الطهارة.

3- ان السبب والحكمة في اشتراط الوثوق بعدم إمكان الوضوء في صحة التيمم هو الحرص على حصول الطهارة العالية، فيجب على الفرد من الناحية الفقهية أن يبذل الجهد ويتعب النفس في البحث عن الماء في (غلو) سهم أو سهمين، ومن دون ذلك البحث يكون الفرد مهملاً لنفسه ومتسامحاً في طهارته، فنحكم بعدم صحة التيمم. وهناك مستويات معنوية كثيرة لا حاجة إلى الدخول في تفاصيلها.

الفقرة (19) النجاسات

سؤال: ما هي معاني النجاسات؟

جواب: اثنا عشر أمراً.

1- القذارة المادية أو الوسخ.

2- النجاسة الحكيمة أو الخبث.

3- الحدث الأصغر، وهو أسباب الوضوء.

4- الحدث الأكبر وهو أسباب الغسل.

5- نجاسة الكفر.

6- الإثم وما لا يجمل.

7- سوء الأخلاق.

8- ظلام وضلال القلب.

10- كل محرم كالزنا والسرقعة.

11- الأموال الزكوية التي لم تدفع زكاتها، أو المال المدفوع بصفته زكاة. ومن هنا ورد: (إن الزكاة أوساخ أموال الناس)¹⁸⁰.

12- أعيان النجاسة العشرة التي نص عليها الفقهاء، وأما ما تقدم ذكره في رقم (2) من النجاسة الحكمية أو الخبث فهو المتنفس الأول وما بعد المتنفس الأول، أو ما يشمل هذه النجاسة على أقل تقدير. هذا أولاً.

وثانياً: أن الفرد بنفسه وبذاته قد يصبح (عين نجاسة) فيما إذا كانت النفس غير قابلة للتطهير بحصول التوبة والرجوع إلى الهدى والتطهير بخلاف الجسم الذي يكون قابلاً للتطهير عند زوال العين النجس.

وثالثاً: أن وصول الفرد إلى درجة عين النجاسة لا يعني انسداد باب التوبة على الفرد النجس، ولكنه يعني عدم استحقاق الفرد للتوبة، وإن شكله ومستواه العقلي والنفسي من الانحدار والتسافل بحيث لا يكون الفرد قابلاً للصعود والتكامل، وأمثلة ذلك:

- تعبير بعض الأخبار الواردة: داء لا دواء له.

- قوله تعالى على لسان فرعون: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)¹⁸¹.

- قوله تعالى على لسان قارون: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)¹⁸². أ

قوله تعالى على لسان العاق لوالديه: (أَفِ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي)¹⁸³.

¹⁸⁰ البحار ج 16 ص 386 - حديث 96.

¹⁸¹ سورة النازعات - آية 24.

¹⁸² سورة القصص - آية 78.

¹⁸³ سورة الاحقاف - آية 17.

ورابعاً: أن الفرد قد يصبح متنجساً فيما لو كان قابلاً للتطهير عندما يصل إلى درجة أقل من التطرف نحو الباطل، فيكون الفرد قابلاً للهداية، وهذا بخلاف الفرد الذي أصبح عين نجاسة كما تقدم.

وخامساً: أن التطهير المعنوي يكون بالهداية والتوبة والرجوع من الباطل إلى الحق ولكن بعض النجاسات تكون أبطأ أو أصعب طهارة من بعض. ومن هنا يتضح تفسير ما ورد من اختلاف كيفية تطهير بعض النجاسات، ومثاله:

- التطهير الحاصل بمجرد إراقة الماء على النجاسة مرتين.

- التطهير الحاصل بسبع مرات.

- التطهير الحاصل بالفرك والتعفير بالتراب.

الفقرة (20) العبر المستفادة من النجاسات

سؤال: ما هي العبر المستفادة من النجاسات ؟.

جواب: هنا نجاسات عشرة

الأول والثاني: البول والغائط، وفيهما عشرة عبر:

1- أن سبب خروج البول والغائط هو رزق الله سبحانه من الطعام والشراب المحتاج إلى أسباب للحصول على هذا الرزق الإلهي، كما في مثل توفره بصورة طبيعية. هذا أولاً.

وثانياً: توفر النقد الكافي للحصول على هذا الرزق.

وثالثاً: توفر القوة الكافية للسير إلى شرائه أو إلى زراعته أو إلى جنيه أو إلى تحضيره.

2- إن سبب خروج البول والغائط هو صحة خصوص الجهاز الهضمي للإنسان ابتداء من الفم وانتهاء بالمخرج، وجميع هذه الأعضاء من النعم الإلهية الكبيرة التي يجهل الفرد أثرها إلا حين فقدانها. ولذا ورد: (نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان)¹⁸⁴.

3- إن سبب خروج البول والغائط هو صحة عموم جميع أعضاء الجسم من الناحية الحيوية من الغذاء الذي تغذى منه الجسم.

4- إن سبب خروج البول والغائط هو عدم استفادة الجسم من الطعام والشراب بطرح الفضلات الى الخارج، والتي لو بقيت الفضلات في داخل الجسم لأضرت الفضلات بهذا الجسم ضرراً عظيماً.

5- إن سبب خروج البول والغائط هو الشهوة المركوزة في داخل الإنسان والتي يكون استعمال هذه الشهوة راجحاً من حيث شعور الفرد بطيب ولذة هذه النعمة الإلهية. هذا أولاً.

وثانياً: بسبب حفظ النوع الإنساني.

6- إن سبب خروج البول والغائط من الطعام والشراب هو الشهوة المرجوحة من الناحية الأخلاقية من حيث شعور الفرد باستقلال هذه الشهوة عن النعمة الإلهية. ومن هنا قال الدعاء: (وأستغفرك من كل لذة بدون ذكرك)¹⁸⁵. فهنا يتضح لنا تفسير خروج البول والغائط قذراً وذا رائحة غير طيبة ونجساً.

7- إن سبب خروج البول والغائط من الطعام والشراب هو كد اليمين وعرق الجبين والاهتمام بأسباب الدنيا الذي يكون مرجوحاً من الناحية الأخلاقية، فهنا يتضح لنا تفسير خروج البول والغائط قذراً وذا رائحة غير طيبة ونجساً.

8- إن سبب خروج البول والغائط من الطعام والشراب هو الأموال المشبوهة الحلية من الناحية التشريعية أو من الناحية الأخلاقية، فهنا يتضح لنا تفسير خروج البول والغائط قذراً وذا رائحة غير طيبة ونجساً.

¹⁸⁴ بحار الأنوار ج 81 - ص 170 - حديث 1.

¹⁸⁵ مناجاة الناكرين لفماد السجاد عليه السلام مفاتيح الجنان ص 128.

9- إن سبب خروج البول والغائط من الطعام والشراب هو تذكير الفرد بالحكمة القائلة: (إن الإنسان أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وما بينهما يحمل العذرة)¹⁸⁶.

10- إن البول والغائط يذكران الفرد بالدورة الطبيعية التي أرادها الله سبحانه في الطبيعة، فإن الخروج يصلح إن يكون سماداً للنبات، والنبات يصبح بدوره طعاماً، والطعام يصبح بدوره خروجاً، وهكذا.

الثالث: المنى، وفيه ثمانية عبر:

1- أن سبب خروج المنى هو صحة جميع أعضاء الجسم والجهاز التناسلي بصورة خاصة بنعمة الله سبحانه.

2- أن سبب خروج المنى هو رزق الله سبحانه من الطعام والشراب والراحة من حيث أن الفاقد لهذه الأمور يتعذر منه نزال المنى.

3- أن سبب خروج المنى هو الشهوة الموكودة في داخل الإنسان التي انعم الله تعالى بها على الفرد بسبب إحساس الفرد باللذة أولاً، ولحفظ النوع الإنساني ثانياً.

4- أن سبب خروج المنى هو الشهوة المرجوحة من الناحية الأخلاقية، فهنا يتضح لنا تفسير خروج هذا المنى قذراً وذا رائحة غير طيبة ونجساً.

5- إن المنى مادة على الرغم من تفاهتها لإيجاد إنسان تام الخلقة الجسمية والعقلية والعملية والعملية.

6- إن المنى مادة يحفظ بها النوع الإنساني.

7- إن المنى مادة لا يمكن أن تؤثر في إيجاد وتوليد الإنسان إلا مع الجنس الآخر، فهنا يتضح تفسير الزوجية في الكون، قال الله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)¹⁸⁷.

¹⁸⁶ وسائل الشيعة ج 1 الباب 18- من أبواب الخلوة- حديث 4.

¹⁸⁷ سورة الناريات- آية 49.

8- إن المني مادة من الناحية المعنوية تابعة في طهارتها ونجاستها إلى الفرد الذي يحصل منها, والمني مادة نجسة على العموم إلا تلك التي يحصل منها مؤمن طاهر فتكون طاهرة ولكن من الناحية الفقهية تكون نجسة, فهنا يقول الناس: إن نطفته طاهرة.

الرابع: الميتة، وفيها عبر تسعة:

- 1- إن معنى الموت العام هو زوال الحركة والإحساس بعد وجودهما, وهذا المعنى يصدق على الإنسان والحيوان والآلة والبناء والبساتين والنجوم.
- 2- إن معنى الموت العام هو الانقطاع عن النمو والتزايد بعد تحققه, وهذا المعنى يصدق على الإنسان والحيوان والنبات.
- 3- إن معنى الموت من الناحية الطبية هو وقوف النشاط العضوي للجسم كالقلب والتنفس والسمع والبصر, وهذا المعنى يصدق على خصوص الإنسان والحيوان.
- 4- إن معنى الموت الحقيقي هو خروج الروح من الجسد ولكن روح كل شيء بحسب ومقدار هذا الشيء, وهذا المعنى يصدق على الإنسان والحيوان والنبات فيما إذا أثبتنا للنبات روحاً كانت سبباً لنموه.
- 5- إن معنى الموت الحقيقي يتضمن فراق الدنيا والدخول في الآخرة, وهذا المعنى على الإنسان والحيوان, كما قال تعالى: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)¹⁸⁸.
- 6- إن معنى الموت بصفته سكوناً للحركة يصدق فيما إذا سكنت حركة الإيمان في القلب, وسكن الجسد عن الطاعة.
- 7- إن معنى الموت بصفته سكوناً للحركة يصدق فيما إذا سكن وتلاشى حب الدنيا من القلب وسكن الجسد عن بذل مزيد الجهد في طلب المزيد من الدنيا.

8- إن معنى الموت العام ينتج ميتة نجسة إلا إذا كان هناك سبب للطهارة، والسبب من الناحية الفقهية للطهارة في الحيوان هو تذكية الحيوان بالطريقة الشرعية، وذلك لأن في هذه التذكية ذكراً لله عز وجل. هذا أولاً.

وثانياً: توجيه الحيوان نحو القبلة.

9- إن معنى الموت العام ينتج ميتة كل شخص من الإنسان بحسبه، فإن كان الإنسان نجساً في حياته بمعنى ابتعاده عن الهدى، فهنا كانت ميتة الإنسان نجسة من الناحية الفقهية والأخلاقية، وإن كان الإنسان طاهراً في حياته بمعنى براءته من الذنوب والعيوب، فهنا كانت ميتة الإنسان طاهرة من الناحية الأخلاقية، وإن كانت نجسة من الناحية الفقهية، بل أن هناك قولاً فقهياً عن بعض الفقهاء يحكم بطهارة جسد المؤمن حتى قبل غسله، وإن كان هذا القول مخالفاً لحكم مشهور الفقهاء بنجاسة جسد المؤمن قبل غسله.

الخامس: من الأعيان النجسة هو الدم، وذلك بشرطين:

الأول: أن يكون الدم مسفوحاً خارجاً عن الجسد. قال الله تعالى: (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا)¹⁸⁹. فإن كان الدم باقياً في داخل الجسد فحكمه الطهارة، كما في مثل الدم الموجود في داخل أجساد الإنسان والحيوان، وكذلك الحكم بطهارة الدم المتخلف في الذبيحة.

الثاني: أن يكون الدم من حيوان ذي نفس سائلة الذي يتدفق دمه عند ذبحه، بما فيه الإنسان نفسه، فإن لم يكن الدم من حيوان ذي نفس سائلة المسمى بنوات الدم البارد، فحكم هذا الدم الطهارة، كما في مثل دم السمك. وإن كان معنى هذين الاصطلاحين من حيوان ذي نفس سائلة، وحيوان ذات دم بارد من حيث الدقة واحداً، لكن هذا المعنى غالبي الانطباق على بعضهما في كثير من الحيوانات.

وعموماً فالعبر المستفادة من الدم ستة:

1- إن الدم مادة الحياة الرئيسية في داخل الجسم الحي، وأما الشرايين فهي تمثل الطرف المناسب لجريان وتدفق الدم.

¹⁸⁹ سورة الأنعام - آية 145.

2- إن الدم مادة الموت والقتل للإنسان والحيوان بأي سبب كان من أسباب حصول الموت خيراً كان السبب أو شراً كان السبب.

3- إن الدم في داخل الجسم مما لا موجب لنجاسته، وذلك بسبب أن الجسم ظرف الدم في أصل الخلقة. وأما سبب جعل الدم مسفوحاً خارجاً عن الجسد فهو الشهوة المرجوحة من الناحية الأخلاقية، ومثاله:

- قتل الحيوان ناتج من اجل شهوة أكل الحيوان، أو شهوة الأمن من شر الحيوان أو أي شهوة أخرى مثل شهوة الفحص عن تركيب الحيوان من الناحية العلمية.

- قتل الإنسان ناتج عن شهوة القاتل للقتل، أو شهوة المقتول في التصدي للقاتل.

4- إن نجاسة مادة الدم تابعة لصاحب الدم من حيث المستوى الإيماني. فإن القانون العام هو النجاسة من الناحية الفقهية والمعنوية لأي دم مسفوح خارج الجسد. إلا ما كان دم شخص طاهر من الناحية المعنوية مثل الشهيد بالحق ودم الأولياء المعصومين، فهنا يحكم بطهارة هذا الدم من الناحية المعنوية والنجاسة من الناحية الفقهية.

5- إن أكل أو شرب الدم محرم بصفته عين نجاسة من الناحية الفقهية والأخلاقية، وكل نجاسة يحرم أكلها أو شربها، وذلك بسبب الردود السلبية والسيئة على القلب والنفس من الناحية المعنوية والروحية.

6- إن هناك عدداً من الاتجاهات الفكرية والسياسية الباطلة قد اتخذت من شعارها اللون الأحمر الموافق مع لون الدم على حين لم نعرف من الاتجاهات الفكرية الصحيحة من اتخذ ذلك الشعار.

السادس والسابع: من أعيان النجاسة: الكلب والخنزير البريان، فهنا نحوان:

النحو الأول: العبر المستفادة من الكلب، وفيه عبر ستة:

1- الوفاء.

2- النباح على الغريب, ومن هنا قيل في المثل: جنت على أهلها براقش¹⁹⁰. وبراقتش كلبة قيل سمعت وقع حوافر دواب فنبحت فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم. ومعه فإن في هذا النباح نقطة قوة تتضمن الدفاع ضد الخطر المحتمل. هذا أولاً.

وثانياً: المفارقة مع الآخرين الذين لا ينسجمون مع الفرد في الاتجاه الفكري.

3- القناعة بالرزق وعدم التعدي على طعام الآخرين.

4- الهجوم على من يخاف منه والفرار من الشجاع, كما في مثل أكثر الحيوانات والبشر, ولكن المنقول عن الأسد انه يبقى صامداً إلى النهاية بوجه الشجاع الذي لا يخاف منه. كما أن الفرار ليس صفة أخلاقية حميدة بشرط أن لا تقترن بالرجحان أو الوجوب من الناحية الشرعية, كما في مثل:

-موارد وجوب التقية.

- موارد قتال الجيش المهاجم.

5- قدرة الكلب على أكل المواد الصلبة مثل العظم, وفيه الاكتفاء بالطعام الرديء. هذا أولاً.

وثانياً: تحمل الضيف الثقيل.

وثالثاً: تحمل الحزن الشديد.

6- النجاسة، حتى ورد: (انه لم يخلق الله خلقاً أنجس من الكلب)¹⁹¹. وفيه من الناحية الدينية أن النجاسة في الإنسان مقترنة مع الشرك والكفر. هذا أولاً.

وثانياً: أن النجاسة مقترنة مع الشرك الخفي والغفلة والشهوة.

النحو الأول: العبر المستفادة من الكلب, وفيه عبر ثلاثة:

¹⁹⁰ مجمع الأمثال ج 2 ص 18.

¹⁹¹ الوسائل ج 1 الباب 11- من أبواب الماء المضاف- حديث 5- والباب 14 من أبواب النجاسات- حديث 4.

1- النجاسة، ونجاسة الخنزير من الناحية الفقهية أكثر من نجاسة الكلب، بدليل احتياج التطهير إلى كلفة أكثر، كما سيأتي في المطهرات.

2- أكل الخنزير للنباتات دون اللحوم، وفي الحديث المشهور: (لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات)¹⁹².

3- فقدان الخنزير الرقبة، وإنما رأس الخنزير لصيق جسمه، فلو أراد الالتفات التفت بجسمه كله، فهنا وجود الرقبة من النعمة التي تساعد من الناحية المادية على الالتفات أولاً.

وثانياً: تساعد الرقبة من الناحية المادية على مسير الطعام في المريء، فإن لبطء وصول الطعام إلى المعدة دخلاً في هضمه.

وثالثاً: تساعد الرقبة من الناحية المعنوية على بقاء خروج الكلام من الباطن، ومن هنا ورد: اللهم اطل عنقي، ومعناه: انه يمكن إعادة النظر في الكلمات قبل الإفصاح بها. ومن هنا نعرف أن معنى العنق هنا معنى روحي وليس معنى جسدياً.

ورابعاً: تساعد الرقبة أو العنق من الناحية المادية على حسن المظهر والجمال الديكوري، ولكن نقطة الصعوبة أن الرقبة أدق ما في أعضاء البدن مع أنها أهم ما فيه تقريباً. وهذه الدقة تجعل الرقبة أسهل في القطع والبتير بالآلات الجارحة كالسيف. ومن هنا يوصف الفرد في بعض المصادر القديمة: بأنه غليظ العنق، أي من الناحية المعنوية عدم وجود (مقتل) له في نفسه بحيث يكون له العصمة والصيانة الكافية والممانعة ضد مختلف أشكال الاعتداء والكيد النفسي والعقلي وغيرهما.

الثامن والتاسع: من الأعيان النجسة الخمر والفقاع، وفيهما صفتان مشتركتان:

الأولى: السيلان، وفيه سيلان أو سريان المكر في القلب أو في العالم.

والثانية: السكر، وفيه عبر تسعة:

1- الإعراض عن ذكر الله سبحانه.

¹⁹² شرح نهج البلاغة ج 1 - ص 26.

2- الغفلة عن السبب الذي خلق الفرد من أجله.

3- الاشتغال بحب الدنيا.

4- الاشتغال والجد بالحصول على الكثير من الدنيا.

5- نسيان الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

6- الاشتغال بقضاء الشهوة للبطن أو الفرج.

7- الاشتغال بالسعي لأهداف رديئة أو بسيطة.

8- التورط في حجب الظلمة.

9- السفه في العقل والضعف في الرأي.

إلى غير ذلك من الانطباعات المعنوية الدنية.

وهناك عبر وانطباعات عالية ورفيعة عن السكر يدركها السالكون والعارفون في الباطن، ومن أوضح مقربات السكر الباطني هو إن الدنيا والآخرة ضرّتان لا تجتمعان، فالاشتغال الشديد بإحدهما تمثل غفلة والتهاء و (سكر) بالنسبة إلى ترك الاشتغال الأخرى، فأهل الدنيا في (سكر) عن الآخرة، وأهل الآخرة في (سكر) عن الدنيا. وقد يكون الفرد في سكر عن جميع الخلق من أهل الدنيا والآخرة، بل في سكر حتى عن نفسه، وذلك بسبب ما يرى من العظمة الإلهية.

العاشر: من النجاسات: الكافر، والكفر في اللغة يعني الغطاء والحجاب، وفي الناحية الدينية والأخلاقية الذي يكون محجوباً عن الحق والحقيقة فهو كافر، ومن مراتب الكفر ستة:

1- ضد التوحيد. وهو الشرك الجلي.

2- ضد الإسلام. وكل من لم يكن مسلماً.

3- ضد الأديان السماوية أو أهل الكتاب. ومن هنا قال الفقهاء بطهارة أهل الكتاب باستثناء من نجاسة الكفار.

4- ضد الشكر على معنى الجحود للنعمة.

5- ضد التوحيد في الأفعال والصفات، وهو الشرك الخفي.

6- ضد عالم النور، وهو حجب الظلمة.

الفقرة (21) المطهرات

سؤال: ما هي العبر المستفادة من المطهرات؟

جواب: الطهارة المعنوية تعني ارتفاع الدنس بتفصيل تقدم، والتطهير يعنى التسبب إلى الطهارة بمحو الدنس لسبب من الأسباب، أو من دون سبب من باب الابتداء والتفضل الإلهي، ومعه فالمطهرات هي عبارة عن أسباب الطهارة أو التطهير، فهنا مطهرات عشرة:

الأول: الماء، وفيه عبرة أخلاقية مستفادة من الغسل باعتبار أن الغسل يعد الطريقة الرئيسية في حصول التطهير من الناحية حكمية الشرعية والناحية المعنوية الأخلاقية، ومن أمثلة الغسل:

- غسل العار من الزنا.

- غسل الذنوب عن طريق ماء التوبة.

- غسل القلوب عن طريق الذكر.

- غسل النفوس عن طريق الصبر.

- غسل العيوب عن طريق الستر.

- غسل العائبة عن طريق الكريمة.

وأما السبب المطهر الذي يحصل به التطهير فهو (الماء) فإن كان الماء قليلاً، فهنا لم يكن هذا الماء فعالاً في التطهير، بل يحتاج التطهير بهذا الماء إلى تكرار في الغسل. بل لم يكن هو بنفسه محصناً عن النجاسة إن لاقته. هذا أولاً.

وثانيا: الماء المعتصم فعال بالتطهير، ولا يحتاج التطهير بهذا الماء إلى تكرار في الغسل، بل تكفي المرة الواحدة فيه في حصول التطهير. وهذا الماء من الناحية المعنوية محصن ومانع عن النجاسة إلا مع تغير احد أوصافه الثلاثة من اللون والطعم والرائحة، والله سبحانه وتعالى تفضل بإنزال الماء المطهر من سماء الرحمة، وذلك لينزل الماء عن القلوب المظلمة فيحيل الماء القلوب نهاراً ونوراً ساطعاً، قال الله سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَاءً كَثِيرًا)¹⁹³.

وهذا الماء المطهر النازل من سماء الرحمة المطهر معتصم، لا يمكن أن لا يكون محصناً ضد النجاسة واكتساب الرجس، وذلك لكونه ماء نازل من السماء، والسماء تمثل مصدر الحق والحقيقة.

الثاني: الأرض، وفيه عبرة أخلاقية مستفادة من المشي على تراب الأرض من حيث أن المشي يعني التكامل أو الصعود، ولكل منطقة من المشي أرضه الخاصة به، كما أن لكل مرحلة من الصعود درجته الخاصة به، وقد قال الله تعالى هذا المعنى من المشي والدرجات:

- (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)¹⁹⁴.

- (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ)¹⁹⁵.

- (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ)¹⁹⁶.

وفي كل مرحلة أو أرض يحصل تطهير الفرد من الرجس إلى المرحلة أو الأرض التي بعدها بفضل الله سبحانه حتى يحصل التكامل والصعود المطلوب.

¹⁹³ (1) سورة الفرقان - آية 48.

¹⁹⁴ (2) سورة الملك - آية 15.

¹⁹⁵ (3) سورة غافر - آية 15.

¹⁹⁶ (4) سورة آل عمران - 163.

الثالث: الشمس، وفيه أن مطهريّة الشمس ليست ثابتة عند المصنف قدس من الناحية الفقهية ولكن قد ثبتت مطهريتها عند مشهور الفقهاء، وهذه المطهريّة ثابتة من الناحية المعنوية والأخلاقية، ومن العبر المستفادة من الشمس ثلاثة:

- 1- نبي الإسلام صلى الله عليه وآله الذي كان سبب الهداية الحقيقية لكل من اهتدى.
 - 2- النور الإلهي الذي يطرد كل ظلام، سواء كان الظلام في العقل أو في النفس أو في القلب أو في التكوين، أو غير ذلك، وفي جميع الدرجات العليا السماوية والسفلى الأرضية. قال الله سبحانه: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)¹⁹⁷.
 - 3- المؤمن المتكامل من الناحية الإيمانية والأخلاقية الذي يكون بقوله وأفعاله سبباً لهداية الآخرين، وقد ورد في الحديث: (كونوا لنا دعاة صامتين)¹⁹⁸.
- الرابع: من المطهرات: الاستحالة: وهي التحول من معنى نوعي إلى معنى نوعي آخر، ومثاله:
- تحول الخشب بالاحتراق إلى رماد أو إلى دخان.
 - تحول الماء إلى بخار.
 - تحول الطين إلى خزف أو إلى طابوق.
- والعبرة الأخلاقية المستفادة من الاستحالة هي تحول وتبدل الفرد فيما إذا أراد أن يدخل في مبدأ أو عنصر حق مرتبط بعبادة الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)¹⁹⁹ إلى شخصية حقيقية ذات مواصفات جيدة، ومن تطبيقات الاستحالة عند الفقهاء:
- حدوث الدود في العذرة وفي البيضة.
 - حدوث القمل في الباقلاء والحمص.

¹⁹⁷ سورة النور - آية 35.

¹⁹⁸ الوسائل ج 1 الباب 16 من أبواب مقدمة العبادات - حديث 2.

¹⁹⁹ سورة الناريات - آية 56.

فهنا هذا التبدل والتحول النوعي يعني من الناحية الأخلاقية إن الشخصية الجديدة للمؤمن هي حياة جديدة حقيقية, كما قال سبحانه: (لَهِیَ الْحَيَوَانُ)²⁰⁰.

الخامس: الانتقال: وهو أن يطهر المنتقل فيما إذا أضيف إلى المنتقل إليه, وعد المنتقل جزءاً من المنتقل إليه, ومثاله انتقال دم الإنسان الذي يشربه البق والبرغوث والقمل. ومن العبر الأخلاقية المستفادة من الانتقال ثلاثة:

1- انتقال فكرة صالحة من فرد ذي مستوى داني إلى فرد ذي مستوى عالي, وتكون هذه الفكرة الصالحة أليق بالفرد العالي المستوى, ومن هنا ورد: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)²⁰¹.

2- انتقال فكرة هداية من شخص لا يهتدي ولا يعمل بهذه الفكرة إلى شخص يهتدي ويعمل بهذه الفكرة, وقد ورد: تعلمت الحكمة من الجاهلين, كما فعلوا خالفت إلى ضده.

3- انتقال كونية (مادية) أو معنوية من شخص كافر أو فاسق قد توصل إليها بجهد إلى شخص مسلم أو مؤمن يمكنه أن يستفيد من هذه الفكرة من الناحية الدنيوية أو الناحية الدينية.

: من المطهرات: الإسلام: وهو مطهر من نجاسة الكفر وخبائة النفاق إلى طهارة وطيبة الإسلام, ومن العبر الأخلاقية المستفادة من الانتقال سبعة:

1- العقيدة التي جاء بها نبي الإسلام ونطق بها القرآن.

2- الشريعة التي جاء بها نبي الإسلام ونطق بها القرآن.

3- التسليم لقضاء الله وحسن بلائه.

4- الرضا بقضاء الله قدره.

5- إيكال الأمور جميعاً إلى الله سبحانه بصفته هو المدبر الرئيسي والحقيقي للكون، وكفى بالله وكياًلاً.

²⁰⁰ سورة العنكبوت - آية 64.

²⁰¹ الوسائل ج 18 - الباب 6 - من أبواب صفات القاضي - حديث 30 - .. تحف العقول آل الرسول للحراني ص 36.

6- الحاجة الخلقية والتكوينية لله سبحانه وتعالى. قال جل جلاله: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)²⁰².

السابع: الاستبراء للحيوان الجلال: وهو أن الحيوان قد يأكل المادة النجسة حتى ينمو عليها لحمه ويشتد عظمه فيصبح الحيوان الطاهر عين نجاسة فيحتاج هذا الحيوان إلى مدة زمنية يرجع فيها إلى الطهارة، وهذه العملية هي الاستبراء فانه يرجع إلى الطهارة. فهنا العبرة الأخلاقية المستفادة من الاستبراء هي أن الإنسان فيما إذا مارس الكفر والنفاق أو أكل الحرام، حتى نما عليه لحمه واشتد عظمه، فهنا يحتاج هذا الإنسان إلى عملية الاستبراء حتى يرجع إلى الطهارة بالبراءة والنظافة له مما علق بهذا الإنسان الكافر أو المنافق من الرجس والأدران المعنوية عن طريق ماء التوبة والاستغفار ودموع الليل والأسحار.

الفقرة (22) الأواني

سؤال: ما هي العبرة الأخلاقية المستفادة من الأواني المستعملة للطعام والشراب ؟.

جواب: هنا عبر ثلاثة:

1- إن الأنية عبارة عن ظرف مستعمل لحمل الطعام والشراب، فهنا أمثلة لهذا الظرف الحامل:

- العقل ظرف حامل للإدراك.

- النفس ظرف حامل للشهوات.

- القلب ظرف حامل للعواطف.

2- إن الأنية المصنوعة من الذهب والفضة يمنع استعمالها في الطعام والشراب، فهنا استعمال أنية الذهب والفضة في الطعام والشراب يعد من الإسراف والبذخ من الناحية الدنيوية، وهذا النحو من البذخ مذموم وممقوت من الناحية الأخلاقية.

3- إن الآنية عبارة عن ظرف مستعمل لامتصاص النجاسة، فهنا أن بعض النفوس لها الأهلية والقابلة للتأثر بالمعتقدات والمؤثرات الباطلة النجسة، فتكون هذه النفوس جزءاً من كيان هذه المعتقدات، فتكون النفوس نجسة خبيثة، ولا تطهر النفوس عن طريق التراب أو الماء القليل، وإنما تطهر النفوس بالماء المعتصم المنزل من سماء الرحمة بتفصيل سبق في مطهريّة الماء.

كتاب الصلاة

الفقرة (1) في أعداد الصلوات

سؤال: ما هو الملفت للنظر في أعداد الصلوات؟

جواب: تنقسم الصلوات من حيثيات كثيرة إلى أقسام متعددة، ومن هذه الحثيات اثنان:

الأول: من حيث الوجوب والاستحباب، فهنا قسمان:

1- الصلوات الواجبة.

2- الصلوات المستحبة.

الثاني: من حيث التوقيت وعدم التوقيت، فهنا قسمان:

1- الصلوات المؤقتة.

2- الصلوات غير المؤقتة.

ثم إن جميع الصلوات الواجبة مؤقتة ولكنها على قسمين من حيث اليومية وعدم اليومية:

1- الصلوات الواجبة اليومية كصلاة الصبح.

2- الصلوات الواجبة المؤقتة غير اليومية كصلاة الآيات.

وأما الصلوات المستحبة من حيث الوقت واليومية فيها أقسام:

1- الصلوات المستحبة المؤقتة اليومية كصلاة الليل ونافلة الفجر.

2- الصلوات المستحبة المؤقتة غير اليومية كصلاة أول الشهر ونافلة شهر رمضان.

3- الصلوات المستحبة غير المؤقتة كباقي الصلوات الكثيرة التي لا عدد لها المندرجة تحت قوله عليه السلام: (الصلاة خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر)²⁰³.

وعموماً فإن الملفت للنظر في أعداد الصلوات أمور خمسة:

1- إن أغلب الصلوات المستحبة من النوافل المؤقتة غير اليومية مما لم ترد بدليل معتبر من الناحية الفقهية، وإنما يأتي بها الفرد بنية رجاء المطلوبة، وذلك باعتبار قاعدة التسامح بأدلة السنن التي ثبتت بأخبار من بلغ أو من بلغه، كما في الوارد في قوله عليه السلام: (من ورده ثواب على عمل فعله كان له ذلك الثواب وإن كان رسول الله (ص) لم يقله)²⁰⁴. هذا أولاً.

وثانياً: أن هذا الحكم من عدم ورود هذه الصلوات بدليل معتبر مما لا يختلف بين ما كان لهذه الصلوات سبب زمني، كصلاة أول الشهر أو كان لهذه الصلوات سبب غير زمني كصلاة الوالدين. ولكن يستثنى من ذلك بعض الصلوات، ومنها:

- نافلة رمضان.

- صلاة الاستسقاء.

- صلاة العيدين مع عدم اجتماع الشرائط للوجوب.

فهنا جميع هذه المذكورات مما ثبت بدليل معتبر من الناحية الفقهية.

²⁰³ الوسائل ج 1 3- الباب 42- من أبواب أحكام المساجد- حديث 1.

²⁰⁴ الوسائل ج 1 18- الباب 18- من أبواب مقدمة العبادات- حديث 3.

2- المعروف بين الفقهاء أن عدد الصلوات المستحبة من النوافل اليومية هو (37) ركعة ضعف عدد الفرائض اليومية (17) ركعة، فيكون المجموع (51) ركعة التي هي من علامات المؤمن حيث ورد: (إن علامات المؤمن خمس: التختم باليمين وزيارة الأربعين والصلوات الإحدى والخمسين وتعفير الجبين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم)²⁰⁵. ومن علامات المؤمن ثلاثة بحسب ما ورد: (إفشاء السلام وإطعام ليطعام والقيام بالليل والناس نيام)²⁰⁶. هذا أولاً.

وثانياً: أن الوارد في الروايات هو أن النوافل اليومية المستحبة تجبر وتسد النقص الحاصل في الفرائض اليومية الواجبة، حيث يقول الإمام عليه السلام ما مؤداه: (إن للمصلي من صلاته ما حصل فيه الذكر والتوجه، فإن كان نصفاً فله نصفها وإن كان ربعاً فله ربعها. وإن لم يكن فيها توجه لُفَّت وضربت في وجهه. فقليل له: إذن هلكن يا ابن رسول الله. قال: إن الله جبر الفرائض بالنوافل)²⁰⁷. وفي معنى هذا الحديث يقول المصنف قدس ما مؤداه أنه لعل التوجه الذي نقص من صلاة الفريضة الواجبة مما يحصل مثله في صلاة النافلة المستحبة. فكيف إذا لم تنقص الفرائض والنوافل من الذكر والتوجه؟! وإن كان ذلك النقص مما لا يكون إلا للأوحد من الناس. وقد ورد: (إن من صلى ركعتين لا يذكر فيها إلا الله سبحانه خرج من ذنوبه كما ولته أمه)²⁰⁸.

3- إن مقتضى القاعدة في عدد الصلوات المستحبة من النوافل اليومية أن تكون ركعتين ركعتين كصلاة الصبح، وكلما ورد من هذه الصلوات فهو زوجي العدد. حتى لا يحتاج مع هذا العدد إلى صلاة ركعة أو صلاة ذات ثلاث ركعات. ولكن يستثنى:

- صلاة الوتر من نافلة الليل، فإنها ركعة واحدة، وقيل بإمكان دمج هذه الركعة مع ركعتي الشفع فتكون صلاة واحدة ذات ثلاث ركعات.

- صلاة الوتيرة من نافلة صلاة العشاء، وهي ركعتان من جلوس فيما لو اعتبرناها ركعة، وذلك باعتبار ما ورد: (من أن كل ركعتين من جلوس تعد ركعة من قيام)²⁰⁹. على تفصيل آت.

²⁰⁵ مفاتيح الجنان ص 467 - نقلا عن التهذيب.

²⁰⁶ الوافي ج 3 باب صفات المؤمن ص 37-.

²⁰⁷ الوسائل ج 2 3- الباب 3- من أبواب أفعال الصلاة حديث 6.

²⁰⁸ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص 44.

²⁰⁹ الوسائل ج 2 3- الباب 29- من أبواب اعداد الفرائض - حديث 3.

- صلاة الإعرابي، وهي أربع ركعات، ولكن الدليل الدال على هذه الصلاة غير تام من حيث سند الحديث، وإنما ثبت دليل هذه الصلاة بقاعدة التسامح بأدلة السنن.

هذا أولاً.

وثانياً: أن عدد الصلوات الواجبة مختلف فيه فمنها:

- الصلاة الرباعية كصلاة الظهر.
- الصلاة الثلاثية كصلاة المغرب.
- الصلاة الثنائية كصلاة الصبح.
- صلاة الركعة الواحدة كصلاة الاحتياط.

- صلاة العشرة ركعات وهي صلاة الآيات فيما إذا عددنا كل ركوع بركعة، وإن كان خلاف المشهور بين الفقهاء الذي يعتبر عددها ركعتين كل ركعة بخمس ركوعات.

4- أن ما تقدم في الحديث من أن كل ركعتين من جلوس تعد ركعة من قيام فهو وإن كان ثابتاً بدليل معتبر من حيث تمامية سنده ولكن من الصعب اعتباره من الناحية الفقهية قاعدة عامة من حيث التمسك بإطلاق هذا الحديث لجميع الصلوات. ومع هذه الصعوبة فالأفضل أن نتصرف بدلالة الحديث من حيث حمل معنى الحديث على إرادة الثواب، أي أن ثواب الركعتين من جلوس مثل ثواب الركعة من قيام.

نعم لو أراد الفرد المزيد من الثواب أو تدارك الثواب، فهنا يمكن تكرار وإعادة الصلوات مرتين بشرط أن تكون الصلاة قابلة للتكرار، وذلك لأنه من الواضح أن الفرائض الواجبة كلها ليست كذلك، سواء كانت فرائض يومية أم لم تكن فرائض يومية. فلو كان تكليف الفرد الصلاة من جلوس، فهنا لم يجب بل لم يجز أن يحسب الركعتين بركعة. هذا أولاً.

وثانياً: من الصعب القول من الناحية الفقهية في النوافل أن يحسب الركعتين بركعة، ومثاله:

- جعل صلاة العيدين حال استحبابها أربع ركعات جلوساً.

- جعل صلاة الاستسقاء أربع ركعات جلوساً.

- جعل صلاة الشفع أربع ركعات جلوساً.

- جعل صلاة الوتر ركعتين جلوساً.

وثالثاً: أن الفرد حين ينتهي مثلاً من ركعتي الشفع، ويأتي بركعتين تاليتين، فهذا يحتاج إلى دليل معتبر لمطلوبية هاتين الركعتين التاليتين بنفس عنوان صلاة الشفع، وإذا لم يكن ذلك الدليل المعتبر موجوداً، فهذا كانت الركعتين التاليتين تشريعاً محرماً، فتبطل من الناحية الفقهية، فيثبت عدم اعتبار دليل عد الركعتين بركعة قاعدة عامة، ويتم المطلوب.

فان قيل: إن نفس دليل عد الركعتين بركعة كافٍ في إثبات مطلوبية الركعتين التاليتين.

قلنا بأحد تعبيرين:

التعبير الأول: لا يمكن اعتبار دلالة نفس الدليل على مطلوبية الركعتين التاليتين، وذلك لأن هذه الدلالة من الدلالة الالتزامية المفهومة من خارج الكلام بحيث يفهم من هذا الدليل تركيب الصلاة من نصفين بحيث قد انتهى نصف الصلاة الأول، وبقي النصف الآخر مطلوباً، وهذا الفهم مستبعد من الناحية العرفية. هذا الأول.

والثاني: يمكن التساؤل عن حصول المنافي مثل الكلام وغيره بين الركعتين الأولى والثانية ممكناً أم ليس حصول المنافي بممكن؟. فهذا شقان:

أولهما: أن حصول المنافي غير جائز بين الركعتين، فهذا يلزم خلاف الضرورة الفقهية باعتبار أن الفرد ليس في حال الصلاة فلماذا يمنع من الكلام؟!.

وثانيهما: أن حصول المنافي جائز بين الركعتين، فهذا يكون الفرد قد انتهى من ركعة من قيام وبدأ بركعة أخرى، وهذا ليس بين الركعتين كلام، وإلا بطلت الصلاة.

التعبير الثاني: أننا لو سلمنا دلالة نفس الدليل على مطلوبية الركعتين التاليتين بالدلالة الالتزامية، فهذا يلزم دلالة التزامية ثانية تدل على أن الفرد بين الركعة الثانية والركعة الثالثة هو في الصلاة

وان تشهد وسلم, وذلك لأن كل ركعتين تعدان بركعة, فيكون الفرد الآن بين ركعتين أو في داخل الصلاة, فلا يجوز أن يتكلم أو يأتي بأي منافي مبطل للصلاة. وإن أتى الفرد بهذا المنافي فبطلت صلاته. ولكن هذا غير محتمل من الناحية الفقهية, فيثبت عدم اعتبار دليل عد الركعتين بركعة قاعدة عامة, ويتم المطلوب.

5- أن أعداد الركعات في الصلوات من الصعب تصور إدراك الحكمة أو الهدف من تشريعها, ومثاله:

- لماذا كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات؟.

- لماذا كانت صلاة العشاء أربع ركعات؟.

ولكن الجهل وعدم الوصول إلى معرفة الحكمة والهدف مما لا يخل بوجود الحكمة الإلهية المطلقة من تشريع هذا العدد من الصلوات، وذلك على مستويات ثلاثة:

الأول: الحكمة الإلهية الأزلية, أي أن الجهل بحكمة تشريع أعداد الصلوات قد يكون هو الصحيح بحسب الحكمة الإلهية الأزلية الكاملة التي تقتضي بوجود مصالح لكننا لا نفهم وجود أو حقيقة هذه المصالح.

الثاني: مصلحة نفس الأمر, أي أن الجهل بحكمة تشريع أعداد الصلوات متعلق في الأمور به أو المنهي عنه وليس في نفس الأمر والنهي الإلهي, كما في قول الفقهاء وأهل الكلام, فإن هناك مصالح ومفاسد متعلقة في نفس الأمر والنهي مما يعلمها الله تبارك وتعالى, ولا توجد هناك مصالح ومفاسد في الأمور به أو المنهي عنه, فحكمة تشريع أعداد الصلاة موجودة في نفس الأمر الإلهي بهذه الصلوات.

الثالث: الطاعة العمياء, أي أن الجهل بحكمة تشريع أعداد الصلوات داخل في طور التربية الإيمانية القائمة على تربية الفرد على الطاعة العمياء أو التعبد المطلق أو التسليم الكامل للشرعية الذي يقتضي عدم إثارة التساؤلات والمناقشات عن علل وحكم وأسباب الشرعية, بل وظيفة الفرد هي الامتثال مع التعبد والتسليم لأحكام الشرعية من دون أن يحكم عقله في حدود هذه الطاعة

الامتثال، فإنه قد ورد في الحديث: (فإن دين الله لا يصاب بالعقول)²¹⁰. فينبغي للفرد - حكماً عن العارفين - تجريد عمله عن مثل هذه التساؤلات والمناقشات العقلية، والاعتبار بالطاعة الامتثالية، ولو استطاع العقل إدراك شيء من حكمة أو هدف التشريع فلعل الله سبحانه أراد حكمة أو هدفاً آخر أعلى غير مدرك عن طريق العقل، فتكون اثارة التساؤلات والمناقشات عن علل وحكم وأسباب الشريعة من قبيل:

- سوء الأدب أمام الله سبحانه.

- الشك في الحكمة الإلهية.

فهنا يكون منشأ اثارة هذه التساؤلات والمناقشات هو تدني المستوى المعرفي والإيماني عند الفرد، ولعل الفاعل والمشيع لمثل هذه التساؤلات والمناقشات القريبة من الكفر والنفاق والبعيدة عن الإسلام والإيمان هو عدو الإسلام الذي يريد إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم بعقيدتهم.

الفقرة (2) في أوقات الصلوات

سؤال: ما معنى الاختلاف في أوقات الصلوات؟

جواب: أن هناك ارتكازاً عند المتشريعة يقوم على أساس اختلاف الأوقات للصلوات بحسب درجة الفضل عند الله سبحانه وتعالى، فالزمان له درجة من الفضل عند الله تعالى. ولكن لا يمكن إثبات هذا الفضل الزماني بحسب العلم الطبيعي بسبب تساوي أجزاء الزمان وجريان هذا التساوي على حد واحد على كل الأشياء، ولكن يمكن إثبات هذا الفضل الزماني من الناحية الأخلاقية ضمن مستويات خمسة:

²¹⁰ بحار الأنوار ج 2 ص 60 ح 41.

1- مصلحة نفس الأمر, أي تعلق أهمية الزمان في نفس الأمر بهذا الفضل الزماني, وليس الفضل راجعاً للزمان نفسه بحسب المشيئة والاختيار الإلهي, فالله سبحانه يحب أن يرى عبده متعبداً ومتوجهاً في هذا الزمان.

2- دلالة القرآن الكريم, أي الاستدلال بالقرآن الكريم على أهمية الزمان, ومنه قوله تعالى:

- (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ)²¹¹. فهنا وصفت الآية الكريمة أربعة أشهر من السنة بأنها أشهر حرم مهمة, وإذا أمكن أن يكون بعض الزمان مهماً, فهنا أمكن أن تكون أجزاء أخرى من الزمان مهمة أيضاً, فيثبت أهمية وأفضلية الزمان, ويتم المطلوب.

- (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)²¹². فهنا وصفت الآية الكريمة ثلاثة أوقات مهمة لإقامة الصلاة, لكن قد نقول بأن الآية في مقام إثبات مجرد التوقيت, وليس في مقام إثبات وصف الزمن, فيكون الاستدلال بالآية السابقة أوضح من هذه الآية.

3- دلالة السنة الشريفة, أي الاستدلال بالسنة الشريفة على أهمية الزمان من الأشهر والأيام والليالي, ومنه:

- شهر رمضان شهر الله.

- عيد الفطر.

- عيد الأضحى.

- يوم عرفة.

- ليلة القدر.

- ليلة الجمعة.

²¹¹ سورة التوبة - آية 36.

²¹² سورة الإسراء - آية 78.

- ليلة نصف شهر رجب.

- ليلة نصف شهر شعبان.

- يوم التروية.

- يوم دحو الأرض.

4- المناسبات الاجتماعية العقلانية, أي أهمية الزمان عند غير المتشركة من العقلاء وأهل العرف الاجتماعي, فإذا ثبتت هذه الأهمية في العرف العقلاني والاجتماعي فليس من حق هذا العرف الاستنكار أو الاستكثار على العرف المتشركي والديني.

5- الظواهر الطبيعية, أي أهمية الزمان بالظواهر والعلوم الطبيعية, وأمثلة ذلك:

-توقف نمو النباتات من الفواكه أو الأزهار بوصول السنة كالربيع أو بالصيف أو بالشتاء.

- توقف حركة الأنهار كالمند والجزر بحركات القمر.

- توقف الساعة البيولوجية بساعات الليل والنهار.

فهنا إذا ثبتت هذه الأهمية في العرف الطبيعي والعلمي فليس من حق هذا العرف الاستنكار أو الاستكثار على العرف المتشركي والديني.

الفقرة (3) أهمية الأزمنة الشرعية

سؤال: ما هي أهمية الأزمنة الشرعية؟

جواب: هناك جملة من الأمور التي يمكن أن تكون حكماً وأسباباً لأهمية بعض الأزمنة من الناحية الشرعية على تفصيل موكول لكتاب ما وراء الفقه²¹³ :

1- الزمان العبادي الذي تقع العبادة فيه والاشتغال بتأدية العبادة, ومثاله:

- شهر رمضان للصوم.

- يوم عرفة للحج.

2- الزمان العبادي الذي يمثل انتهاء العبادة والشكر على الأداء, ومثاله:

انه زمان للانتهاء من العبادة والتصدي للشكر على أداء العبادة, ومثاله:

- عيد الفطر للصوم.

- عيد الأضحى للحج.

3- زمان الحوادث والمناسبات المفرحة, ومثاله:

- يوم مولد الرسول صلى الله عليه وآله.

- عيد الغدير الذي نصب فيه أمير المؤمنين خليفة على المسلمين.

- ليلة القدر التي نزل فيها القرآن الكريم.

4- زمان الحوادث والمناسبات المحزنة, ومثاله:

- يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

- يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام.

5- زمان الحوادث والمناسبات غير الإسلامية التي أقرها الإسلام, ومثاله:

²¹³ ما وراء الفقه ج 2 ق 2 ص 132.

- الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال في العصر الجاهلي ما قبل الإسلام والتي أقرها الإسلام حرمتها.

الفقرة (4) العبادات المؤقتة

سؤال: ما هي أقسام العبادات المؤقتة ؟.

جواب: العبادات المؤقتة الواجبة والمستحبة على ثلاثة أقسام:

1- العبادات المؤقتة الواقعة في أول الوقت, ومثاله:

- جميع الفرائض اليومية.

- أغلب النوافل اليومية.

2- العبادات المؤقتة الواقعة في آخر الوقت, ومثاله:

- صلاة الليل.

- غسل الجمعة فيما إذا قلنا بأن وقت هذا الغسل ينتهي عند زوال الشمس من يوم الجمعة, على ما هو المشهور بين الفقهاء, فإنه كلما كان الغسل اقرب إلى الزوال كان أفضل, وليس عند الغروب من يوم الجمعة كما هو مبنى المصنف قدس²¹⁴.

- تأخير صلاتي المغرب والعشاء للحاج من عرفة إلى المزدلفة ولو مضى ثلث الليل. ولكن هذا ليس هو آخر الوقت بالتحديد.

- تأخير صلاة المتيمم إلى نهاية الوقت مع احتمال ارتفاع العذر, ولكن هذا ثابت بالعنوان الثانوي الاحتياطي وليس بالحكم الأولي والأصلي.

²¹⁴ منهج الصالحين ج 1 ص 119.

3- العبادات المؤقتة التي لا يختلف زمان إيقاعها في أول أو وسط أو آخر الوقت، ومثاله:

- صلاة أول الشهر.

- غسل يوم النصف من شعبان.

- غسل يوم النصف من رجب .

- غسل يوم المباهلة.

- غسل يوم التروية.

ثم إن هناك نحوين من الواجبات غير المؤقتة:

1- الواجبات غير مؤقتة التي يكون وجوب المبادرة لها فورياً، فإن لم يأت بها المكلف فوراً، فهنا وجبت العبادة على المكلف فوراً أيضاً، وهكذا. وهذا الفور بعد الفور ما يسمى باصطلاحهم: فوراً ففوراً، أي أن وقت العبادة هو الفور وليس لها وقت آخر، ومثاله:

- وجوب مطاوعة الزوجة الناشز.

- وجوب دفع النفقة المتأخرة إلى الزوجة.

- وجوب الدخول في الإسلام على الكافر.

- وجوب التوبة على المسلم المذنب.

2- الواجبات غير مؤقتة التي يكون المبادرة لها أفضل من باب المبادرة إلى فعل الخير والفضل كما ورد في المثل: (خير البر عاجله)، أو كما في ورد في الحديث: (إن الله يحب من الخير ما يعجل).²¹⁵ ومثاله:

- دفع الزكاة بعد حلول وقتها.

²¹⁵ الوافي ج 3 باب- تعجيل فعل الخير- ص 73.

- دفع الخمس بعد حلول وقته.
- دفع الكفارات بعد حلول وقتها.
- استحباب دفع الصدقة.
- استحباب دفع قضاء حاجة المحتاج.
- استحباب هداية الضال.
- استحباب نشر العلم.

الفقرة (5) مصلحة أوقات الصلاة اليومية

سؤال: ما هي مصلحة أوقات الصلاة اليومية ؟

جواب: اختار الله سبحانه للصلوات اليومية أفضل الأوقات من الناحية الدنيوية والدينية، فهنا ناحيتان:

الأولى: التوقيت من الناحية الدنيوية، فهنا المصلحة في أوقات الصلوات هي أنها ليست أوقات للعمل الدنيوي وخاصة مع الالتزام أو القول بجواز بالجمع بين الصلاتين بالنسبة لصلاة الظهرين وصلاة العشائين، أو القول بجوازه على الأقل.

الثانية: التوقيت من الناحية الدينية، فهنا مستويات أربعة:

1- فراغ البال والتوجه، أي مصلحة فراغ البال والتوجه من حيث إن الفرد في الأوقات التي تخلو من العمل الدنيوي يكون فراغ البال فيكون التوجه إلى العمل العبادي في أوقات العبادة أسهل وأكثر.

2- عبادية العمل الدنيوي، أي مصلحة عبادية العمل الدنيوي من حيث أن كثيراً من الأعمال الدنيوية هي أعمال عبادية للفرد، فهنا حالان:

الأول: حال وقت الاشتغال بالعمل الدنيوي العبادي.

والثاني: حال وقت الفراغ عن العمل الدنيوي غير العبادي.

فهنا الأصوب والأحجى أن تكون أوقات الصلوات في الأوقات الخالية من العمل الدنيوي لكي يكون الفرد المؤمن في كلا الحالين في عبادة مستمرة ودائمة.

3- ضرورة العمل الدنيوي، أي مصلحة ضرورة العمل الدنيوي حيث إن كثيراً من الأعمال الدنيوية ضرورية للفرد، فهنا في حال وقت الاشتغال بالعمل الدنيوي الضروري فلا يمكن أن تمنع أوقات الصلوات دون القيام بتأدية العمل الدنيوي. هذا أولاً.

وثانياً: لا يمكن تحويل أو تعيين أوقات الصلوات إلى الأوقات الشاذة من الناحية الاجتماعية.

وثالثاً: يمكن تحويل أو تعيين أوقات الصلوات إلى الأوقات غير المانعة أو المزاحمة مع العمل الدنيوي.

4- أفضلية الأوقات، أي مصلحة أفضلية الأوقات من حيث إن الله تعالى اختار لأوقات الصلوات من أفضل الأوقات على مدار الساعة، ويشهد على هذه الأفضلية جملة من الآيات، ومنها قوله تعالى:

- (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)²¹⁶.

- (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)²¹⁷.

- (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)²¹⁸.

الفقرة (6) مكان المصلي

²¹⁶ سورة آل عمران - آية 17.

²¹⁷ سورة الإسراء آية - 78.

²¹⁸ سورة المزمل - آية 6.

سؤال: ما هي مصلحة شرائط مكان المصلي ؟.

جواب: هنا جملة من المعاني والمصالح الأخلاقية لمكان المصلي، ومنها:

1- مصلحة نفس المكان، أي مصلحة نفس المكان الذي يصلي فيه الفرد، فهنا أن مكان المصلي يمكن أن يكون تعبيراً عن المستوى الذي يكون فيه الفرد من الناحية الثقافية أو العقائدية أو الإيمانية، فهنا يكون السير في المكان عبارة عن الانتقال من مستوى أو مكان إلى مستوى أو مكان آخر في مدارج التكامل وعدم التوقف في مستوى أو مكان معين.

2- مصلحة اشتراط عدم الغصبية في المكان، فهنا في هذا الشرط معنى أخلاقي مستفاد من عدم جواز كون المستوى الذي يكون الفرد مأخوذاً عن طريق الضغط أو القهر على شخص آخر يتعلم منه أو على شخص يرشده إليه على كُرْهِ منه. سواء كان ذلك الفرد المضغوط عليه أو المقهور أعلى أو مثل الشخص الضاغط أو القاهر.

3- مصلحة اشتراط أن يكون المكان واسعاً للصلاة، فهنا في هذا الشرط معنى أخلاقي مستفاد من كون مستوى الفرد من الناحية الثقافية أو العقلية أو النفسية يجب أن تكون كافية للسير في مدارج التكامل، ومع ضيق وقلة ها المستوى فيكون السير نحو التكامل متعذراً أو متعسراً.

4- مصلحة اشتراط أن لا يكون المكان ناقلاً للنجاسة، فهنا عدة معاني معنوية مستفادة من هذا الشر، ومنها معنيان:

الأول: إن المكان قد يكون معبراً عن مستوى من مستويات النفس الأمانة بالسوء، ومعنى السوء هو النجاسة، فإذا أطاع وانقاد الفرد لنفسه النجسة، فهنا كان الفرد منفعلاً بالنجاسة النفسية والمعنوية.

والثاني: إن المضمون العام للمستوى الثقافي العقلي أو المستوى النفسي الروحي للفرد ينبغي أن يكون خالياً من الباطل والنقائص المضرة التي تعود مردوداتها بالضرر على سير الفرد في مدارج التكامل.

الفقرة (7) فيما يستحب فيه الصلاة من الأماكن وهي المساجد

سؤال: ما معنى استحباب الصلاة في المساجد؟.

جواب: هنا جملة من الأحكام المستفادة من أقوال الفقهاء في المساجد:

1- تستحب الصلاة في المساجد والتردد إليها، وقد ورد في الخبر: (من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع عشرة حسنات ومحي عنه عشرة سيئات ورفع له عشرة درجات)²¹⁹.

2- يكره لجار المسجد أن يصلي في غير المسجد لغير علة كالمطر، وقد ورد في الخبر: (لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده)²²⁰.

3- يكره تعطيل والإعراض عن المسجد، وقد ورد في الخبر: (ثلاثة يشكون إلى الله يوم القيامة: مسجد خراب لا يصلي فيه أحد وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه أحد)²²¹. والمشهور من لفظ هذا الخبر على الألسن من هذه الثلاثة التي تشتكي إلى الله تعالى: المسجد المهجور والعالم المهجور والمصحف المهجور.

4- أفضل المساجد هو المسجد الحرام، والصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة. هذا أولاً.

وثانياً: ثم مسجد النبي صلى الله عليه وآله والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف صلاة.

وثالثاً: ثم مسجد الكوفة والأقصى، والصلاة فيهما تعدل ألف صلاة.

ورابعاً: ثم المسجد الجامع، والصلاة فيه تعدل مئة صلاة.

وخامساً: ثم مسجد القبيلة والصلاة فيه تعدل خمساً وعشرين.

وسادساً: ثم مسجد السوق والصلاة فيه تعدل اثنتي عشر صلاة.

²¹⁹ الوسائل ج 2، 3- الباب 4 من أبواب أحكام المساجد- حديث 3 ص 483.

²²⁰ انظر نحوه الوسائل ج 2، 3- الباب 2 من أبواب أحكام المساجد- حديث 5 ص 479.

²²¹ الوسائل ج 2 م 3- الباب 5 من أبواب أحكام المساجد- حديث 1، ص 483.

وسابعا: مسجد المرأة بيتها.

وثامنا: الصلاة في مشاهد الأئمة عليهم السلام تعدل الصلاة في المساجد، بل أفضل من المساجد، وقد ورد أن الصلاة عند علي عليه السلام تعدل مائتي ألف صلاة.

وتاسعا: هذه الأحكام المتقدمة في فضل الصلاة الانفرادية التي ليست مع صلاة جماعة، وأما فضل صلاة الجماعة فتفصيلها آت.

5- يحرم زخرفة المساجد، وهو التزوين بالزخرف وهو الذهب.

6- يحرم نقش المساجد بالصور.

7- يحرم بيع آلات المساجد، وإن يؤخذ من هذه الآت في الطرق والأماكن.

8- لا يجوز هدم المساجد.

9- لا يجوز تنجيس المساجد، فإن تنجست وجبت المبادرة للتطهير.

10- لا يجوز إخراج الحصر من المساجد.

11- يكره تعلية المساجد وإن يعمل لها شرف.

12- يستحب أن تكون الميضاة من المكان الذي يتوضأ منها على أبواب المساجد.

13- يستحب أن تكون المنارة مع الحائط لا في وسطها.

14- يستحب أن يقدم الداخل إلى المساجد رجله اليمنى، والخارج من المساجد يقدم رجله اليسرى.

15- يستحب حفظ ومنع الداخل إلى المساجد نعليه، وذلك لاحتمال ما يكون قد علق بهذه النعل من الأوساخ أو النجاسة.

16- يستحب أن يدعو الفرد عند دخوله إلى المساجد وعند خروجه من المساجد.

17- يكره أن تجعل المساجد طريقاً.

- 18- يكره أن يحصل في المساجد البيع والشراء.
- 19- يكره تمكين المجانين بادخالهم المساجد.
- 20- يكره إنفاذ الأحكام وإقامة الحدود.
- 21- يكره تعريف الضوال من الأموال الضائعة.
- 22- يكره إنشاد الشعر.
- 23- يكره ورفع الصوت.
- 24- يكره عمل الصنائع من الحرف.
- 25- يكره النوم في المساجد.
- 26- يكره التنخم والبصاق.
- 27- يكره قتل القمل.
- 28- يستحب اتخاذ المساجد والتكثير من عددها استحباباً مؤكداً، حتى وإن كانت المساجد ضيقة المكان أو صغيرة الحجم. وقد ورد في ذلك من التكثر الفضل الكثير.
- 29- الصلاة الفريضة في المساجد أفضل من الصلاة في المنزل، والصلاة النافلة في المنزل أفضل من الصلاة في المسجد.

الفقرة (8) معنى بيت الله

سؤال: ما معنى بيت الله ونسبة البيت إلى الله تعالى؟.

جواب: دل القرآن الكريم على أن الكعبة الشريفة هي المسجد الحرام وبيت الله الحرام، قال تعالى: (وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)²²². وأما القول المشهور لدى المتشريعة هو تعميم وشمول إطلاق صفة بيت الله على جميع المساجد وذلك باعتبار صدق هذه الصفة (بيت الله) على أي مسجد، ولكن المصنف قدس لم يجد دليلاً على هذا التعميم والشمول في الكتاب ولا في السنة، وفي المقام يقع السؤال عن الوجه الصحيح لنسبة البيت لله تعالى مع الالتفات إلى قيام البرهان على:

الأول: أن الله سبحانه تعالى غني عن العالمين ليس بمحتاج إلى شيء، وأن ما عدا الله تعالى من الأشياء فهو محتاج إليه، وهو تعالى غني لا يحتاج إلى شيء.

والثاني: أن نسبة قدرة وسلطان وعلم الله تعالى إلى كل الخلق هي نسبة واحدة من دون تفاوت.

فهنا يقع السؤال عن الوجه الصحيح في اختصاص المساجد في نسبتها إلى الله تعالى؟. وجوابه: فيه وجوه خمسة:

1- النسبة في الخلق، أي أن الله تعالى خالقاً للكعبة أو المسجد، ومنه قوله تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)²²³.

2- النسبة في التكريم والتعظيم، أي أن هذه المساجد كريمة وعظيمة، ومنه نسبة الروح إليه سبحانه في قوله تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)²²⁴.

3- النسبة في العبادة، أي أن الكعبة مسكن أو معبد لبعض الملائكة.

4- النسبة في العناية الإلهية، أي أن هناك عناية إلهية في طرد الشياطين عن المساجد، ومنه رؤية ندرة وقوع المعاصي في المساجد.

²²² سورة الحج - آية 26.

²²³ سورة لقمان - آية 11.

²²⁴ سورة الحجر - آية 29.

5- النسبة في التقرب المعنوي، أي أن هذه المساجد ذات تأثير من الناحية الوضعية أو الموضوعية في زيادة التقرب المعنوي والخشوع والتضرع إلى الله تعالى.

ثم إن لهذه المساجد ثمرات وفوائد دينية واجتماعية كثيرة، ومن هذه الفوائد فائدتان:

الأولى: ما ورد من أن: (من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله أو علماً مستطرقاً أو آية محكمة أو يسمع كلمة تدل على هدى أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء)²²⁵.

والثانية: زيادة ثواب الصلاة في المساجد، بل زيادة ثواب أية طاعة في المساجد، كقراءة القرآن والصوم وقضاء الحوائج والصدقات وغيرها.

الفقرة (9) في صفات المساجد شرعاً.

سؤال: ما هي طريقة بناء المساجد من الناحية الشرعية؟

جواب: تقدم في بعض أحكام المساجد الشرعية التي ذكرها الفقهاء ما يدل على رجحان كون المساجد متواضعة البناء وبسيطة التكوين، ومن هذه الأحكام:

1- كراهية تعلية المساجد.

2- كراهية زخرفة ونقش المساجد بالصور.

3- كراهية البصاق وأن من بصق في المساجد ستره بالتراب، فهنا دلالة على أن أرضية المساجد من تراب وليست أرضية مرصوفة. إلى غير ذلك.

وهذا الرجحان من بساطة البناء والتكوين هو المعنى صحيح كقاعدة عامة مبنية على المحافظة على التراث الإسلامي القديم في طريقة بناء المساجد، وذلك لأن المطلوب من الناحية الشرعية

²²⁵ الوسائل ج 2 م 3- الباب 3 من أبواب أحكام المساجد- حديث 1- ص 480.

هو التواضع أمام الله سبحانه في كل شيء، سواء كان التواضع في المأكل والمشرب والملبس والسكن والمعبود. والاقتصار على القليل من الدنيا في أي شيء. هذا أولاً.

وثانياً: أن بعض المجتمعات والشعوب العالمية غير الإسلامية ترى أن مثل هذا التواضع في بناء المساجد من قبيل الضعة والذلة، ولا ترى هذه المجتمعات الفخر والعظمة إلا في فخامة الملابس والبناء وغيرهما من مظاهر الدنيا، فهنا إظهار عظمة الدين والإسلام أمام هذه المجتمعات لا يكون إلا ببناء المساجد عالية ومزخرفة بالصور بالمقدار المحلل من الناحية الشرعية. وهي أن لا تكون المساجد من ذهب ولا من صور ذوات الأرواح من إنسان أو حيوان، كما لا تكون دالة على البذخ المتزايد كاستعمال الجواهر الكريمة ونحو ذلك.

وثالثاً: ليس للمساجد من الناحية الفقهية أي تحديد في طريقة أو أسلوب البناء أو (خريطة) معمارية معينة، بل يمكن بناء المساجد بأي شكل من الأشكال، وأما المحافظة على الطريقة الإسلامية أو التراثية الذي يقتضي البساطة والتواضع في البناء.

ورابعاً: ليس هناك دليل على أن المجتمعات والشعوب المسلمة السابقة كمصر أو الأندلس أو العراق أو تركيا أو غيرها عملت المساجد على ما هو المعهود منها بصفته مطلوباً أو مستحب من الناحية الشرعية، بل منشأ هذا العمل راجع للذوق الاجتماعي أو القومي أو المحلي لدى هذه الشعوب من دون أن يكون له منشأ شرعي بعد حفظ الآداب العامة التي أمرت بها الشريعة الإسلامية المقدسة.

الفقرة (10) المراقد المقدسة

سؤال: هل المراقد والعتبات المقدسة مساجد؟

جواب: المراقد أو العتبات المقدسة إنما هي عبارة عن مقابر تضم أجساد الأئمة المعصومين عليهم السلام وليست المراقد مساجد، وإنما المسجد عبارة عن بناء شيد أو تم وقفه بعنوان المسجد بتفصيل تقدم، وهذا مما لا ينطبق على مثل هذه المراقد قطعاً. ومن هنا اختلفت المراقد عن المساجد من عدة جهات مع أن المراقد هذه المراقد شابهت المساجد في طريقة وأسلوب البناء من

حيث البناء العالي والزخرفة بالذهب والصور والجمال الأبهة، ولكن يعلو المرقد قبة كبيرة من جهة خصوص القبر التي لا تكون في المسجد.

نعم لقد أفتى الفقهاء المتأخرون بنحو الاحتياط الوجوبي بإلحاق هذه المراقد بالمساجد بحكم واحد، وهو حرمة دخول الجنب والحائض إلى المراقد. ولكن اختلف الفقهاء فيما يجب أن يكون عليه الحد المحرم هذا. والدليل على ذلك الإلحاق بعد التجاوز على مسجدية هذه المراقد أمران:

الأمر الأول: فيه مقدمتان:

الأولى: ما ورد في بعض الأخبار من حرمة الدخول على المعصومين عليهم السلام في حالة حياتهم إلا على طهارة من الحدث الأكبر.

والثانية: ما علم من الشريعة المقدسة أن حرمة المؤمن الميت كحرمة المؤمن الحي.

فهنا ينتج حرمة دخول المحدث بالحدث الأكبر إلى مراقد المعصومين عليهم السلام.

الأمر الثاني: فيه مقدمتان:

الأولى: إن دخول المحدث بالحدث الأكبر إلى هذه المراقد المشرفة يكون من قبيل إساءة الأدب أو درجة من هتك حرمة المراقد.

والثانية: أن إساءة الأدب وهتك الحرمة حرام.

فهنا ينتج حرمة دخول المحدث بالحدث الأكبر إلى مراقد المعصومين عليهم السلام.

هذا ولكن كلا هذين الدليلين ينتج الفتوى بالحرمة وليس الفتوى بنحو الاحتياط الوجوبي، كما فعل الفقهاء. هذا أولاً.

وثانياً: لا يحتاج حكم حرمة إدخال المحدث بالحدث الأكبر للمراقد إلى عنوان الإلحاق بالمساجد، بل الحرمة ثابتة للمراقد بصفتها مرقدًا للمعصوم سلام الله عليه.

وثالثاً: أن حرمة دخول المحدث بالأكبر للمراقد ثابتة ليس بعنوان الجنب أو الحيض، بل الحرمة ثابتة بعنوان الحدث الأكبر الموجب للغسل كالنفساء والمستحاضة ذات الأغسال فيما إذا لم تؤد أغسالها ومس الميت.

ورابعاً: أن الفقهاء قد سكتوا عن تعميم وشمول حرمة المحدث بالأكبر لمراقد غير المعصومين من الشهداء والصالحين وأمثالهم، كما أن كلا الدليلين السابقين لا يساعدان على القول بالحرمة، فهنا يمكن القول بجواز دخول المحدث بالأكبر إلى هذه المراقد بدليل جريان أصالة البراءة عن مثل هذه الحرمة. ولكن مقتضى القاعدة الفقهية هي إلحاق هذه المراقد بالمساجد من حيث مشابهة هذه المراقد للمساجد في البناء فقط، ولكن هذا معنى عام شامل لجميع مراقد وقبور المؤمنين فيما إذا تم بناؤها على هيئة وشكل المساجد، فيضعف بذلك إلحاق هذه المراقد بالمساجد، ويتم المطلوب.

الفقرة (11) بقي من التعرض لأحوال المساجد أمران

سؤال: ما معنى كون المسجد معبداً، ومعنى كون بيت المرأة مسجداً؟.

جواب: هنا أمران متعلقان بأحوال المساجد:

الأمر الأول: المسجد معبد، أي أن المسجد هو المعبد بشرط أن تكون العبادة المنجزة فيه هي السجود بصفته غاية الخضوع لله سبحانه وتعالى، وهو السجود الحق وأما السجود لغير الله تعالى فهو سجود باطل ومحرم، فهنا أمكن أن يكون كل مكان أو زمان حصل فيه ذلك المعنى من السجود والخضوع لله تعالى فهو مسجد، هذا أولاً.

وثانياً: أمكن أن يكون للمسجد معانٍ ومستويات عديدة، منها:

1- الكون كله، مع التفكير في خلق الله سبحانه.

2- النفس، مع التفكير في الآيات الباطنية لها.

3- القلب حين يكون منوراً بنور الحق.

4- العقل مع إمكان صعوده إلى أعلى الدرجات.

5- كل مكان أو زمان يحصل فيه التوجه التام.

6- المسجد بالمعنى الفقهي المتعارف.

الأمر الثاني: مسجد المرأة بيتها، أي أن مسجد المرأة بيتها بحسب ما ورد من النصوص، فهذا يقع السؤال في السبب الذي كان من أجله أن يكون مسجد المرأة بيتها الذي يقتضي منع المرأة عن التواجد في المسجد؟. وجوابه: هنا مستويات أربعة:.

1- مستوى الأدب الإسلامي الظاهري الذي اقتضى أن يكون هناك فصلاً نسبياً بين الجنسين من الرجل والمرأة، وذلك من أجل التحاشي من سوء التصرف الجنسي من قبل أي من الجنسين. فهذا التعليم الإسلامي من الفصل النسبي مندرج ضمن هذه القائمة من التعليم. هذا أولاً.

وثانياً: أن الشارع الإسلامي أعطى للرجل أمكنة يتواجد فيها كما في مثل السوق من أجل أن تكون هذا المكان مصدر الرزق للعائلة، فهذا أعطى الشارع الإسلامي للمرأة بيتها من أجل أن تصلي فيه، كما أنها تربي أولادها في هذا البيت.

وثالثاً: أن الشارع الإسلامي أعطى للرجل ثواب المسجدية، فهذا أعطى الشارع الإسلامي ثواب المسجدية لبيت المرأة.

2- مستوى نية العمل، فقد ورد إن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فهذا إذا أحببت المرأة أن تحضر في المسجد من أجل الحصول على مزيد من ثواب العبادة في المسجد مع حصول المنع من قبل الشارع الإسلامي، فهذا أعطى الله سبحانه وتعالى المرأة ثواب ما نوته من العبادة في المسجد.

3- إن المراد من العبادة المؤداة في المسجد لا تنحصر بالصلاة بل تشمل العبادة أعمالاً كثيرة كالتي تقوم بها المرأة في بيتها فيما إذا أحسنّت تربية أطفالها والعناية بزوجها، وغير ذلك، فإن ذلك كله يكون من العبادة. هذا أولاً.

وثانياً: أن هذه الأعمال التي تقوم بها المرأة في بيتها لا يمكن تأديتها عادة في المسجد مع وجود نية المرأة على الحصول على مزيد من ثواب العبادة في المسجد، فهنا أعطى الله سبحانه وتعالى المرأة ثواب ما نوته من العبادة في المسجد بحسب الكرم الإلهي الذي لا بخل في ساحته. وقد ورد في الحديث القدسي: إني عند حسن ظن عبدي²²⁶.

4- مستوى حسن التوجه في العبادات، أي أن حضور المرأة في المسجد واختلاطها مع الرجل ينافي حصول حسن التوجه في العبادات، والله تعالى يريد من عبده من كلا الجنسين حسن التوجه والإقبال في العبادات، فهنا لابد من جعل الفاصل النسبي بين الجنسين حتى يحصل حسن التوجه، ولا يكون ذلك الفاصل إلا بنهي المرأة عن الحضور إلى المساجد.

الفقرة (12) في الستر والساتر

سؤال: ما معنى الستر والساتر مبيناً أنواع الساتر؟

جواب: الستر معنى نسبي يتقوم بأربعة أطراف بل خمسة ينقسم كل منها إلى قسمين:

1- الساتر: وهو فاعل الستر، أو واضع الحجاب. قد يكون هو الله وقد يكون غيره.

2- المستور به: وهو الحجاب نفسه. قد يكون حجاباً مادياً أو أمراً معنوياً.

3- المستور عنه، ويسمى تارة بالساتر، وأخرى بالستر، وثالثة بالحجاب أيضاً، وهو الشخص الذي أريد الإخفاء عنه أو جعله في الحجاب. قد يكون هو الفرد نفسه وقد يكون هو الآخرين.

4- المستور: هو الأمر الذي جعل تحت الستر واخفي به. قد يكون نقصاً وقد يكون كملاً.

5- سبب الستر، فقد يكون لقصور المقتضى أو ضعف الإدراك وقد يكون لوجود المانع.

فهنا تكون الأقسام اثنين وثلاثون قسماً $(2 * 2 * 2 * 2 * 2 / 32)$ ، وأمثلة ذلك:

²²⁶ أصول الكافي ج 2- باب 34 من كتاب الإيمان والكفر- حديث 3. ص 72- .

- 1- ستر العورة خلال الصلاة بأي ستار عن نظر المصلي وغيره.
- 2- ستر النقائص والعيوب المركوزة في الفرد عن الآخرين، بلباقة الفرد وحسن تصرفه أو بحسن توفيق الله سبحانه وتعالى.
- 3- ستر جمال المرأة، وهو كمال لها وليس نقصاً، بالحجاب الواجب في الشريعة الإسلامية.
- 4- ستر الأشعة فوق الحمراء أو تحت البنفسجية عن العين البشرية.
- 5- ستر الأمواج فوق الصوتية عن الأذن البشرية.
- 6- ستر عالم الجن الذي نطق به القرآن الكريم عن الوعي البشري الاعتيادي.
- 7- ستر العوالم العليا المعنوية أو الروحية أو العقلية عن الوعي البشري الاعتيادي.
- 8- ستر الرحمة وانقطاعها باستحقاق الفرد أو الأفراد للبلاء.
- 9- ستر الذنوب والعيوب عن الفرد نفسه بالرحمة الإلهية الناتجة من التوبة واستحقاق المغفرة.
- 10- ستر المستويات العليا للنفوس المرتفعة للأولياء وأضرابهم عمن هو دونهم.
- 11- ستر بعض المحسوسات مع قصور بعض أعضاء الحس، كالأعمى والأصم.
- 12- ستر تفاصيل العلوم، مهما كان نوعها عن الطلاب المبتدئين. ما لم يستحقوا الفهم بوصولهم إلى درجة أعلى في العلم.

الفقرة (13) في شرائط الساتر

سؤال: ما هي شرائط الساتر ؟.

جواب: يشترط في الساتر المستعمل في الصلاة من الناحية الفقهية أمور ستة لكل من هذه الأمور جهة صراحة وجهة رمزية ، فهنا أمور:

1- أن لا يكون لباس المصلي شفافاً، فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة هي ان الحجاب ليس ساتراً حقيقة، بل هو كاشف فعلاً، وان كان كشفه ناقصاً.

الثانية: جهة الرمزية هي أن الحجاب قد يكون كثيفاً كحجب الظلمة، وقد يكون الحجاب شفافاً كحجب النور.

2- أن لا يكون لباس المصلي نجساً، فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة هي أن لبس اللباس الخالي من الرجس والدرن، تأدباً أمام الخالق سبحانه، وهو الذي يكون المصلي بين يديه.

الثانية: جهة الرمزية هي أن الصلاة معراج المؤمن، فلا ينبغي له أن يعرج المؤمن بنفس خبيثة وصفات دانية.

3- أن لا يكون لباس المصلي مغصوباً، فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة هي أن لا تتضمن صلاة المؤمن نوع من الاعتداء على الآخرين، بل تكون مخلصه. والغصب نوع من الاعتداء طبعاً.

الثانية: جهة الرمزية هي أن لا يعيش الفرد تجاه ربه وتجاه الآخرين متلبساً بصفات غيره. وخاصة فيما إذا كان ذلك الغير كارهاً لهذه الجهة.

4- أن لا يكون لباس المصلي ميتة، فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة هي أن الميتة من اشد أنواع النجاسة في الفهم الفقهي والمتشرعي، فضرورة طهارة الثياب تشملها بالمنع عنها.

الثانية: جهة الرمزية هي أن لا يكون الفرد مصلياً بقلب ميت من الإيمان، أو بصفات ميتة من الخير والتضحية من اجل الآخرين وفي سبيل الحق.

5- أن لا يكون لباس المصلي مما لا يؤكل لحمه, فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة هي وجود تعبد شرعي عام في الابتعاد عن الحيوان غير المأكول اللحم، من حيث مماسسته ومؤاكلته وزيادة التقرب منه. ولو باعتبار أن كل حيوان لا يجوز أكل لحمه، فهو من أكل اللحوم، فهو (سبع) ويشكل خطراً في إيجاد ضرر في الإنسان بقتله أو جرحه أو نقل الأمراض إليه أو غير ذلك.

الثانية: جهة الرمزية هي أن الإنسان الذي لا يجوز اخذ العقائد منه أو التشبه بمستواه العبادي أو بمستواه الإيمان، أو الاتصاف ببعض صفاته.

6- أن لا يكون لباس المصلي حريراً أو ذهباً للرجال, فهنا جهتان:

الأولى: جهة الصراحة في الساتر الحريري أو الذهبي: هو انه يمثل تخنثاً وتأنثاً للرجل، بينما يعتبر جمالاً وكمالاً للمرأة. ومن الواضح أن الصلاة ينبغي أن لا تكون مع الإسفاف والتدني الذي يمثله هذا التخنث في الرجل.

الثانية: جهة الرمزية هي إن لبس الحريري أو الذهب في الصلاة يصد القلب عن التوجه والنفس عن الخضوع والفرد عن التكامل. في حين يريد الله سبحانه وتعالى لعباده الصلاة النافعة المؤثرة في التوجه والتكامل الحقيقي.

الفقرة (14) القبلة

سؤال: ما هي المعطيات المعنوية للكعبة والقبلة؟

جواب: القبلة هي جهة الكعبة من الناحية الفقهية والمتشرعية, فهنا نحوان من المعطيات والمعاني المعنوية:

النحو الأول: الكعبة المشرفة، فهنا معطيات ثلاثة:

1- رمز عن الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الناس في الظاهر يحتاجون إلى هذه الرمزية من الإلهوية، ولكن حيث أن الله سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء ولا يحده مكان ولا زمان، فهنا قد

اختار الله تعالى لخلقه أن يكون هذا الرمز المادي البسيط شكلاً وتكويناً خالي من الزخرفة والتلوين، وذلك لأن المرموز إليه بسيط فينبغي أن يكون الرمز بسيطاً.

2- رمز عن التوحيد، وذلك لأن التوحيد من أهم وأحب العقائد الإسلامية إلى الله عز وجل، كما ورد في الحديث، ولكن حيث أن معنى التوحيد المرموز إليه أمر معنوي وبسيط، فهذا قد اختار الله سبحانه وتعالى هذا الرمز المادي البسيط شكلاً وتكويناً خالي من الزخرفة والتلوين، وذلك لأن المرموز إليه بسيط فينبغي أن يكون الرمز بسيطاً.

3- رمز عن بعض الأهداف الرئيسية التي يجب أن يستهدفها الفرد في الحياة أثناء توجيهه نحو القبلة بحسب ما للقبلة من معان آتية.

النحو الثاني: القبلة، فهنا معطيات ثلاثة:

- 1- القبلة هي نفس الكعبة المشرفة التي تعتبر التطبيق الوحيد لمعنى القبلة بحسب الظاهر.
- 2- القبلة هي التوحيد الذي يكون شرطاً في صحة الصلاة التي هي عمود الدين.
- 3- محل الاستقبال والمقابلة بحسب الأهداف الرئيسية التي يجب أن يستهدفها الفرد في الحياة، والهدف الرئيسي هو الكمال أو التكامل النفسي أو لعقلي أو العلمي أو الروحي أو غيرها نحو العوالم العليا النورانية والاشراقية، وليس الهدف هو العوالم السفلى الظلمانية كما هو هدف بعض السحرة وأمثالهم.

الفقرة (15) تفسير فقرات الأذان

سؤال: ما هو تفسير فقرات الأذان والإقامة في الصلاة؟

جواب: هناك بعض التفسيرات الواردة في بعض النصوص لفصول وفقرات الأذان، وهناك تفسيرات ومعاني مستنبطة من قبل المصنف قدس، فهذا نحوان:

النحو الأول: المعاني الواردة في النصوص، ومن هذه النصوص نصاب:

1- عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما أسري برسول الله (ص) وحضرت الصلاة، أذن جبريل (عليه السلام). فلما قال: الله أكبر الله أكبر. قالت الملائكة: الله أكبر الله أكبر. فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله قالت الملائكة: خلع الأنداد. فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قالت الملائكة: نبي بعث. فلما قال: حي على الصلاة. قالت الملائكة: حث على عبادة ربه. فلما قال: حي على الفلاح. قالت الملائكة: افلح من اتبعه²²⁷.

2- عن الإمام الرضا (عليه السلام) انه قال: إنما أمر الناس بالأذان لعل كثيرة منها: أن يكون تذكيراً للساهي وتنبيهاً للغافل وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عنه. ويكون المؤذن بذلك داعياً إلى عبادة الخالق ومرغباً فيها، مقرأً بالتوحيد مجاهراً بالإيمان معلناً بالإسلام مؤذناً لمن ينسأهما. وإنما يقال له: مؤذن، لأنه يؤذن بالأذان للصلاة. وإنما بدأ فيه بالتكبير وختم بالتهليل. لأن الله عز وجل أراد أن يكون الابتداء بذكره واسمه. واسم الله بالتكبير في أول الحرف. وفي التهليل في آخره. وإنما جعل مثنى ليكون تكراراً في آذان المستمعين، مؤكداً عليهم. إن سها احد عن الأول لم يسئ عن الثاني. ولأن الصلاة ركعتان ركعتان، فلذلك جعل الأذان مثنى مثنى. وجعل التكبير في أول الأذان أربعاً، لأن أول الأذان إنما يبدأ غفلة، وليس قبله كلام ينبه المستمع له، فجعل الأول تنبهاً للمستمعين لما بعد من الأذان. وجعل بعد التكبير الشهادتين، لأن أول الإيمان هو التوحيد والإقرار بالله بالوحدانية. والثاني الإقرار للرسول بالرسالة. وإن طاعتها و معرفتهما مقرونتان. ولأن أصل الإيمان إنما هو الشهادتين، فجعل شهادتين شهادتين. كما جعل في سائر الحقوق شاهدان. فإذا أقر العبد الله عز وجل بالوحدانية وأقر للرسول صلى الله عليه وآله بالرسالة فقد أقر بجملة الإيمان لأن أصل الإيمان إنما هو الإقرار بالله ورسوله. وإنما جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة لأن الأذان إنما وضع لموضع الصلاة. وإنما هو نداء إلى الصلاة في وسط الأذان ودعاء فيها إلى الفلاح وإلى خير العمل. وجعل ختم الكلام باسمه كما فتح باسمه²²⁸.

النحو الثاني: المعاني الواردة عند المصنف قدس، ومنها:

1- الله أكبر، وفيه لفظان:

الأول: لفظ الجلالة: وهو اسم للذات المقدسة الجامعة لجميع جهات الكمال.

²²⁷ من لا يحضره الفقه ج 1 باب 44 حديث 1 ص 183.

²²⁸ من لا يحضره الفقيه ج 1 باب 44. حديث 53. ص 195 - .

والثاني: أكبر: وفيه هيئة ومادة:

- هيئة أكبر فهي أفعـل تفضيل من الكبر للمقارنة بين صفات الأشياء, ولكن في المقام لا يراد بهذه الصيغة المقارنة كما هو مذهب بعض اللغويين, وذلك لأن لفظ الجلالة الله لا يمكن أن يقاس به شيء.

- مادة أكبر فهو - بالكسر ثم الفتح- مستعمل بعدة معاني, ومنها التقدم في العمر, الضخامة في الجسم, والسعة في المكان. ولكن الكبر في هذا المقام وهو انتسابها للخالق سبحانه فلا يراد بها شيء من صفات المخلوقين, وإنما يرد بها العظمة والرفعة والعزة, فهنا:

- العظمة بمعنى العظم والشموخ.

- الرفعة بمعنى العلو المعنوي سواء كان بالكمال أم بالخلق أم بالتدبير أم بالعلم.

- العزة بمعنى الغنى والاستغناء عن الحاجة إلى المخلوقين.

وعموماً فإن معنى هذه الفقرة من الأذان أو الإقامة فهو:

- الله عظيم.

- الله أعظم.

- الله عزيز.

- الله أعز.

- الله رفيع.

- الله أرفع.

- الله رفيع بكماله.

- الله رفيع بتدبيره.

- الله رفيع بخلقه بمعنى كونه خالقاً، وهكذا.

فهنا يمكن أن يقال في فهم معنى تكرار هذه الفقرة في الأذان والإقامة هو ليس من أجل كونه بمعنى واحد، بل هو بمعنى مختلفة حسب قصد المتكلم.

2- اشهد أن لا إله إلا الله، وفيه فقرتان:

الأولى: الشهادة: وهي عبارة عن الإقرار والاعتراف والإذعان بالتوحيد الإلهي الحق الواقعي، ومن هنا قال سبحانه وتعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)²²⁹. بمعنى أن هذه الصفة هي الحق المطابق للواقع.

والثانية: لا إله إلا الله: وهي عبارة عن صيغة التوحيد المتعارفة، وهناك صيغ للتوحيد ومنها قوله تعالى:

- (اللَّهُ أَحَدٌ)²³⁰.

- (هُوَ الْحَقُّ)²³¹.

ولكن هذه الصيغة المتعارفة تحتوي على نفي وإثبات، فيكون مؤداه نفي الشرك، وهو معنى ملازم للتوحيد. غير أن المنفي هنا في هذه الصيغة يختلف بالحيثية من زاوية أن (لا) النافية للجنس تحتاج هنا إلى خبر مقدر كقولنا:

- لا إله موجود إلا الله.

- لا إله واجب الوجود إلا الله.

- لا إله خالق إلا الله.

²²⁹ سورة آل عمران - آية 18.

²³⁰ سورة الإخلاص - آية 1.

²³¹ سورة الأنفال - آية 32.

- لا آله معبود إلا الله.

- لا إله مستحق للعبادة بالحق إلا الله.

وجميع هذه التقديرات صحيحة ولكن حسب فهم المصنف قدس فإن صيغة (الله أحد) أفضل من هذه الصيغة المتعارفة وذلك لاحتواء الصيغة المتعارفة على:

- النفي.

- الاحتياج إلى التقدير.

- إمكان تقديرات مختلفة.

وجميع ذلك غير موجود في صيغة (الله احد)، فيثبت أن هذه الصيغة أفضل من الصيغة المتعارفة، ويتم المطلوب.

فان قيل كإشكال على الأفضلية: إن قوله: (الله احد) لا ينفي الشريك كما هو مؤدى الصيغة المتعارفة.

قلنا في جواب الإشكال: إن قوله: (الله احد) ينفي الشريك وذلك لأن مقتضى الأحدية الإلهية هو إثبات الوحدة المطلقة ونفي الشريك، كما ثبت في علوم الكلام والفلسفة والعرفان ولكن نفي الشريك غير مبين في اللفظ بحيث يستطيع فهم عدم البيان اللفظي الغافل والجاهل. ومن هنا احتاجت الشريعة إلى لفظ ظاهر واضح في النفي من أجل حفظ الظاهر فقالوا: (لا آله إلا الله). ولأجل حفظ الظاهر كان وجود هذه الصيغة في الأذان أولى من غيرها من صيغ التوحيد الأخرى. هذا أولاً.

وثانياً: أن هناك عدة معانٍ للصيغة المتعارفة باعتبار إمكان تعدد التقديرات فيها كما تقدّر، فهنا تكرار هذه الصيغة في الأذان والإقامة لا يعني مجيء هذه الصيغة على معنى واحد من جميع الجهات بل مجيء الصيغة بمعنى متعدد، ويمكن أن يختلف هذا المعنى المتعدد بحسب اختلاف القصد بتفصيل سبق في التكبير.

3- أشهد أن محمداً رسول الله، وفيه فقرتان:

الأولى: الشهادة بتفصيل سبق.

والثانية: محمد رسول الله: وهي عبارة عن إثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وآله، وقد جاءت الرسالة في القرآن بعدة، ومنها قوله تعالى:

- (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)²³².

- (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ)²³³.

- (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا)²³⁴.

وأما (محمد) فهو نبي الإسلام عليه وآله السلام خير الخلق وأشرفهم وأعلاهم منزلة وأقربهم عند الله تعالى مكانة الذي علمنا حياته وسنته الشريفة من الناحية التاريخية ولكن حقيقة هذا النبي مكتومة إلا عن الله تعالى وأمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد عنه عليه وآله السلام: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا)²³⁵. هذا أولاً.

وثانياً: الرسالة لها عدة مستويات ودرجات جميعها معنونة بعنوان الإسلام، ومن هذه المستويات والدرجات:

- الرسالة الظاهرية: وهي دعوة من أجل الإسلام الظاهري الذي يحقق به الدم ويصان به المال والفرج، ويتفق فيه المسلمون بشهادة التوحيد والرسالة والقرآن الكريم.

- الرسالة الأخرى: وهي دعوة إلى الله سبحانه من أجل الإسلام الحقيقي.

- من درجات هذا الإسلام هو التسليم والرضا بكل ما قضى الله وقدره.

²³² سورة الفتح - آية 29.

²³³ سورة المنافقون آية 1.

²³⁴ سورة النساء - آية 79.

²³⁵ مختصر بصائر الدرجات ص 125.

- من درجات هذا الإسلام هو إيكال التدبير والفعل في الخلق كله لله عز وجل, وأمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:

- (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ)²³⁶.

- (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)²³⁷.

- (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)²³⁸. إلى غير ذلك من الآيات الكريمات.

3- حي على الصلاة, وفيها فقرتان:

الفقرة الأولى: حي: وفيها قراءتان:

الأولى: المشهور تحريك (حي) بفتحيتين، ولها عندئذ في اللغة معنيان:

أولاً: فعل ماضي من الحياة.

ثانياً: اسم فعل أمر، وفيها معان:

- اقبل إلى الصلاة.

- إلزم الصلاة أو لازمها.

- حصول الحياة الحقيقية المعنوية من الصلاة.

- حصول الثواب في الآخرة.

الثانية: كسر الياء فتكون (حي) فعل أمر بمعنيين:

²³⁶ سورة التوبة - آية 111.

²³⁷ سورة فاطر - آية 32.

²³⁸ سورة الأعراف - آية 181.

- الأمر بإحياء الآخرين وهبتهم الحياة عن طريق الصلاة.
- أمر الفرد نفسه بالحصول على الحياة عن طريق الصلاة.
- وكذلك الحال في كل هذه المعاني بالنسبة إلى الصيغتين الآخرتين من الأذان: (حي على الفلاح), و (حي على خير العمل).
- الفقرة الثانية: الصلاة: وهي الأعمال الإسلامية ولها عدة مراتب وآثار وردت في الأخبار, ومنها²³⁹:

- (عمود الدين إذا قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها).
- (الصلاة معراج المؤمن).
- (والصلاة قربان كل تقي).
- (من صلى ركعتين لا يذكر فيها غير الله عز وجل خرج من ذنوبه كما ولدته أمه).
- (خير للفرد من الدنيا وما فيها).
- (حبيب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة).
- (محو الذنوب التي تقع بينها).
- (إذا قبلت لم يسأل عما سواها).
- 4- حي على الفلاح, وفيه أن معنى الفلاح لا يكون إلا بالهدى والولاية, والمراد بالفلاح هو الفلاح في الآخرة بما فيه التكامل المعنوي.
- 5- حي على خير العمل, وفيه أن الخير هنا له اشتقاقان:

²³⁹ الوسائل ج 2 م 3- الباب 8 - 10 من أبواب أعداد الفرائض - حديث 10 8 13.

-الصفة.

- أفعل التفضيل لأن الخير من الصيغ التي لا تصاغ على التفضيل.

فهنا يراد بخير العمل هو العمل الصالح أو أفضل أشكال وأنواع العمال الصالح.

6- قد قامت الصلاة في الإقامة, وفيه إشعار بعدة أمور منها:

أولاً: النية التي يعزم الفرد القيام بها.

ثانياً: الاستبشار بحصول هذا الحادث الجيد السعيد.

ثالثاً: طلب من النفس أو طلب من الآخرين بالاستعداد للصلاة أو التوجه للصلاة.

رابعاً: إخبار بحصول الصلاة المعنوية امتثالاً لقوله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)²⁴⁰. وقد ورد: (انك حين تكون في الإقامة فكأنك في الصلاة)²⁴¹. ولم يحمل الفقهاء هذه الصيغة على الوجوب بل على الاستحباب. ومعنى هذه الصيغة هو انه يقطع الإقامة كل ما يقطع الصلاة من قواطع ومنافيات الصلاة كالاتفات والكلام والفعل الكثير. وانه ينبغي التأدب والتوجه القلبي حين الإقامة كالصلاة.

الفقرة (16) من مستحبات التوجه إلى الصلاة ما يلي

سؤال: ما هي مستحبات التوجه إلى الصلاة ؟.

جواب: يستحب عند التوجه إلى الصلاة أمور:

²⁴⁰ سورة الضحى - آية 11.

²⁴¹ الوسائل ج 2 م 4- الباب 13 من أبواب الأذان والإقامة- حديث 9 و 11.

1- أن تدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أقدم إليك محمداً صلى الله عليه وآله بين يدي حاجتي وأتوجه به إليك. فاجعلني به وجيهاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين. واجعل صلاتي به مقبولة وذنبي مغفوراً ودعائي به مستجاباً أنك أنت الغفور الرحيم²⁴².

2- أن تؤذن وتقيم وأن تفصل بين الأذان والإقامة بجلسة أو خطوة أو سجدة. وتقول عندئذ: اللهم اجعل قلبي باراً وعيشي قاراً ورزقي داراً واجعل لي عند قبر رسولك صلى الله عليه وآله مستقراً وقراراً²⁴³. ثم تدعوا بما شئتم، فإنه ورد: (إن للفرد دعاء مستجاباً بين الأذان والإقامة)²⁴⁴. وتقول بعد الإقامة: (اللهم إليك توجهت ومرضاتك طلبت وثوابك ابتغيت وبك آمنت وعليك توكلت. اللهم صلي على محمد وآل محمد، وافتح مسامع قلبي لذكرك وثبتني على دينك ودين نبيك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة أنك الوهاب)²⁴⁵.

3- أن تقبل على الصلاة بقلبك وأن تعطف انتباهك إلى عظمة مولاك الذي تناجيه وذلك بين يديه. وكن كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فهو يراك كما ورد في الدعاء، وأن تستحي من أن تكلمه بلسانك وأنت تتجه بقلبك إلى غيره.

4- أن تقف بوقار وخشوع واضعاً يديك على فخذيك، وألق بنظرك إلى موضع سجودك. ثم انو الصلاة بقلبك. وأما التكلم بالنية فهو مرجوح من الناحية الشرعية لأنه يكون من الكلام الزائد بعد الإقامة التي عرفنا أن الإقامة بمنزلة الصلاة.

5- تكبيرة الإحرام. وهي تكون بتكبيرة واحدة عادة. ويمكن أن تكون تكبيرة الإحرام بسبع تكبيرات. بمعنى أنه يمكن الاقتصار على تكبيرة واحدة، كما يمكن قصد الواجب بتكبيرة واحدة ويكون الباقي من التكبيرات مستحباً، كما يمكن جعل جميع التكبيرات السبع مصداقاً للواجب. هذا أولاً.

وثانياً: في بعض الأخبار ما يدل على جواز الدخول في الصلاة بثلاث تكبيرات أو خمس تكبيرات. بل وغيرها مما دون السبع تكبيرات.

²⁴² الباقيات الصالحات على هامش مفاتيح الجنان. ص 25.

²⁴³ مفتاح الفلاح ص 46.

²⁴⁴ مفتاح الفلاح للبهائي ص 46.

²⁴⁵ مفتاح الفلاح ص 47.

وثالثاً: يمكن جعل التكبيرات السبع متواليّة. كما يمكن فصل التكبيرات السبع ببعض الأذكار، وكما يلي:

- أن تكبر ثلاث تكبيرات ثم تقول: (اللهم أنت الملك الحق المبين. لا آله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إن لا يغفر الذنوب إلا أنت)²⁴⁶.

- ثم تكبر مرتين. وتقول عندئذ: (لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك. والمهدي من هديت. عبدك وابن عبدك ذليل بين يديك. منك وبك ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منك إلا إليك سبحانك وحنانيك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت الحرام)²⁴⁷.

- ثم تكبر مرتين، وتكون التكبيرة الأخيرة هي التكبيرة السابعة، وتقول بعدها: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة حنيفاً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له. وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)²⁴⁸.

ورابعاً: أن ظاهر هذا التسلسل هو جواز جعل هذا الدعاء داخل الصلاة ما دام ذكراً لله عز وجل. وإذا أراد المصلي جعل التكبير الواحد واجباً والباقي من التكبيرات مستحباً، فهذا لا بد من نية واحدة معينة منها كتكبيرة للإحرام. وهي أما التكبيرة الأولى أو التكبيرة الأخيرة، أو أية واحدة من التكبيرات السبع.

6- الاستعاذة من الشيطان قبل قراءة سورة الفاتحة، وذلك لأن الاستعاذة من القرآن الكريم طبقاً لقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)²⁴⁹. وصيغة الاستعاذة هي:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- استعِذ بالله من الشيطان الرجيم.

- استعِذ بالله من الشيطان.

²⁴⁶ (2) مفتاح الفلاح ص 49- نقلاً عن الكافي - .. الباقيات الصالحات على هامش مفتاح الجنان ص 28.

²⁴⁷ (1) مفتاح الفلاح ص 50 نقلاً عن الكافي الباقيات الصالحات على هامش مفتاح الجنان ص 28.

²⁴⁸ (2) مفتاح الفلاح ص 50 نقلاً عن الكافي الباقيات الصالحات على هامش مفتاح الجنان ص 28.

²⁴⁹ سورة النحل - آية 98.

- أعوذ بالله السميع العليم من شر الشيطان اللعين الرجيم.

وأما معنى الاستعاذة ففيها :

- (عاذ) بمعنى لاذ، فيكون المعنى إن الفرد يلوذ بالله ويستجير بالله تعالى من كيد الشيطان ووسواسه ومكره.

- (السميع العليم) مأخوذ من آية أخرى وهي قوله تعالى: (وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)²⁵⁰.

7- أن تتدبر وتتفكر عند القراءة وأن تنتبه إلى معاني القراءة مضافاً إلى الحالة العامة من الخشوع في الصلاة.

8- أن تقول بعد سورة التوحيد أحد قولين:

- (كذلك الله ربي)، وذلك لأن أول السورة يتضمن الأمر بشهادة التوحيد، فتكون هذه الفقرة التزاماً بهذه الشهادة وشهادة على هذه الشهادة.

- (الله أحد)، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (انه كان حين يقرأ آية: قل هو الله احد. يقول بصوت خافت: الله احد)²⁵¹، يعني يكون ذلك امتثالاً والتزاماً لقوله تعالى في بداية السورة: (قل).

وحسب فهم المصنف قدس فان الالتزام بقول احد هذين الأمرين مجبياً ومغنياً عن الآخر. بل لا معنى للجمع بين هذين الأمرين، وان كان الجمع لا يخلو من وجه ضعيف.

الفقرة (17) مستحبات الركوع

سؤال: ما هي مسنونات من مستحبات ومكروهات الركوع؟.

²⁵⁰ سورة الأعراف - آية 200.

²⁵¹ الوسائل ج 2 م 4 - الباب 20 - من أبواب القراءة في الصلاة حديث 8.

جواب: مسنونات الركوع أمور:

- 1- يستحب التكبير للركوع قبل الركوع.
- 2- يستحب رفع اليدين حال التكبير.
- 3- يستحب وضع الكفين على الركبتين.
- 4- يستحب رَدّ الركبتين إلى الخلف.
- 5- يستحب تسوية الظهر.
- 6- يستحب مد العنق موازياً الظهر.
- 7- يستحب أن يكون نظر الفرد بين قدميه.
- 8- يستحب أن يجنح بمرفقيه على هيئة جناح.
- 9- يستحب أن يضع يده اليمنى على الركبة قبل وضع اليد اليسرى على الركبة.
- 10- يستحب أن تضع المرأة كفيها على فخذيها.
- 11- ت يستحب كرار التسبيح ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر.
- 12- يستحب أن يكون الذكر وترّاً فرداً.
- 13- يستحب أن يقول قبل التسبيح: (اللهم لك ركعت ولك أسلمت وعليك توكلت. وأنت ربي. خشع لك قلبي وسمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعصبي وعظامي وما أفلته قدماي، غير مستكف ولا مستكبر ولا مستحسر)²⁵². ثم يسبح ويصلي على النبي وآله.

²⁵² الباقيات الصالحات على هامش مفاتيح الجنان ص 31.

14- يستحب أن يقول للانتصاب بعد الركوع: (الله أكبر) وان يقول: (سمع الله لمن حمده). وان يضم إليه: (الحمد لله رب العالمين). وان يضم إليه: (أهل الجبروت والكبرياء والعظمة). والحمد لله رب العالمين).

15- يكره أن يطأ رأسه أو أن يرفع رأسه إلى فوق.

16- يكره أن يضم يديه إلى جنبه.

17- يكره أن يضع إحدى الكفين على الأخرى ويدخلها بين ركبتيه.

18- يكره أن يقرأ القرآن في الركوع.

19- يكره أن يجعل يديه تحت ثيابه ملاصقة لجسده.

الفقرة (18) مستحبات السجود

سؤال: ما هي مسنونات من مستحبات ومكروهات السجود؟

جواب: مسنونات السجود أمور:

- 1- يستحب التكبير حال الانتصاب بعد الركوع.
- 2- يستحب رفع اليدين حال التكبير للسجود.
- 3- يستحب السبق باليدين إلى الأرض.
- 4- يستحب استيعاب الجبهة في السجود عليها.
- 5- يستحب الإرغام بالأنف.
- 6- يستحب بسط اليدين مضمومتي الأصابع حتى الإبهام حذاء الأذنين متوجها بهما إلى القبلة.

- 7- يستحب شغل النظر إلى طرف الأنف حال السجود.
- 8- يستحب الدعاء قبل الشروع في الذكر، فيقول: (اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت وأنت ربي. سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره. الحمد لله رب العالمين. تبارك الله أحسن الخالقين)²⁵³.
- 9- يستحب تكرار الذكر والختم على الوتر الفرد.
- 10- يستحب اختيار التسبيحة الكبرى (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) وقولها ثلاث مرات, والأفضل الخمس مرات والسبع مرات فأكثر.
- 11- يستحب أن يسجد على الأرض بل التراب.
- 12- يستحب مساواة موضع الجبهة للموقف. بل مساواة المساجد لها أيضاً.
- 13- يستحب الدعاء في السجود بما يريد من حوائج الدنيا والآخرة. خصوصاً الرزق فيقول: (يا خير المسؤولين ويا خير المعطين ارزقني وارزق عيالي من فضلك فانك ذو الفضل العظيم)²⁵⁴.
فهنا قال المصنف قدس في تفسير الرزق الوارد في هذا الدعاء هو أن جميع العطاء المادي والمعنوي الدنيوي والأخروي من الرزق، ويمكن قصد هذا العطاء بمثل هذا الدعاء.
- 14- يستحب التورك في السجود بين السجدين وبعدهما، وذلك بأن يجلس على فخذ الرجل اليسرى جاعلاً ظهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى.
- 15- يستحب أن يقول في الجلوس بين السجدين: (استغفر الله وأتوب إليه). فهنا قال المصنف قدس في تفسير قول الاستغفار هو من أجل مرجوحية رفع الرأس من السجود بصورة عاجلة ومطلوبية إطالة السجود الذي يعني غاية الخضوع لله سبحانه، والمفروض الدوام والاستمرار على هذه الحالة، فإذا انقطع بشيء من شغل الدنيا، فهنا كان الاستغفار مستحقاً.

²⁵³ الباقيات الصالحات على هامش مفاتيح الجنان ص 32.²⁵⁴ الوسائل ج 2 م 4- الباب 17. من أبواب السجود- حديث 4.

16- يستحب أن يكبر بعد الرفع من السجدة الأولى بعد الجلوس مطمئناً.

17- يستحب أن يكبر للسجدة الثانية وهو جالس.

18- يستحب أن يكبر بعد الرفع من السجدة الثانية.

19- يستحب أن يرفع اليدين حال التكبيرات.

20- يستحب وضع اليدين على الفخذين حال الجلوس، اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى.

21- يستحب توجيه النظر إلى حجره.

22- يستحب التجافي حال السجود على الأرض.

23- يستحب التجنح بمعنى أن يباعد عضديه عن جنبه ويرفع ساعديه عن الأرض ويؤخر كفيه عن رأسه.

24- يستحب أن يصلي على النبي وآله في السجدين.

25- يستحب رفع ركبتيه قبل يديه عند القيام.

26- يستحب أن يقول بين السجدين: (اللهم اغفر لي وارحمني وادفع عني. إني لما أنزلت إلي من خير فقير. تبارك الله رب العالمين)²⁵⁵.

27- يستحب أن يقول عند النهوض: (بحول الله وقوته)²⁵⁶. وإن يضيف إلى هذا القول عبارتان:

- (أقوم واقعد).

- (واركع وأسجد).

²⁵⁵ الباقيات الصالحات على هامش مفاتيح الجنان ص 32.

²⁵⁶ نفس المصدر السابق ص 33.

ويجب أن يكون ذلك من الإضافة بتتابع بالكلام، وإن لم يكن بتتابع الكلام فبطلت صلاته لكون هذه العبارات الأخيرة ليست من الذكر الواجب في الصلاة، فتبطل الصلاة بالكلام الزائد بشرط أن يكون يكن ملتحقاً بالذكر السابق بالتتابع.

28- يستحب للمرأة وضع اليدين بعد الركبتين عند الهوي إلى السجود. وعدم تجافيهما، بل تفرش ذراعيها وتلصق بطنها. وتضم أعضائها ولا ترفع عجزتها حال النهوض للقيام، بل تنهض معتدلة.

29- يكره الإقعاء في الجلوس بين السجدين، وبعد السجدين، والإقعاء هو أن يعتمد بصدر قدميه على الأرض ويجلس على عقبيه.

30- يكره نفخ موضع السجود فيما إذا لم يتولد منه حرفان وإلا لم يجز.

31- يكره أن لا يرفع يديه عن الأرض بين السجدين.

32- يكره أن يقرأ القرآن في السجود.

الفقرة (19) من أنواع السجود: (سجود الشكر)

سؤال: ما هي كيفية سجود الشكر؟

جواب: هنا أمور:

1- يستحب سجود الشكر في موارد منها:

- تجدد كل نعمة.

- دفع كل نقمة.

- التوفيق لأداء كل فريضة وناقلة.

- كل فعل خير، ومن فعل الخير إصلاح ذات البين وقضاء حوائج الآخرين.

2- كيفية وأسلوب سجود الشكر هي أن يكفي فيه سجدة واحدة، والأفضل السجدة، فيفصل بين السجدين بتعفير الخدين أو تعفير الجبين أو تعفير الجميع، مقدماً الجانب الأيمن على الجانب الأيسر ثم وضع الجبهة ثانياً.

3- يستحب في سجود الشكر:

- افتراش الذراعين.

- إصاق الصدر والبطن في الأرض.

- أن يمسح موضع سجوده بيده ثم يمر اليد على وجهه ومقاديم بدنه.

4- الذكر في سجود الشكر هو أن يقول في السجود:

- (شكراً لله). مرة أو ثلاثاً أو سبعاً أو مائة مرة.

- (عفواً عفواً) مائة مرة.

- (الحمد لله شكراً لله) مائة مرة.

- ثم يقول: (يا ذا المن الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه غيره عدداً ويا ذا المعروف الذي لا ينفذ أبداً يا كريم يا كريم يا كريم)²⁵⁷. ثم يدعو ويتضرع ويذكر حاجته. وقد ورد في بعض الروايات غير ذلك من الذكر.

والظاهر عند المصنف قدس أن الذكر موكول إلى المكلف الساجد يقول فيه كل ما يكون دالاً على الشكر والتعظيم، والاستغفار. فإن هذه جميع المذكورات مصاديق للشكر مع قصد الشكر.

5- يمكن أن يكون الشكر بكيفيات وأساليب أخرى لا حد لها، فكل عبادة مستحبة يمكن فيها ذلك، ومنه:

²⁵⁷ (1) المصباح للكفعمي - الفصل السادس ص 27.

- صلاة ركعتين أو أكثر.
 - صوم يوم أو أكثر.
 - دفع الصدقة.
 - الذهاب إلى الحج.
 - قراءة القرآن.
 - التفكير في خلق الله سبحانه.
 - رفع العين إلى الأعلى.
 - رفع اليدين إلى الأعلى على شكل القنوت.
 - تقبيل يد نفسه اليمنى أو تقبيل كلتا اليدين.
 - الانحناء قليلاً أو إلى حد الركوع.
 - وضع اليد على الصدر أو وضع اليد على الرأس.
- 6- قد ورد (إن العبد إذا علم أن النعمة من الله سبحانه كتب في الشاكرين قبل أن يشكر، وإذا علم أن الذنب أمام الله سبحانه كتب من المستغفرين قبل أن يستغفر)²⁵⁸.
- فهنا يقول المصنف قدس في تفسير هذا الحديث أن من مصاديق وأفراد الشكر أو الاستغفار القلبية والباطنية هو مصداقان:
- العلم بمصدر النعمة من مصاديق الشكر.
 - العلم بجوهر الذنب من مصاديق الاستغفار.

²⁵⁸ (2) الوافي ج 3- باب الشكر- ص 68 .

الفقرة (20) التشهد

سؤال: ما هي واجبات ومسنونات التشهد؟

جواب: هنا أمران:

الأول: واجبات التشهد ثلاث فقرات:

1- الشهادة بالتوحيد.

2- الشهادة بالرسالة.

3- الصلاة على النبي وآله.

فهنا يمكن تأدية ذلك على أشكال مختلفة منها ما يؤدي الواجب، ومنها ما يؤدي المستحب؛ أما الواجب كالصيغة المتعارفة الواردة في أدلة معتبرة إلا أن حمل هذه الصيغة على التعيين والنصوصية بلا موجب. وأما الصيغة المستحبة الواردة في التشهد فمنها:

- الزيادة والتأكيد في التحميد لله والتمجيد لله تعالى.

- الزيادة والتأكيد في مضمون الشهادتين.

- الزيادة في الصلاة على الأنبياء والأولياء.

الثاني: مستحبات السجود، وفيه أمور:

1- يستحب أن يقول قبل الشروع بالسجود:

- (الحمد لله).

- (بسم الله وبالله وخير الأسماء لله).

- (والأسماء الحسنی كلها لله).

ثم يقول: (الحمد لله) ويبدأ بالتشهد.

2- يستحب أن يقول بعد الصلاة على النبي وآله: (وتقبل شفاعته وارفع درجته), وأن يضيف:

- (وأعطه المقام المحمود الذي وعدته).

- (انك لا تخلف الميعاد).

3- يستحب أن يقول بعد التشهد الأول: (سبحان الله) سبع مرات، ثم يقوم. ويقول حال النهوض:

- (بحول الله).

- (بحول الله وقوته).

(بحول الله وقوته أقوم واقعد).

4- يستحب للمرأة:

- أن تضم فخذيها إلى نفسها.

- أن ترفع ركبتيها عن الأرض حال تلاوة التشهد والتسليم.

5- يكره في السجود الاقعاء، بل يستحب التورك خلال السجود بتفصيل سبق في تفسير الاقعاء والتورك. ويستمر الحكم والحال نفسه من الاقعاء والتورك في التسليم أيضاً.

الفقرة (21) القنوت

سؤال: ما حكم القنوت ؟.

جواب: حكم القنوت هو الاستحباب في جميع الصلوات، سواء كانت صلوات مستحبة أم كانت صلوات واجبة. ويدل على استحباب القنوت سيرة المتشريعة حتى حصل من الفقهاء من استشكل في ترك القنوت، ووجب لترك القنوت في حالة السهو سجدتي السهو. ولكن هنا أمور:

1- يتأكد استحباب القنوت في بعض الصلوات:

- الصلاة الواجبة الجهرية، خصوصاً في صلاة الصبح وصلاة الجمعة وصلاة المغرب.
- الصلاة المستحبة من ركعة الوتر، بل يمكن القول إن ركعة الوتر من دون القنوت لا تكون وترًا، فلو كان المصلي عازماً على ترك القنوت، فهذا كانت نية المصلي لعنوان الوتر تشريعاً محرماً.
- من الفقهاء من أسقط القنوت في ركعتي الشفع، ولكن الظاهر عند المصنف قدس ثبوت القنوت في ركعتي الشفع إن جاء بها المصلي مستقلة عن ركعة الوتر. وإن كان الأحوط استحباباً الإتيان بالقنوت بنية رجاء المطلوبة. وأما مع إلحاق ركعة الوتر بركعتي الشفع في صلاة واحدة، فهذا يكفي القنوت في الركعة الثالثة التي هي الوتر. ولا يجب في هذه الصلاة قنوتان، ولكن الإتيان بالشفع والوتر بهذه الصورة يحتاج إلى نية رجاء المطلوبة.
- المستحب من القنوت مرة واحدة بعد القراءة قبل الركوع في الركعة الثانية. وإن نسي المصلي القنوت، فهذا قيل عن بعض الفقهاء: أتى المصلي بالقنوت بعد الركوع من نفس الركعة.
- يستحب في صلاة الجمعة قنوتان:
- الأول: قبل الركوع في الركعة الأولى.
- والثاني: بعد الركوع في الركعة الثانية.
- يستحب في صلاة العيدين تسعة قنوتات: خمسة قنوتات في الركعة الأولى، وأربعة قنوتات في الركعة الثانية.
- يستحب في صلاة الآيات:
- الأول: أن يكون في صلاة الآيات قنوتان: قنوت قبل الركوع الخامس في الركعة الأولى، وقنوت قبل الركوع العاشر في الركعة الثانية.
- والثاني: أن يكون في صلاة الآيات خمسة قنوتات قبل كل ركوع زوجي.

وبأي هذين الأمرين أتى المكلف فقد أدى الوظيفة الاستحابية، وكلما زاد المكلف زاد خيراً، فتكون الخمس قنوتات أولى من القنوتين الاثنتين.

والثالث: أن يكون في صلاة الآيات قنوت واحد في الركوع العاشر فقط.

2- أدعية القنوت كثيرة ومختلفة وليس في هذه الأدعية ما هو واجب، بل يدعو المصلي في قنوته بما شاء حتى ولو كان الدعاء باللغة العامية الدارجة أو باللغة غير العربية أو بالشعر. ولكن تلاوة المصلي للأدعية الواردة في النصوص أولى وأفضل، فيقال في القنوت:

- الصلاة على محمد وآله في أول القنوت وفي آخر القنوت.

- (اللهم اغفر لي).

- (رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم).

- (رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أنك أنت الأعز الأجل الأكرم).

- (اللهم صل على محمد وآل محمد).

- دعاء الفرج: (لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم. سبحان الله رب السموات السبع ورب الأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم. والحمد لله رب العالمين).

- يكفي في القنوت قراءة ما يتيسر من ذكر أو دعاء أو حمد أو ثناء.

- يجزي قول: (سبحان الله) خمساً أو ثلاثاً أو مرة واحدة.

3- قنوت ركعة الوتر له تفاصيل مستحبة أكثر، ومنها:

- زيادة التضرع بالقول، والإقرار بالذنوب والعزم على التوبة وعدم العود إلى الذنب.

- العفو ثلاثمائة مرة.

- الاستغفار له سبعين مرة.

- الاستغفار لأربعين مؤمناً بأسمائهم أو أسمائهم وأسماء آبائهم، أو كل ما يشير إلى فرد معين مقصود منهم، ولو بوصف من أوصافه.

- الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات عموماً، والدعاء للأولياء والصالحين خصوصاً.

3- مستحبات القنوت كثيرة ومنها:

- يستحب التكبير قبل القنوت.

- يستحب التكبير بعد القنوت للركوع.

- يستحب رفع اليدين حال التكبير، ثم إسبال اليدين، ثم رفع اليدين حيال الوجه، جاعلاً باطن اليدين إلى السماء. وإذا ناسب حاله وضعاً آخر فعله. كالتفريق بين اليدين، أو جعل رؤوس الأصابع إلى السماء أو غير ذلك.

- يستحب أن يكون نظره حال القنوت إلى باطن كفيه.

الفقرة (22) التعقيب

سؤال: ما حكم التعقيب ؟.

جواب: التعقيب عبارة عن الاشتغال بعد الفراغ من الصلاة بالذكر والدعاء والقرآن. وينبغي مع الإمكان أن يبقى التعقيب من دون تخلل كلام خارجي، هذا أولاً.

وثانياً: أن يبقى المصلي على وضع الصلاة في التشهد خلال جميع الأدعية.

وثالثاً: أن يبدأ التعقيب بالتكبير (الله أكبر) ثلاثاً بعد التسليم، رافعاً يديه فيها إلى حد أذنيه.

ورابعاً: أن أفضل أنواع التعقيب هو:

- تسبيح الزهراء سلام الله عليها، وكيفية: التكبير (الله أكبر) أربعة وثلاثون مرة، ثم الحمد (الحمد لله) ثلاثاً وثلاثين مرة، ثم التسبيح (سبحان الله) ثلاثاً وثلاثين.

- آية الكرسي.

- آية شهدا الله، وهي قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ²⁵⁹.

- آية الملك، وهي قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ²⁶⁰.

وخامساً: أن الوارد من الأدعية في التعقيب كثير جداً، حتى إن المنصوص به في الشريعة من الناحية الاستحبابية أن لا يغادر المصلي مصلاه بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، والمفروض أنه قد صلاها في أول وقتها، فيكون الوقت حوالي الساعة والنصف، وقد ورد فيها من الأذكار والأدعية ما يفي بذلك ويزيد.

وسادساً: التعقيبات على قسمين:

الأول: التعقيبات العامة: وهي التعقيبات لجميع الصلوات الواجبة، ولا تعقيب للنوافل المستحبة.

والثاني: التعقيبات الخاصة: وهي التعقيبات لخصوص بعض الصلوات الواجبة.

وفيما يلي أهم النصوص المختصرة والمشهورة الواردة في التعقيبات، ومن ألطف هذه النصوص أن هناك جملة من هذه النصوص تتكفل بشرح التسبيحة الرباعية: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فيمكن قراءتها أو أيّاً منها بعد أي فريضة، ومن هذه النصوص:

1- قراءة التسبيحات، ومنها:

- سُبْحَانَ اللَّهِ كَلَّمَا سَبَّحَ اللَّهُ شَيْءٌ وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُسَبَّحَ وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا حَمِدَ اللَّهُ شَيْءٌ وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ

²⁵⁹ سورة آل عمران آية 18.

²⁶⁰ سورة آل عمران آية 27 - 26.

وَجْهَهُ وَعِزَّ جَلَالِهِ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُلَّمَا هَلَّلَ اللَّهُ شَيْءٌ وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُهَلَّلَ وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ. وَاللَّهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا كَبَّرَ اللَّهُ شَيْءٌ وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُكَبَّرَ وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيَّ وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِمَّنْ كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا أَرْجُو وَخَيْرِ مَا لَا أَرْجُو وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُحْذَرُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَا أُحْذَرُ²⁶¹.

- فيه فقرات: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وسعة الكرسي. الحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وسعة الكرسي. لا إله إلا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنه العرش وسعة الكرسي. الله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وسعة الكرسي²⁶².

وقد ورد تكرار مجموع هذه الفقرات ثلاث مرات، أو تكرار كل فقرة من هذا النص ثلاث مرات قبل البدء بالفقرة الأخرى.

- سبحان الله قبل كل احد وسبحان الله بعد كل احد وسبحان الله مع كل احد. وسبحان الله يبقى ربنا ويفنى كل احد. وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً قبل كل احد. وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً بعد كل احد. وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً مع كل احد. وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً لربنا الباقي ويفنى كل احد. سبحان الله تسبيحاً لا يحصى ولا يدرى ولا ينسى ولا يبلى ولا يفنى وليس له منتهى. وسبحان الله تسبيحاً يدوم بدوامه ويبقى ببقائه في سني العالمين وشهور الدهور وأيام الدنيا وساعات الليل والنهار. سبحان الله ابد الأبد ومع الأبد، مما لا يحصيه العدد ولا يفنيه الأمد ولا يقطعه الأبد. وتبارك الله أحسن الخالقين²⁶³. ثم قل: (والحمد لله قبل كل احد والحمد لله بعد كل احد). إلى آخره ثم قل: (لا إله إلا الله قبل كل احد). إلى آخره. ثم قل: (الله أكبر قبل كل احد، إلى آخره)²⁶⁴. ويقع في ضمن ذلك: (والحمد لله حمداً يفضل حمد الحامدين فضلاً كثيراً). وكذلك: (ولا

²⁶¹ مفاتيح الجنان ص 13.

²⁶² الباقيات الصالحات على هامش مفاتيح الجنان ص 81.

²⁶³ مفاتيح الجنان ص 260.

²⁶⁴ نفس المصدر والصفحة.

آله إلا الله تهليلاً يفضل تهليل المهالين فضلاً كثيراً). وكذلك: (والله اكبر تكبيراً يفضل تكبير المكبرين فضلاً كثيراً).

2- قراءة التعقيبات المطولة, ومنها:

- مناجاة شعبان عن الإمام الحسين عليه السلام والتي تبدأ بقوله: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاسْمَعْ دُعَائِي إِذَا دَعَوْتُكَ، وَاسْمَعْ نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُكَ، وَاقْبَلْ عَلَيَّ إِذَا نَجَيْتُكَ)²⁶⁵.

- دعاء العشرات الذي يبدأ بقوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ)²⁶⁶.

- دعاء كميل الذي يبدأ بقوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ). إلى آخر الدعاء²⁶⁷.

- دعاء الافتتاح الذي يبدأ بقوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي افْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ، وَإِيقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ)²⁶⁸. إلى آخر الدعاء.

3- قراءة التعقيبات المختصرة, ومنها:

- (اللهم إني أسالك صبر الشاكرين لك وعمل الخائفين منك ويقين العابدين لك. اللهم أنت العلي العظيم وأنا عبدك البائس الفقير أنت الغني الحميد وأنا العبد الذليل. اللهم صل على محمد وآله، وامنن بغناك على فقري وبحلمك على جهلي وبقوتك على ضعفي يا قوي يا عزيز. اللهم صل على محمد وآل محمد والأوصياء المرضيين واكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين)²⁶⁹.

²⁶⁵ نفس المصدر ص 156.

²⁶⁶ المصباح للكفعمي ص 87.

²⁶⁷ مفاتيح الجنان ص 62.

²⁶⁸ نفس المصدر ص 179.

²⁶⁹ نفس المصدر ص 133.

- (اللهم اقسّم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به رضوانك. ومن اليقين ما يهون علينا به مصيبت الدنيا. اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا. واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا برحمتك يا ارحم الراحمين)²⁷⁰.

4- يبدأ التعقيب عادة بالتهليل بعد التكبيرات الثلاث، فيقول:

- (لا إله إلا الله الهاً واحداً وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ لا إله إلا الله وَلا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ لا إله إلا الله رَبُّنَا وَرَبُّ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ لا إله إلا الله وَحْدَهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَاعْتَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)²⁷¹.

- (استغفر الله الذي لا آله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)²⁷².

- (اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَافِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَانْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ سُبْحَانَكَ لا إله إلا أنت اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا جَمِيعاً فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا جَمِيعاً إِلَّا أَنْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ احاطَ بِهِ عِلْمُكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ احاطَ بِهِ عِلْمُكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَافِيَتَكَ فِي أُمُورِي كُلِّهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَأَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَعِزَّتِكَ الَّتِي لا تُرَامُ وَقُدْرَتِكَ الَّتِي لا يَمْتَنِعُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ شَرِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ شَرِّ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا)²⁷³.

- ثم تسبح تسبيح الزهراء.

²⁷⁰ البحار للمجلسي ج 2 ص 63. حديث 11 وج 98. ص 413. حديث 1.

²⁷¹ مفاتيح الجنان ص 66.

²⁷² نفس المصدر ص 67.

²⁷³ نفس المصدر - ص 67- 68.

- ثم تقول عشرة مرات قبل أن تتحرك من موضعك: (اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً)²⁷⁴.

5- من التعقيبات المختصرة:

- (يا مَنْ لا يَشْغُلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ وِيا مَنْ لا يُغْلِطُهُ السَّائِلُونَ وِيا مَنْ لا يُبْرِمُهُ الْحَاخُ الْمُلْجِنَ إِذْ قَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفُورَتِكَ)²⁷⁵.

- (الهي هذه صَلَاتِي صَلَّيْتُهَا لا لِحَاجَةٍ مِنْكَ إِلَيْهَا وَلا رَغْبَةَ مِنْكَ فِيهَا أَلَّا تُعْظِيماً وَطَاعَةً وَاجَابَةً لَكَ الى ما أَمَرْتَنِي بِهِ الهي اِنْ كَانَ فِيهَا خَلَلٌ أَوْ نَقْصٌ مِنْ رُكُوعِهَا أَوْ سُجُودِهَا فَلَا تَوَاضِعْ لِي وَتَقَضَّلْ عَلَيَّ بِالْقَبُولِ وَالْعُفْرِانِ)²⁷⁶.

- (سُبْحَانَ مَنْ لا يَعْتَدِي عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ سُبْحَانَ مَنْ لا يَأْخُذُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِاللَّوَانِ الْعَذَابِ سُبْحَانَ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُوراً وَبَصِراً وَفَهْماً وَعِلْماً أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)²⁷⁷.

- (اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ذَنْبِي عِنْدَكَ عَظِيماً فَعَفُوكَ اعْظُمْ مِنْ ذَنْبِي اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَرحمتك اهل ان تبلىعني وتسعني لانها وسعت كل شيء برحمتك يا ارحم الراحمين)²⁷⁸.

- (اعيدُ نَفْسِي وَدِينِي وَاهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَآخِوانِي فِي دِينِي وَمَا رَزَقَنِي رَبِّي وَخَوَاتِمَ عَمَلِي وَمَنْ يَغْنِينِي أَمْرُهُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْإِلاهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ وَبِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَبِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)²⁷⁹.

²⁷⁴ نفس المصدر ص 71.

²⁷⁵ نفس المصدر ص 15.

²⁷⁶ نفس المصدر والصفحة.

²⁷⁷ نفس المصدر والصفحة.

²⁷⁸ نفس المصدر والصفحة.

²⁷⁹ مفتاح الفلاح ص 73.

6- قراءة سور القرآن الواردة استحبابها, ومنها:

- سورة ياسين.

- سورة الواقعة.

- سورة ق.

- سورة ص.

- سورة الذاريات.

- سورة الدخان.

7- قراءة أدعية العوذات والتوسل وقضاء الحاجات. وهي كثيرة ومنها ذات مداليل عالية، ومنها الطويل والقصير.

8- قراءة الأدعية الصغيرة, ومنها:

- (يا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ، يَا ذُخْرَ مَنْ لَا ذُخْرَ لَهُ، وَيَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدَ لَهُ، وَيَا حِرْزَ مَنْ لَا حِرْزَ لَهُ، وَيَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ، وَيَا كَنْزَ مَنْ لَا كَنْزَ لَهُ، وَيَا عِزَّ مَنْ لَا عِزَّ لَهُ، يَا كَرِيمَ الْعَفْوِ، يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، يَا عَوْنَ الضُّعْفَاءِ، يَا كَنْزَ الْفُقَرَاءِ، يَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ، يَا مُنْقِذَ الْغَرْقَى، يَا مُنْجِيَ الْهَلَكَى، يَا مُحْسِنَ، يَا مُجِملَ، يَا مُنْعِمَ، يَا مُفْضِلَ، أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَنُورُ النَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ، وَدَوِيُّ الْمَاءِ، يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، يَا رَبَّاهُ يَا اللَّهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ). وسل حاجتك²⁸⁰.

- (اللَّهُمَّ بِحَقِّ الْعَرْشِ وَمَنْ عَلاه، وَبِحَقِّ الْوَحْيِ وَمَنْ أَوْحاه، وَبِحَقِّ النَّبِيِّ وَمَنْ نَبَّاه، وَبِحَقِّ النَّبِيِّتِ وَمَنْ بَنَاه، يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، يَا جَامِعَ كُلِّ قُوْتٍ، يَا بَارِيَّ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَاهْلِ بَيْتِهِ، وَآتِنَا وَجْمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فَرَجاً مِنْ عِنْدِكَ

عَاجِلًا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا²⁸¹.

- (الهي كَيْفَ ادْعُوكَ وَأَنَا أَنَا وَكَيْفَ أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَنْتَ، الهي إذا لَمْ اسألكَ فَتُعْطِنِي فَمَنْ
ذَا الَّذِي اسألهُ فَيُعْطِنِي، الهي إذا لَمْ ادْعُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي فَمَنْ ذَا الَّذِي ادْعُوهُ فَيَسْتَجِيبَ لِي، الهي إذا
لَمْ اتَضَرَّعْ إِلَيْكَ فَتَرْحَمْنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي اتَضَرَّعْ إِلَيْهِ فَيَرْحَمْنِي، الهي فَكَمَا فَلَقْتَ الْبَحْرَ لِمُوسَى
(عليه السلام) وَنَجَّيْتَهُ اسألكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَأَنْ تُنَجِّينِي مِمَّا أَنَا فِيهِ وَتُقَرِّجَ عَنِّي فَرَجًا
عَاجِلًا غَيْرَ أَجَلٍ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)²⁸².

- (اللَّهُمَّ أَنْتَ تَرَى وَلَا تُرَى وَأَنْتَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، وَأَنْتَ إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى وَالرُّجْعَى وَأَنْتَ لَكَ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى، وَأَنْتَ لَكَ الْمَمَاتُ وَالْمَحْيَا، وَرَبِّ اغْوِذْ بِكَ أَنْ اذَلَّ أَوْ اخْزَى)²⁸³.

9- قراءة أدعية التضرع والتوبة التي تجدها في الصحيفة السجادية وغيرها من مصادر الأدعية.

10- التسبيحات التي تختص بصلاة الصبح وغير صلاة الصبح في أي وقت, ومنها:

- مائة مرة: استغفر الله وأتوب إليه.

- مائة مرة: أسأل الله التوبة.

- مائة مرة: أسأل الله العافية.

- مائة مرة: أستجير بالله من النار وأسأله الجنة.

- مائة مرة: أسأل الله الحور العين.

- مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

²⁸¹ نفس المصدر ص 112.

²⁸² نفس المصدر - ص 113.

²⁸³ نفس المصدر ص 114.

ومائة مرة: صلى الله على محمد وآل محمد.

- مائة مرة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- مائة مرة: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم²⁸⁴.

- (أصبحت اللهم معتصماً بذمامك المنيع الذي لا يحاول ولا يطاول..) إلى آخر الدعاء²⁸⁵.

- دعاء الصحيفة السجادية: (الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرته..) إلى آخر الدعاء²⁸⁶.

الفقرة (23) الخلل الواقع في الصلاة

سؤال: ما هو أثر الخلل الواقع في الصلاة؟

جواب: هنا جانبان:

الأول: الجانب الفقهي، وفيه أن منشأ الخلل في الصلاة هو أحد أمرين:

1- الشك.

2- السهو.

والفرق بين هذين الأمرين وجداني حاصله هو وجود اليقين وعدم وجود اليقين؛ فإن حصل اليقين بالترك أو قامت على الترك حجة شرعية مثل الاطمئنان أو مثل شهادة البيئة، فهنا يسمى (السهو).

²⁸⁴ نفس المصدر ص 147.

²⁸⁵ مفتاح الفلاح ص 88.

²⁸⁶ نفس المصدر ص 110.

وان لم يحصل اليقين بالترك ولا قامت على الترك حجة شرعية من فرض الالتفات إليه، فهنا يسمى بـ(الشك). هذا أولاً.

وثانياً: قد يسمى السهو بالغفلة أو النسيان، ولكن هذين من الغفلة أو النسيان قد يسببان الشك كما قد يسببان السهو وذلك بحسب وجدان المصلي. وأما الفقهاء فقد أخذوا في تحديد جانب السهو أن يكون الترك حاصلًا فعلاً وواقعاً لكي يصدق أنه قد سها عنه من دون أن يكون للوجدان دخل في تحقق السهو، وهذا يرد عليه أحد أمرين:

1- عدم معلومية الواقع بما هو واقع وإنما يصل الواقع إلى الفرد عن طريق شعور الفرد بوجوده الكون على اليقين الكاشف عن الواقع.

2- المقابلة بين السهو والشك وإنما تحصل المقابلة فيما لو أخذنا في جانبي السهو والشك الوجدان، بينما الفقهاء أسقطوا هذه المقابلة فأخذوا في جانب السهو الواقع، وأخذوا في جانب الشك الوجدان، هذا أولاً.

وثانياً: أن جانب السهو في الصلاة كما يشمل النقيصة كذلك يشمل السهو في الصلاة الزيادة فيما إذا تعلق بهذه الزيادة اليقين بأن يصبح المصلي على يقين بأنه قد زاد جزءاً واجباً أو ركناً في حالة السهو. وأما جانب الشك في الصلاة فقد يشمل الزيادة، إلا أنه لا حكم لهذا المشكوك الزائد. ومن هنا لم يتعرض الفقهاء لحكم الشك، بخلاف حكم السهو، فمثلاً لو تيقن المصلي بزيادة ركن في حالة السهو، فهنا بطلت صلاته. وأما لو شك المصلي بزيادة ركن، فهنا كان الأصل عدم الزيادة، ويمكن أن تصح صلاته ولا شيء على المصلي.

وثالثاً: أن الشك والسهو كما يتعلقان بالماضي كذلك يتعلقان بالحاضر فيما إذا كان مما لم يتجاوز المصلي محل الجزء المشكوك ولم يعمل المصلي بعد الجزء المشكوك أي عمل على تقدير ترك هذا العمل بحيث لو فعل المصلي العمل لكان في محله تماماً، فهنا قد يقال: أنه شك أو سهو في الحاضر. ولا مشاحة في الاصطلاح. وليس وراء هذا التعلق أثر فقهي.

ورابعاً: أن الشك والسهو كما يتعلقان بالواجبات من زيادة ونقيصة كذلك يتعلقان بالمستحبات من زيادة ونقيصة إلا أن الفقهاء لم يتعرضوا إلى موارد تعلق الشك والسهو بالمستحب وذلك لأن

زيادة ونقيصة المستحب غير مبطل للصلاة، وإن كان هناك مسلك لبعض الفقهاء بلزوم سجدي السهو ولو احتياطاً وجوباً في موردين:

1- إذا ترك الفرد في حالة السهو جزءاً مستحباً كان عازماً على فعله.

2- إذا ترك الفرد جزءاً مستحباً يلتزم به المتشربة دائماً أو غالباً جداً، كالقنوت ونحوه.

ولكن أن الصحيح لدى المشهور المنصور عند المصنف قدس هو خلاف ذلك.

الثاني: الجانب الأخلاقي: وفيه مستويات ثمانية:

المستوى الأول: إن منشأ الخلل في الصلاة، سواء كان عن شك أو سهو هو في صورة سروح وشرود الذهن شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في المشاكل والمطامح الدنيوية من خلال ترك صورة التوجه والخشوع في الصلاة، فهنا يكون عدم التوجه في الصلاة منشأً لحصول لخلل الشك والسهو.

المستوى الثاني: إن منشأ عدم التوجه في الصلاة الذي يكون بنفسه خلل معنوي في الصلاة له مناشئ كثيرة، وقد تقدم في المستوى السابق أن عدم التوجه مسبب بدوره لخلل الشك والسهو، وهو قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)²⁸⁷. وأما مناشئ عدم التوجه فمن أهمها:

1- الإهمال: أي عدم اهتمام المصلي بالتوجه والخشوع في الصلاة، وإنما المهم لدى الفرد فقط إيجاد حركات الصلاة من قيام وقعود.

2- الاهتمام: أي اهتمام الفرد بأمور الدنيا الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها.

3- الخروج عن مقتضى الطبع بسبب وجود مشكلة تقلق وتخرج الفرد عن طبعه.

4- العقوبة الإلهية بسبب اقتراف بعض الذنوب باعتبار أن التوجه والخشوع في الصلاة هو من النعم الإلهية، فسلب هذه النعمة يعني حرمان الفرد من هذا التوفيق الإلهي.

فهنا أن المفروض بالفرد المؤمن عدم وجود شيء من هذه المناشئ المنافية لصورة التوجه والخشوع في الصلاة، ولكن انعدام هذه المناشئ يختلف باختلاف الأفراد، من حيث اختلاف مقدار إدراكهم واهتمامهم وصبرهم وتربيتهم، وقد علم الله سبحانه صعوبة ذلك، فإن التركيز الذهني المستمر والدائم ليس بالشيء السهل اليسير، ومن هنا ورد: (إن من صلى ركعتين لا يذكر فيهما إلا الله عز وجل، خرج من ذنوبه كما ولدته أمه)²⁸⁸. هذا أولاً.

وثانياً: أن الفرد لو كان معتاداً على التوجه والخشوع في الصلاة فلم يحتج في هذا الاستمرار والدوام إلى التركيز الذهني، وإنما يكون الاستمرار والدوام بصورة تلقائية وحسب اصطلاح: فإن الذكر يكون ذكراً قلبياً وليس ذكراً ذهنياً، فيكون هذا الذكر الذهني أقل كلفة وأعمق فهماً.

المستوى الثالث: إن السهو كما قد يتعلق بجزء واجب غير ركني كالقراءة والذكر كذلك يتعلق السهو بجزء واجب ركني في الصلاة كالركوع والسجود. كما قد يتعلق السهو بجزء مستحب بتفصيل تقدم، فهنا الصلاة المعنوية المتمثلة بالخشوع والتوجه نفسه خلال الصلاة فيها هذه الأجزاء والمتعلقات من جزء واجب غير ركني وركني ومستحب، وتقويت أي جزء من هذه الأجزاء في الصلاة موجب لتقويت جزء مقابل له في الصلاة المعنوية، وأمثلة ذلك:

- ما تبطل الصلاة به الصلاة وهو السهو عن الركن بعد تجاوز المحل كذلك تبطل به الصلاة المعنوية.

- ما لا تبطل به الصلاة كترك الواجب غير الركني سهواً كذلك لا تبطل به الصلاة المعنوية.

- ما تنقص به الصلاة وهو الجزء الواجب غير الركني نفسه والجزء المستحب كذلك تنقص به الصلاة المعنوية.

- ما تزيد به فضلاً واستحباً الصلاة وهو الجزء المستحب نفسه كذلك تزيد به الصلاة المعنوية.

- ما تبطل به الصلاة بتركه عمداً كذلك تبطل به الصلاة المعنوية.

- ما تخسر به الصلاة فضلاً من نقصه عمداً كذلك تخسر به الصلاة المعنوية.

المستوى الرابع: العصمة والصيانة من حالي الشك والسهو يحتاج إلى حسن التوفيق الإلهي، لأن كلاً من هاتين الحالتين ليس اختياريّاً ولا عمديّاً للفرد وإنما يقعان بصورة مفاجئة للفرد، وحسب فهم المصنف قدس فإن هذه العصمة مقترنة عادة مع درجة معينة بصورة التوجه أو التكامل أو التوكل أو الصفاء أو الرحمة، والعتاء الإلهي موجود للمستحقين، فانه تعالى كريم لا بخل في ساحته، فيعطي عطاءه ما لم يكن هناك سبب مانع من جانب العبد نفسه يمنع هذا العطاء الإلهي، ومثاله:

- قوله تعالى: (مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ)²⁸⁹ الدال على التساؤل والتعجب من دخول العباد نار سقر، ولم يقع التساؤل والتعجب عن سبب دخول العباد الجنة (ما أدخلكم الجنة؟) وذلك لأن الأصل في الإنسان هو دخول الجنة بعد سعة الرحمة الإلهية وعدم المانع من قبل العبد، وإنما العجب والتساؤل يكون فيما إذا دخل الفرد نار سقر، ولم تقتض الرحمة على سعتها أن يدخل العبد الجنة. فأى جناية وظلم على النفس؟.

المستوى الخامس: إن الشك في الصلاة من حيث تعلقه بانجاز وحكم فعل على نحوين:

1-تعلق الشك بإنجاز فعل وعدم انجاز فعل.

2- تعلق الشك بحكم فعل وعدم حكم فعل.

فهنا الشك يتعلق بكلا هذين النحويين ولكن الفقهاء يذكرون الشك بانجاز الفعل وعدم انجاز الفعل، ولم يذكر الفقهاء الشك بحكم فعل وعدم حكم فعل إلا أن الحكم هو جريان عن الشك بحكم فعل أصالة البراءة، ومثاله:

- ما شككنا بوجوب فعل، فهنا الحكم الفقهي هو عدم الوجوب.

- ما شككنا بحرمة فعل، فهنا الحكم الفقهي هو عدم حرمة.

وهذا الحكم صحيح في الجانب الفقهي، وأما في الجانب الأخلاقي فهو ليس صحيحاً دائماً، بل الغالب تخلفه بحيث يكون الأفضل للفرد سلوك جانب الاحتياط في عباداته الظاهرية والقلبية، ومثاله:

- ما احتمل وجوبه أو استحبابه، فهنا الحكم الأخلاقي هو الإتيان بالفعل الواجب أو المستحب.
 - ما احتمل حرمة أو كراهته، فهنا الحكم الأخلاقي هو عدم الإتيان بالفعل المحرم أو المكروه.
- وذلك ليكون سلوك وتكامل الفرد أصوب وأسرع.

المستوى السادس: أن الشك القلبي لا أثر له من الناحية الفقهية بشرط أن يحدث في الفرد قولاً أو عملاً أو قناعة، ومن هنا ورد ما يشهد بذلك، ومنها:

-مضمون قولهم عليهم السلام: (إن الصلاة إن افتتحتها بالتكبير خالصة لله لم يضررك ما يحصل بعد ذلك)²⁹⁰.

- قول النبي صلى الله عليه وآله: (رفع عن أمتي الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بلسان)²⁹¹، ومعنى الوسوسة في الخلق هي الشك.

وحكم هذا الشك من الناحية الأخلاقية هو مما لا حكم وأثر له لعدة أسباب، ومنها أسباب أربعة:

- 1- الشك غير اختياري للمكلف.
- 2- الشك غير مرضٍ للمكلف.
- 3- الشك لا يقدر المكلف على إزالته.
- 4- الفرد المكلف مقتنع بفساد هذا الشك وشاهد على صحة خلافه.

²⁹⁰ الوسائل ج 2 م 4- الباب 2 من ابواب النية- حديث 2 و 3.

²⁹¹ تحف العقول ص 42.

ومعه فإن الفرد الذي لا يحصل له مثل هذا الشك والوسواس فهو أفضل مقاماً عند الله تعالى، هذا أولاً.

وثانياً: أن تأثير الفرد في إزالة مثل هذا الشك أو الوسواس متعذر.

وثالثاً: النسبة بين حصول الشك أو الوسواس وبين حصول التكامل المعنوي هو التناسب العكسي، فكلما كلما ازداد التكامل وابتعد الشيطان قل الشك والوسواس حتى يصل الفرد إلى درجة من الكمال يستحق في هذه الدرجة الفرد أن ينال الطهارة الكاملة من هذه الأدران والأوساخ، والله تعالى كريم لا بخل في ساحته، فيضفي على الفرد برحمته هذا العطاء.

المستوى السابع: إن المعالجات التداركات المشروعة من الناحية الفقهي للشك كثيرة وعديدة، كما في مثل سجدي السهو، ومثل صلاة الاحتياط، فهنا تعتبر هذه المعالجات تداركاً من الناحية المعنوية لما فات خلال الصلاة من النقص العملي أو المعنوي وفقاً لعدة اعتبارات، ومنها اعتبارات ثلاثة:

1- اعتبار سجدي السهو إرغاماً للشيطان الذي سبب هذا السهو.

2- اعتبار سجدي السهو استغفاراً عن النقص الحاصل وتضرعاً للغفران.

3- اعتبار صلاة احتياط تداركاً كاملاً لما نقص من عدد الركعات.

وأما النقص الحاصل في الصلاة من التوجه وغيره مما لا يبطل الصلاة ولكن لا يمكن تداركه بسجود السهو وصلوات الاحتياط، فهنا يمكن تدارك هذا النقص بعدة أمور، ومنها أمور ثلاثة:

1- النوافل، فقد ورد: (إن الله جبر ذلك بالنوافل)²⁹².

2- التعقيب بعد الصلاة مباشرة بالأدعية والأذكار بتفصيل تقدم.

3- الإنابة والاستغفار.

²⁹² الوسائل ج 2 م 3- الباب 17- من ابواب اعداد الفرائض. حديث 12.

المستوى الثامن: قول بعض الفقهاء من أفضلية أن يشغل الفرد ذهنه بالأمر الديني التي فيها منفعة للنفس وللآخرين فيما لو اشتغل ذهن الفرد بأمور دنيوية خلال الصلاة التي لا بد منها. وهذا القول عند المصنف قدس إنما يصدق في مستوى معين من الإدراك والتكامل ولكن الفرد لو تكامل أكثر لوجد أن من الضروري ترك جميع الأفكار المانعة من تكامل الصلاة وحسن أدائها وتأثيرها، هذا أولاً.

وثانياً: أن الصلاة التي لا يذكر فيها إلا الله عز وجل تنفي وجود مثل هذه الصلاة التي يقترحها هذا الفقيه.

وثالثاً: أن اشتغال الذهن بأمور دنيوية مما يمكن تقليله بصورة تدريجية مع حصول كثرة التكامل والصعود التدريجي في رفيع الدرجات بتفصيل سبق، وليس اشتغال الذهن هذا متعذراً أو مستحيلاً.

الفقرة (24) في رد التحية في الصلاة وغيرها

سؤال: ما حكم التحية وردّها في الصلاة موضعاً المعنى الأخلاقي؟

جواب: هنا أمور:

1- المعنى الأخلاقي المستفاد من السلام والتحية بين المخلوقين على تفصيل في ارتباط التحية بالخالق سبحانه وتعالى هو إيجاد وزيادة المودة والمحبة وإذهاب والأحقاد والبغضاء عن القلوب ما عدا مراتب شدة العناد والبغضاء، ولأن الله سبحانه وتعالى أراد لأفراد المجتمع المسلم الاتفاق والتواد والمحبة فمن هنا شرع الله تعالى لهذا المجتمع السلام فيما شرع من جملة مكارم الأخلاق التي أتمها نبي الإسلام الذي قال: (إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق). وقد قال الفقهاء طبقاً لما ورد في الأخبار من أن البدء بالتحية مستحب إلا أن رد التحية واجب. والبدء بالتحية أفضل من رد التحية على الرغم من وجوب رد التحية، وذلك لأن البدء بالتحية يتضمن المبادرة إلى فعل الخير، وإيجاد ما ليس بلازم من الناحية الشرعية، والتسبب للتحبب بين المسلمين وغير ذلك، ولذلك

يكون القسط الأهم من الخير للبادئ منهما, فيثبت أن البدء التحية أفضل من رد التحية, ويتم المطلوب.

نعم إذا كان الفرد ناوياً للبدء بالسلام والتحية فبدره الفرد الآخر بالتحية فهنا كان الفرد الناوي للبدء بالتحية حائزاً ثواب المبادرة ليس من جهة العمل بل من جهة النية، وذلك لأنه وبحسب ما ورد فإن نية المؤمن خير من عمله, ولكل امرئ ما نوى.

2- أن السلام والتحية يمكن أن تكون على أنواع وأشكال مختلفة من حيث القول أو من حيث الفعل, ولكن بعض هذه الأنواع مرجوح بل محرم, وذلك لأن مثل هذا النوع يتضمن نقصاً شديداً في الأسباب أو المسببات؛ أما الأسباب فمثاله:

- لو كان السلام قائماً على اعتقاد فاسد.

- لو كان السلام متضمناً لمضمون فاسد من الفحشاء وغيرها.

وأما المسببات فلأن السلام قد ينتج شراً أو ينتج محرماً، ومثاله:

- احترام الظالم.

- الحث على المعصية.

- الدلالة على الجريمة.

ومن هنا اختار الشارع المقدس الإسلامي لنا كليات وصيغاً معينة للتحية والسلام بحيث تكون هذه الصيغ هي الأرجح والأولى والأفضل من غيرها من الصيغ بالمقدار الذي يتضمن فيه السلام الاحترام والذكر والدعاء بالنسبة إلى تمتين وتقوية العلاقات مع الآخرين.

3- قد ذكر المصنف قدس في كتاب (ما وراء الفقه) طبقاً لما ورد في الأخبار والروايات بأن (السلام) اسم من أسماء الله تعالى الحسنى, وطبقاً لما ورد في نص القرآن الكريم في قوله تعالى: (السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ) ²⁹³. هذا أولاً.

²⁹³ سورة الحشر - آية 23. ما وراء الفقه للمؤلف ج 3 ق 1 ص 195.

وثانياً: أن صيغة: (السلام عليكم) أو (عليكم السلام) ليست إخباراً محضاً، بل دعاء للمخاطب بأن يكون مشمولاً لرحمة الرب الكريم وجميل عطائه حتى كأنه يكون في غشاء كامل من الرحمة (عليه).

ومن هنا كانت مثل هذه الصيغة من أذكار الله سبحانه فلا تبطل الصلاة بهذه الصيغة، وهذا أحد أسباب ومبررات وجوب رد السلام حتى في الصلاة، وذلك لأنه من موارد قاعدة (إذا جاز وجب) أي انه واجب في نفسه فإذا جاز في موضوع الصلاة وجب فعله بسبب عدم وجود المانع.

4- أن وجوب السلام والتحية في الصلاة يمثل لنا مدى اهتمام الشارع المقدس بالأهداف العليا التي جعل السلام والتحية بين المسلمين من أجلها بحيث لا ينبغي أن يكون أي شيء مهما كان مهماً أن يكون مانعاً وعائقاً عن أداء تلك الرسالة، حتى ولو كان هو الصلاة التي هي عمود الدين، وما في الصلاة من توجه وخشوع. هذا أولاً.

وثانياً: أن القاعدة العامة في البدء بالسلام ولتحية هو الاستحباب ولكنه قد يكون واجباً أحياناً، وذلك في موارد، ومنها:

- إذا أصبح البدء بالسلام مصداقاً للواجب، كما لو أصبح تطبيقاً لصلة الرحم، أو تطبيقاً لإطاعة من تجب طاعته، أو تطبيقاً لاحترام من يجب احترامه.

- إذا ترتبت على البدء بالسلام به مصلحة مهمة عامة أو خاصة، أو اندفعت بالبدء بالسلام مفسدة مهمة عامة أو خاصة.

وثالثاً: أن القاعدة العامة في رد السلام والتحية هي الوجوب ولكنه قد يسقط وجوبه، كما في مثل لو كان البادئ كافراً أو كان البادئ منافقاً بحيث يسقط وجوب احترام الكافر أو المنافق، فهنا يستطيع الإنسان أن يسكت ولا يجيب على السلام، وفي بعض الأخبار الجواب بأسلوب معين وهو قول الراد: (عليك)²⁹⁴. أي لا يريد الراد بهذا الجواب: (عليكم السلام). وإن كان الراد يتظاهر بذلك الجواب دفعاً للمضاغفات الناتجة من عدم الجواب، وإنما يريد الراد بهذا الجواب: (عليك اللعنة والعذاب) وذلك طبقاً لاستحقاق المخاطب الكفار أو المنافق.

²⁹⁴ الوافي ج 3 باب التسليم على أهل الملل. حديث 1. ص 109.

نعم ليس هذا الأسلوب من الرد واجباً من الناحية الشرعية، وإن أمرت بهذا الأسلوب بعض الأخبار، وذلك لأن مثل هذه الأخبار ضعيفة السند، فلا تكون هذه الأخبار حجة، فلا يجب على الفرد الراد التزام مثل هذا الأسلوب وخاصة في ظروف قد تقتضي لزوم التحبب إلى الآخرين مهما كانوا من الكفر أو الفسق.

الفقرة (25) التحية للخالق سبحانه

سؤال: ما هي مستويات ارتباط السلام والتحية بالخالق سبحانه وتعالى؟

جواب: هنا مستويات ثلاثة:

1- إن مصدر السلام الاعتيادي بين الناس بحسب الظاهر هو الصدور من الناس إلا أن مصدر السلام الحقيقي هو الله عز وجل، أي أن السلام دعاء من الله لعبده، فمعنى قولنا في صيغة السلام والتحية: (السلام عليكم) هو سلام الله عليكم. وهذا ما نصرح به عادة اتجاه الأنبياء والمعصومين عليهم السلام، ولولا استجابة الدعاء منه جل جلاله لما كان هناك سلام أصلاً.

2- إن السلام قد يصدر من الله على عبده فيما إذا كان العبد رفيع المستوى في الإيمان، كالأنبياء ونحوهم. ففي عدد من الأخبار يوجد قول بعض الملائكة: (العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام)²⁹⁵. وقد تقدم أن معنى السلام من الله تعالى هو درجة من الرحمة بالمقدار الذي يعلمه جل جلاله. وهذا النحو من السلام لا يجاب بالجواب الاعتيادي وإنما يقول العبد في جوابه: (اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ويشكر ربه على مثل هذا الإكرام) على تفصيل في المستوى الآتي. ومن أمثلة صدور السلام منه سبحانه:

- قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)²⁹⁶.

فهنا معنى الصلاة نفس معنى السلام باعتبار استعمال كل منهما للتحية.

²⁹⁵ مشكاة الأنوار ص 29.

²⁹⁶ سورة الأحزاب. آية 56.

3- إن السلام لا يمكن أن يصدر من العبد إلى ربه، وذلك لأن الله سبحانه غني عن العالمين، ولو سلم العبد على ربه نتيجة الجهل أو نتيجة نية رجاء المطلوبة أو نتيجة نية رجاء الوصول، فهنا لم يجب على الله رد السلام على العبد، وذلك لأن الله تعالى لا يشمل أي وجوب من الناحية التشريعية، ولكن ذلك لا يعني أن الله سبحانه لا يجيب على ذلك إن رأى من مصلحة عبده ذلك، ويكون جواب الله تعالى درجة من رحمته، قد يعرف العبد هذه الدرجة، وقد تبقى هذه الدرجة محجوبة ومستورة على العبد.

الفقرة (26) سجود القرآن الكريم

سؤال: ما معنى سجود القرآن الكريم؟

جواب: المقصود بسجود القرآن هو مجموعة من السجودات الوجبة أو المستحبة عند نهايات آيات معينة من القرآن الكريم، والمعروف بين الفقهاء أن الواجب من هذه السجودات أربعة، وهي²⁹⁷:

1- سورة السجدة.

2- سورة فصلت.

3- سورة النجم.

4- سورة العلق

وتجب سجدة القرآن عند قراءة أو الاستماع المتعمد إلى هذه السجودات من دون السماع غير المتعمد، فإن احتمال الوجوب في السماع غير المتعمد مدفوع بأصالة البراءة. كما أن احتمال الوجوب في غير هذه الأربعة من السجودات مدفوع بأصالة البراءة، وقد قال الفقهاء أنه لا يجوز قراء هذه السور في الصلاة، وذلك لأن وجوب السجود فوري، فيقع السجود في غير محله، فتبطل الصلاة. وهذا الوجه من عدم جواز قراءة هذه السور في الصلاة عليه عدة مناقشات:

²⁹⁷ سورة السجدة آية 15 - وفصلت آية 37 - والنجم آية 62 - والعلق آية 19.

أولاً: النقض بالاستماع إلى السجدة الواجبة، فإن الفقهاء لم يقولوا بحرمة السجود في الصلاة عند الاستماع إلى السجدة الواجبة، فهنا إيجاد سبب أو موضوع السجدة الواجبة مما لا دليل على حرمة بما فيها قراءة السورة نفسها.

ثانياً: أن الفقهاء قالوا إن حكم المصلي إذا استمع للسجدة وهو أن يومئ للسجود، ثم يسجد بعد الصلاة، فهنا يكون سجود القرآن غير مفسد للصلاة بما فيها السجود الناتج عن قراءة السجدة الواجبة.

ثالثاً: إن السجود لو تم حقيقة فلا يكون سجود القرآن مبطلاً للصلاة، وذلك لأن المبطل للصلاة هو زيادة الواجب الصلاتي نتيجة التعمد، ونية هذا السجود ليس بنحو الجزئية للصلاة، وإنما السجود بنية سجود القرآن الواجب المنجز خلال الصلاة، كمثّل وجوب جواب رد السلام والتحية، وليس فعل هذا السجود من الفعل الزائد المبطل للصلاة، كمثّل فعل القفزة ونحوها من المنافيات والمبطلات للصلاة، وذلك لأكثر من سبب، ومنها أسباب سبيان:

1- لأن السجود ليس بهذه المثابة من الكثرة.

2- لأن السجود يحتوي على ذكر وخشوع، وليس السجود فعلاً دنيوياً.

بل إن أجزاء الإيماء للسجود بدل السجود الكامل محل إشكال بل محل منع، والفرد متمكن من الناحية الوجدانية والناحية الشرعية من السجود الكامل حتى في الصلاة، وقد احتاط بعض الفقهاء احتياطاً استحبابياً بل أفتى بالاستحباب للسجود في كل مورد يرد فيه الأمر به في القرآن الكريم. ورأي المصنف قدس بعد التجاوز عن السجودات الواجبة والمستحبة فإن الأمر بالسجود له نحوان:

1- الأمر الخاص بالسجود وهو الأمر المتوجه إلى جماعة خاصين ومحددين أو في زمان خاص ومعين غير شامل للمكلف القارئ للقرآن، ومثاله:

- قوله تعالى في الأمر للملائكة بالسجود لأدم عليه السلام في أكثر من آية: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ²⁹⁸. ولا احسب أن الفقيه يلتزم باستحباب السجود عنده.

- قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)²⁹⁹, فهنا هذه الآية لا تدل على مطلوبة السجود في غير مواردّها.

2- الأمر العام بالسجود وهو الأمر المتوجه إلى جماعة غير خاصين, وفيه موردان:

أولاً: قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)³⁰⁰.

ثانياً: قوله تعالى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)³⁰¹.

فهنا إذا فهمنا من هاتين الآيتين الحث على السجود مطلقاً فيكون الأمر بالسجود عاماً, وأما إذا فهمنا من هاتين الآيتين الحث على السجود بشكل محدد, كوقت الليل في الآية الأولى أو أهل الكتاب في الآية الأولى. وكذلك مملكة بلقيس في الآية الثانية في قبال ما كانوا يعملون من عبادة الشمس, فهنا لا يبقى لهذا الأمر العام مورد أصلاً في الفقه.

الفقرة (27) في الفهم الأخلاقي للسجود القرآني

سؤال: ما المعنى الأخلاقي المستفاد من سجود القرآن ؟.

جواب: هنا جملة من الأسئلة التي قد تخطر في البال ومنها أربعة أسئلة:

1- هل أن جميع القرآن الكريم ذكر لله عز وجل فالمفروض بالمؤمن انه كلما سمع الذكر سجد لله تعالى سواء سجد جسمه أم سجد قلبه وعقله أو أن القرآن ليس جميعه ذكر لله تعالى من حيث احتواء القرآن على مطالب كثيرة ليست من ذكر الله كذكر الأنبياء والكفار وفرعون وإبليس وآيات التشريع وغيرها, فلا يكون جميع القرآن ذكراً لله تعالى ؟.

²⁹⁹ سورة الإنسان. آية 26.

³⁰⁰ سورة آل عمران. آية 113.

³⁰¹ سورة النمل. آية 25.

فجوابه: أن جميع القرآن الكريم ذكر الله عز وجل وأما إن احتواء القرآن الكريم على ذلك من المطالب فهو مسلمٌ وواضح إلا أنه مع ذلك لا ينافي أن يكون جميع القرآن ذكراً لله عز وجل، أو لا أقل أنه مذكر بالله عز وجل، وذلك لعدة وجوه، ومنها وجهان:

أولاً: نزول القرآن من الله عز وجل كاف لأن يكون جميع القرآن الكريم ذكراً لله تعالى بما فيها هذه المطالب المتقدمة.

ثانياً: أن هذه المطالب الكثيرة المذكورة في القرآن إنما هي من زاوية إلهية، وأمثلة ذلك:

- الكفار الذين كفروا بالله تعالى.

- فرعون الذي طغى تجاه الله تعالى.

- الأنبياء المرسلين من قبل الله تعالى.

- التشريع المجعول من الله سبحانه.

2- هل هناك منافاة بين ما ورد في بعض الأخبار الدال على وجود عدة أماكن لا يقرأ فيها القرآن كما في مثل الركوع والسجود وبين السجود القرآني في جميع القرآن الكريم؟.

وجوابه من حمل السجود هنا على أحد معنيين:

أولاً: السجود الظاهري الاعتيادي.

ثانياً: السجود في الصلاة.

فهنا يرتفع التنافي بين الأمرين من الأمر بخلو البعض من القرآن، والأمر بالسجود القرآني في جميع القرآن، فإذا كان السجود في جميع القرآن مطلوباً، فيكون السجود في بعض القرآن مطلوباً على الاختلاف بدرجة السجود من حيث الاستحباب أو من حيث الوجوب بمعنى أن الله سبحانه لا يريد من العبد أن يكمل جميع القرآن وهو غير ساجد، بل الله سبحانه يريد أن يرى عبده ساجداً ولو كان السجود في بعض آيات القرآن الكريم.

3- هل هناك منافاة بين أن يقرأ الفرد وهو ساجد سواء كان السجود الظاهري أم كان السجود المعنوي وبين السجود القرآني الذي لا يجب فيه بل لا يشرع في هذا السجود قراءة القرآن، وإنما يقطع الفرد قراءته ويسجد، ثم يستمر بها إن أراد؟.

وجوابه من وجهين بل ثلاثة:

أولاً: إن هذا السجود القرآني المأمور به هو رمز عن ذلك السجود الذي يحصل خلال قراءة القرآن باعتبار عدم فهم الفرد لهذا النحو من السجود، ومن هنا أمر الله تعالى الفرد بالسجود خارج قراءة القرآن.

ثانياً: إن الفرد الذي لم يكن ساجداً خلال قراءة القرآن سواء كان سجوداً معنوياً أم كان سجوداً ظاهرياً فهنا يمكن لهذا الفرد أن يعوض عن ذلك السجود بالسجود خارج القراءة كرد فعل أو خشوع ناتج من القراءة نفسها، ومثاله:

- أن يسجد الفرد بعد نهاية كل سورة.

- أن يسجد الفرد بعد كل مقطع قرآني.

فهنا تكون فكرة ومعنى هذا السجود هي فكرة ومعنى السجود القرآني نفسه.

ثالثاً: ما ورد في بعض الأخبار من استحباب من أن الفرد كلما مر على آية رحمة طلبها، وكلما مر الفرد على آية عذاب استعاذ منها، فهنا يصح من الفرد أن يطلب ويستعيز ساجداً سواء كان سجوداً ظاهرياً أم كان سجوداً معنوياً، مضافاً إلى مشاركة الساجدين في سجودهم مثل سجود الملائكة أو غيرهم مما هو مروي في القرآن الكريم.

4- هل هناك منافاة بين نفي السجود فيما إذا كان الأمر متوجهاً إلى الغير مثل الملائكة بتفصيل تقدم في الفقرة السابقة وبين إثبات السجود في هذه الفقرة؟.

وجواب ذلك: أن موضوع نفي السجود في الفقرة السابقة هو أن يكون الأمر بالسجود متوجهاً إلى القارئ باعتبار النص عليه في الآيات، وأما إذا لم يتوجه إليه الأمر بالسجود فلا مورد لامتنال

الأمر القرآني، وأما هنا في هذه الفقرة فلا يوجد أمر بالسجود وإنما سجود الفرد من أجل مشاركة الساجدين في سجودهم والتعاطف معهم المؤدي إلى حصول الثواب الكثير والمقام العالي.

الفقرة (28) في صلاة الجماعة

سؤال: ما هي عناصر صلاة الجماعة شارحاً المعنى الرمزي لعنصر إمامة الجماعة؟.

جواب: هنا عناصر سبعة إجمالاً:

- 1- الإمامة في الصلاة.
- 2- اشتراط وجوب متابعة المأموم أو المأمومين لأفعال إمام الجماعة في صلاته.
- 3- اشتراط إيمان وعدالة إمام الجماعة.
- 4- اشتراط الاشتراك المكاني في الصلاة.
- 5- اشتراط الاشتراك الزماني في الصلاة.
- 6- اشتراط أن يكون إمام الجماعة ذكراً مع كون المأمومين بالنسبة للمأمومين الرجال أو فيهم الرجال وهذا بخلاف ما لو كان المأمومون نساء فتصح إمامة المرأة للنساء.
- 7- اشتراط أفضلية إمام الجماعة على المأموم.

وأما تفصيل هذه العناصر فرمزية العنصر الأول وهو الإمامة بالصلاة ترمز إلى أحد معنيين:

الأول: التقدم على الآخرين، وأمثلة ذلك:

- تقدم المربي على من يربيه.

- تقدم المرشد على من يرشده.

- تقدم الموجه على من يوجهه.

- تقدم المعلم على من يعلمه.

- تقدم القائد على من يقوده.

- تقدم الهادي على من يهديه.

- تقدم الناصح على من ينصحه.

والثاني: ارتباط العناصر الأخرى بعنصر الإمامة بالصلاة، كشرائط الإمام ووجوب متابعتها ونحوها، ولا معنى لتابع من دون متبوع أو مأموم من دون إمام.

ثم أن للإمامة في الإسلام عدة معاني، ومنها معان عشرة:

1- القدوة في الأمور الإلهية في تعميق الإيمان والوصول إلى مدارج الكمال، ومنه قوله تعالى مخاطباً إبراهيم الخليل على نبينا وآله وعليه السلام: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)³⁰². وقد ورد أن الله تعالى جعل إبراهيم إماماً بعد أن كان نبياً مرسلًا، فهنا الإمامة بهذا المعنى أعلى من تلك المراتب من النبوة والرسالة.

2- العصمة من الذنوب والعيوب أو ما يسمى بـ(العصمة الواجبة) التي يتصف بها سائر الأنبياء والائمة المعصومين الأربعة عشر عليهم الصلاة والسلام أجمعين بحسب اعتقاد الشيعة الامامية، ومنه قوله تعالى على لسان احدهم: (وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)³⁰³.

3- تبليغ الشريعة العادلة عن الله عز وجل والتي جاء بها الرسل والأنبياء.

4- تبليغ الشريعة العادلة التي جاء بها نبي الإسلام خاصة، وهذا يخص المعصومين الأربعة عشر بعد الإسلام.

³⁰² سورة البقرة آية 124.

³⁰³ سورة هود آية 88.

5- الوصاية عن النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته من خلال الإشارة إمامة لأئمة الإثنى عشر الذين نعتقد بإمامتهم.، والفارق بين هذا المعنى والمعنى السابق هو أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه وابنته الزهراء عليهما السلام كانت مندرجة هناك دون هذا المعنى.

6- النيابة العامة عن المعصومين عليهم السلام التي يتصف بها الفقيه العارف المنصوب من قبلهم سلام الله عليهم للولاية على الناس من خلال الاتصاف بجملة من الصفات.

7- القدوة في الأمور الصالحة والعادلة بل كل قدوة حتى ولو كان في الباطل. ومنه قوله تعالى:

- (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)³⁰⁴.

- (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)³⁰⁵.

- (وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ)³⁰⁶.

8- التقدم في الأمور الدينية بشكل مخصص ومحدد، وأمثلة ذلك:

-إمامة الحج.

- قيادة الجيش المجاهد.

- سدانة المراقد والمساجد.

- إمامة الجماعة في الصلاة.

9- المرجعية في التقليد التي يرجع فيها عوام الناس إلى شخص الفقيه المجتهد في التقليد في تفاصيل أحكام دينهم.

10- إمامة الجماعة في الصلاة خاصة.

³⁰⁴سورة الإسراء- آية 71.

³⁰⁵سورة الفرقان- آية 74.

³⁰⁶سورة القصص- آية 41.

الفقرة (29) وجوب المتابعة

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لعنصر وجوب المتابعة في صلاة الجماعة؟

جواب: العنصر الثاني من عناصر صلاة الجماعة هو اشتراط وجوب المتابعة, فهنا معان ثلاثة:

1- الاتجاه المشترك نحو الهدف المعنوي.

2- الطاعة والالتزام بتنفيذ التعاليم والأحكام الصادرة من الإمام بمختلف معاني الإمامة المتقدمة.

3- الاشتراك بعمل معين، طبقاً لهدف يستهدفه الإمام وطاعته باعتباره أمره بهذا العمل.

فهنا الصلاة يمكن أن تكون فرداً ومصدافاً أو تطبيقاً لكل هذه المعاني الثلاثة, فهنا معان ثلاثة:

المعنى الأول: الاتجاه المشترك من حيث احتواء الصلاة على اتجاه مشترك نحو الكمال بمتابعة الإمام في الصلاة, فقد ورد أن الصلاة:

- قول العلماء: (معراج المؤمن)³⁰⁷.

- قوله تعالى: (تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)³⁰⁸.

- قولهم عليهم السلام: (قربان كل تقى)³⁰⁹.

المعنى الثالث: الاشتراك بعمل محدد من حيث أن الصلاة عمل متناسق بين الإمام والمؤمنين وبين المؤمنين أنفسهم فيما إذا كانوا متعددين.

³⁰⁷ جواهر الكلام ج 7 ص 2.

³⁰⁸ سورة العنكبوت - آية 45.

³⁰⁹ من لا يحضره الفقيه ج 1, باب 30 حديث 16, ص 136.

المعنى الثاني: الطاعة والالتزام من حيث أمر الإمام بحضور الجماعة، فيكون حضور الصلاة مستحباً أو واجباً طبقاً لهذا الأمر الصادر من الإمام.

الفقرة (30) عدالة الإمام

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لعنصر عدالة إمام الجماعة؟.

جواب: العنصر الثالث من عناصر صلاة الجماعة هو اشتراط أن يكون إمام الجماعة متصفاً بصفتي الإيمان والعدالة، فهنا يعتبر إمام الجماعة هو القدوة المربي والمرشد والقائد والمحرك والأمر بصفتي الإيمان والعدالة، فلا بد أن يكون هذا الشخص على درجة عالية من الإيمان والعدالة بالمقدار الذي يؤهله لنيل مثل هذه المناصب أو المهام. هذا أولاً.

وثانياً: إن معاني الإمامة أو الإمام المتقدمة تنسجم بل تتعين في صفتي الإيمان والعدالة ماعداً معنى واحد وهو الإمامة الباطلة التي قال سبحانه وتعالى عنها: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)³¹⁰، فهنا لابد أن يكون إمام الجماعة بصفته مريباً للإيمان والعدالة في الأفراد بالتدريج متصفاً بالإيمان والعدالة، وذلك لأن هذا الإمام إذا كان فاقداً لهاتين الصفتين معا أو لأحدهما تعذرت عليه هذه التربية العالية، لأن فاقداً الشيء لا يعطيه.

وثالثاً: إن معنى عنصر متابعة إمام الجماعة يقتضي عدم متابعة إمام لا يتصف بالإيمان والعدالة إلا إذا وافقنا أن يكون من الأئمة الذين يهدون إلى النار وليس أن يهدي إلى الحق والهدى والتقوى.

الفقرة (31) طهارة المولد

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لعنصر طهارة مولد إمام الجماعة؟.

جواب: من شرائط صحة صلاة الجماعة هو أن لا يكون إمام الجماعة ابن زنا, وهذا الشرط صحيح وثابت في جميع معاني الإمامة أو الإمام الحق، وفي جميع معاني متابعة الإمام, وعند المصنف قدس فإن معنى ابن الزنا أو ولد الزنا يمكن أن نفهم منه احد معنيين:

1- المعنى المادي: وهو الولد الناتج عن العلاقة غير المشروعة بين شخصين.

2- المعنى المعنوي: وهو الولد الناتج من تربية فاسدة, ويمكن أن يقال في تقريب هذا الفهم المعنوي: إن هناك فرقاً بين جملة من المصطلحات كلفظ الأب والوالد، وبين لفظ الأم والوالدة وبين الابن والولد, فهنا نحوان من المصطلحات اللفظية:

الأول: الوالد والوالدة والولد، ويسمى بـ(ولد الزنا), فهنا لابد من الحمل على الولادة المعروفة بين شخصين.

والثاني: الأب والأم والاب، ويسمى بـ(ابن الزنا), فهنا لابد من الحمل على الولادة المعنوية, كما في مثل التربية أو التعليم أو الهداية أو بالتجارة أو بالشهرة أو بالسلطة, أو مثل الارتباط بأمر غير معنوية, ومثاله:

- المربي أب لمن يربيه.

- المعلم أب لمن يعلمه.

- الهادي أب لمن يهديه.

- التاجر أب للعامل المستمر عنده.

أو مثل الارتباط بأمر فيها خلل ونقص سواء كان هذا النقص في الأب أو كان هذا النقص فيما واسطة لهذه الأبوة, ومثاله:

- لو كان العامل يعمل عند تاجر يشغل الأموال الحرام المغصوبة أو المجهولة المالك.

- لو كان التلميذ يتلقى العلم من شخص غير مؤهل له كان يسمع منه أموراً باطلة وشبهات مضللة تبعده عن الحق.

فهنا قد ثبت صحة وتمامية المنع من الناحية الشرعية على ممارسة ابن الزنا للإمامة بأي معانيها الحقّة، وذلك لوضوح أن من ساءت تربيته وفسدت ثقافته فإنه لا يصلح لأن يكون هو المربي والمرشد والأمر والمطاع، وأما ولد الزنا فيمكن أن يأخذ نفس الحكم من عدم هذه الصلاحية الشرعية وذلك لسببين:

الأول: إن العرف لا يفرق بين لفظ (ابن الزنا) وبين لفظ (ولد الزنا).

والثاني: إن هنا ولادتين لابن الزنا:

الأولى: الولادة المادية أو الولادة الحقيقية أو الولادة الجسدية: وهي الولادة المنظورة أو المتعارفة، فهنا يكون ابن الزنا الحقيقي أو الجسدي.

والثانية: الولادة المعنوية: وهي الولادة الحاصلة مع الأبوة والأمومة المعنوية تجاه الطالب والمتربي والعامل والمهتدي والمأموم وغيرهم، فهنا يكون ابن الزنا المعنوي. ويمكن أن يقال في تقريب هذه الولادة: إن الفرد قد يولد ولادة جديدة من رحم معنوي من خلال اختياره أو من دون اختياره لاتباع شخص معين أو معتقد معين، فهنا يكون هذا الوليد الجديد ولد زنا معنوي، فتشمله أحكام ولد الزنا الحقيقي أو الجسدي الفاقد لشرطي الإيمان والعدالة، فلا يصلح للإمامة، ويتم المطلوب.

ثم إن هاتين الولادتين لابن الزنا تنطبقان على ولد الزنا نتيجة لعدة مستويات، ومنها مستويات خمسة:

1- النظرة الاجتماعية من حيث أن ولد الزنا يكون مكروهاً في المجتمع فلا يمكن أن يكون ولد الزنا صالحاً للإمامة، وذلك لأن المفروض بالإمام أن يكون محبوباً للناس، والحال أن ولد الزنا مكروهاً بين الناس.

2- العقدة النفسية من حيث أن ولد الزنا حين يعلم من نفسه مكروهيته بين المجتمع فيصبح معقداً نفسياً بالمقدار الذي تسقط معه صلاحيته وأهليته للإمامة بأي معنى من معاني الإمامة المتقدمة.

3- غياب التعاطف الأسري من حيث أن ولد الزنا لا يمكن أن يتربى في أسرة وتعاطف وحنان بسبب غياب الأبوين فيعيش ولد الزنا متشرداً في أحضان الآخرين الذين تغلب عليهم صفات

الخسة والسفالة فتسقط بذلك الصفات المحمودة المؤدية لسقوط صلاحيته وأهليته للإمامة الحقّة والصالحة.

4- التربية الفاسدة من حيث أن الأبوين الزانيين عادة لا يكونان من طبقات مهذبة أو متدينة أو إنسانية بدليل ممارستهما لجريمة الزنا المنكرة لمجرد الشهوة الجنسية فيكون ولد الزنا الناتج من هذه الجريمة غير صالح للإمامة الحقّة والصالحة.

5- الروح الفاسدة والمتمردة من حيث أن روح ولد الزنا نازلة من عالم الظلام نتيجة للعلاقة غير المشروعة التي انتجته بناء على المسلك الفلسفي والعرفاني القائل بوجود الأرواح البشرية قبل الأجساد، والذي يعبر عنه الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا في عينيته المشهورة³¹¹:

نزلت إليك من المحل الأرفع

وهذا بخلاف الروح المنزلة من عالم النور نتيجة للعلاقة المشروعة، وهذا النزول من عالم الظلام أو عالم النور نتيجة المطابقة العادلة بين الجسد والروح كما قيل في الخبر: (إن خيراً فخير وإن شراً فشر)، فهنا لا بد أن يكون ابن الزنا شخصاً فاسد النفس ومظلم القلب، فيثبت عدم صلاحية ابن الزنا للإمامة الحقّة والصالحة، ويتم المطلوب.

الفقرة (32) عدم الفصل الزائد في الجماعة

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لعنصر عدم الفصل الزائد في صلاة الجماعة؟

جواب: العنصر الرابع من عناصر صلاة الجماعة هو البعد المكاني أي أن لا يكون هناك فاصل كبير بين إمام الجماعة وبين المأمومين أنفسهم، فإن حصل مثل هذا الفاصل بطلت صلاة البعيد، وصحت صلاة القريب. والمعنى المعنوي من هذا الحكم يمكن أن يتحقق باعتبار بعد المأموم عن إمام الجماعة وبعد المأموم عن المأمومين أنفسهم، فهنا مستويان:

³¹¹ وفيات الأعيان لابن خلكان م 2 ص 160.

1- بعد المأموم عن إمام الجماعة, فهذا يعني هذا البعد بعد المأموم عن إمام الجماعة من الناحية الفكرية أو العقلية أو النفسية أو الحضارية, وهذا يعني عدم إيمان المأموم بجدارة وولاية وهداية إمام الجماعة, وإن كان المأموم مؤمناً بهذا الإمام من الناحية الاجمالية.

2- بعد المأموم عن المأمومين أنفسهم, فهذا معنيان:

الأول: بعد المأموم عن إمام الجماعة, وفيه نفس المعنى المتقدم في المستوى السابق من البعد من النواحي الفكرية أو العقلية أو النفسية أو الحضارية.

والثاني: بعد المأموم عن المأمومين, وفيه أن المأموم ليس من جماعة المأمومين, وإنما يبقى المأموم منفرداً عن هذه الجماعة, فإن فرضنا أن إمام هذه الجماعة إمام حق وهداية كان المأموم باطلاً وضالاً إلا إذا كان المربون والموجهون عديدين في المجتمع فهذا يكون الالتحاق أو الانضمام سبباً للتكامل, ويكون الابتعاد والانفراد سبباً للتسافل, ومن ثم قيل في مثل هذا الانضمام عن بعض العلماء: (من لا شيخ له فشيخه الشيطان).

الفقرة (33) وحدة الزمان في الصلاة.

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لوحدة الزمان في صلاة الجماعة؟

جواب: العنصر الخامس من عناصر صلاة الجماعة هو البعد الزمني أي أن لا يكون هناك فاصل زمني كبير بين إمام الجماعة وبين المأمومين أنفسهم, فإن حصل مثل هذا الفاصل بطلت صلاة البعيد, وصحت صلاة القريب, والمعنى المعنوي من هذا الحكم هو الابتعاد عن الله عز وجل والاشتراك في عبادة متكاملة. وفي هذا اعطاء رمزية عن عدد من الأشياء ناتجة من جملة من تقسيمات العبادة, ومنها:

1- العبادة الفردية هي العبادة التي يعود أثرها إلى نفس الفرد.

2- العبادة الاجتماعية هي العبادة التي يعود أثرها إلى الآخرين.

3- العبادة الظاهرية هي العبادة التي يتم انجازها في الظاهر والخارج.

- 4- العبادة القلبية هي العبادة التي يتم انجازها في القلب والباطن.
- 5- العبادة الفردية هي العبادة التي يكون العمل فيها خاصاً بنفس الفرد.
- 6- العبادة الجماعية هي العبادة التي يكون العمل مشتركاً فيها مع الآخرين.
- وبهذه التقسيمات تنتج عدة صور, ومنها:

- الاشتراك في عبادة جماعية اجتماعية واحدة, ومثالها:
- أولاً: الاشتراك في مجالس الذكر المعتاد عليه أهل التصوف.
- الاشتراك في مجالس العزاء في ذكرى وفيات الأئمة المعصومين عليهم السلام.
- الاشتراك في قضاء حاجة اجتماعية.
- الاشتراك في دفع ضرورة اجتماعية.
- الاشتراك القلبي أو النفسي في التكامل, ومثاله عندما يسمع الفرد شخصاً يقول: (لا إله إلا الله).
- فيميل من الناحية القلبية أو النفسية إلى أن يقول: (لا إله إلا الله).

الفقرة (34) ذكورة إمام الجماعة

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لذكورة إمام صلاة الجماعة؟

جواب: العنصر السادس من عناصر صلاة الجماعة هو أن يكون إمام صلاة الجماعة ذكراً بشرط أن يكون المأمومون ذكوراً, ولا يجوز أن يكون إمام الجماعة أنثى فيما إذا كان المأمومون ذكوراً, إلا إذا كان المأمومون أنثى فتصح إمامة النساء للنساء, فالرجل يؤم الرجال والنساء بينما المرأة لا تؤم إلا النساء. والمعنى المعنوي من هذا الحكم هو منع المرأة عن الإمامة والقيادة, فما السبب والحكمة من هذا الحكم؟. وجوابه فيه عدة مستويات, ومنها مستويات خمسة:

1- استحالة العقل البشري على الاحاطة بالحكم الواقعي كما قال تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)³¹², وذلك بسبب محدودية هذا العقل الذاتية, وإنما ما يدركه العقل عبارة عن مجرد تقرّيبات من أجل تلطيف الجو وتقريب الفهم. وليس من وظيفة الفرد من الناحية التشريعية والأخلاقية التساؤل والاستفهام عن الحكم والمصالح, وإنما وظيفة الفرد هو التعبد بالتعاليم الشرعية على واقعها باعتبار الثقة بعدالة المشرع ذي العدل اللانهائي جل جلاله. وعدم إساءة الأدب بالتساؤل والاستفهام عن المصالح والحكم في الأحكام, وأن مثل هذا التساؤل والاستفهام يعد من الناحيتين الأخلاقية والعرفانية ذنب كبير يستحق عليه الفرد العقوبة. وأما سبب انبثاق هذه التساؤلات والاستفهامات هو الجهل المتفشي في المجتمع المسلم والمتدين, وقد أجمع أوار هذه التساؤلات والاستفهامات هو الاستعمار والاستعماريون ضد الدين والمتدينين.

2- إن الحكمة من هذا التشريع بحسب ما يفهمه المصنف قدس هو أن ظاهر الأدلة دال على وجود نوعين من الأعمال:

أولها: الأعمال الخاصة بالرجل.

وثانيها: الأعمال الخاصة بالمرأة.

وهذا لا يعني أن الرجل والمرأة لا يشتركان في كثير من الأعمال, كما في مثل الاشتراك في تربية الأسرة, فقد أعطيت داخل الأسرة للمرأة, وأعطى خارج الأسرة للرجل. وما يمكن إدراكه من الحكمة لهذا الفصل التطبيقي بين الجنسين من الرجل والمرأة عدة أمور ممكنة نذكر منها أمرين:

الأول: أن أصل الخلقة التكوينية للرجل والمرأة تقتضي ذلك الفصل التطبيقي بين الجنسين من حيث أن المرأة مكرّسة من الناحية الخلقية لمثل صفات الحمل والطمث والولادة والإرضاع والشفقة المتزايدة على الذرية. ومثل هذه الصفات التكوينية تكون اقرب إلى مسألة الاشراف على عمل داخل الأسرة, بينما الرجل خال من مثل هذه الصفات بالمقدار الذي يساعده على الاشراف على خارج الأسرة.

الثاني: منع الاختلاط بين الجنسين من الرجل والمرأة بشكل يؤدي إلى حصول نتائج ومضاعفات غير محمودة لدى العقل والعقلاء والشرع والمتشرعين.

3- أن الحكمة من هذا التشريع بحسب ما يفهمه المصنف قدس هو أن اختلاف أصل الخلقة الجسدية بين الجنسين من الرجل والمرأة يدل على اختلاف أصل الخلقة النفسية، وهذا الاختلاف بين الخلقة الجسدية والنفسية أنتج كون المرأة غير قابلة لقيادة الرجال وإنما تستطيع المرأة قيادة أمثالها من النساء. ومعنى القيادة هو التوجه الظاهري والباطني معاً، فهنا نستطيع القول:

أولاً: إن الله عز وجل هيأ المرأة والرجل من الناحية الجسدية والنفسية لمهام الداخل والخارج كل بحسبه، فإذا كانت المرأة مهيأة تهيئة إلهية للإشراف على داخل الأسرة من الناحية الجسدية والنفسية فالمرأة تكون غير مهيأة لقيادة الخارج.

ثانياً: إن قيادة المجتمع تتوقف على وجود ميزات وقابليات ومؤهلات نفسية وعقلية معينة بحيث لا يمكن من دون هذه القابليات ممارسة القيادة، وقد تقدم معرفة شيئين:

الأول: أن نوع الرجل حاي على هذه الميزات والقابليات والمؤهلات بدليل حصول الرجال خلال الأجيال على أنواع من القيادات الاجتماعية.

والثاني: أن اختلاف المرأة عن الرجل بصورة إجمالية من النواحي العقلية والشعورية والنفسية ينتج عجز المرأة عن هذه القيادة، وأن المرأة غير حاوية للقابليات والمؤهلات التي تجعلها قابلة لتولي أمثال هذه المسؤوليات.

4- إن أي جنس من الرجل والمرأة يكون أخبر بالواقع النفسي والعقلي والشعوري لجنسه من الجنس الآخر، ومن ثم يكون أخبر بحاجاته وطرق التأثير عليه سواء كان بالحق أو الباطل، من الجنس الآخر. ولا ينبغي أن يكون ذلك أمراً قابلاً للتشكيك.

فهنا يتضح لنا عدم إمكان قيادة المرأة للرجل لأن المرأة لا تدرك تكوين الرجل من الناحية النفسية، ولا تدرك المرأة حاجة الرجل الحقيقية، ولا تدرك المرأة طرق التأثير على الرجل. وليس المراد أن المرأة لا تدرك هذه المذكورات مطلقاً، وإنما المراد أن الجنس الواحد أكثر اطلاعاً على جنسه

من الجنس لآخر. فيبقى هذا الفرق من الاطلاع بين الرجل والمرأة مهماً في معنى التوجيه والقيادة إلى ما فيه المصلحة.

ثم إن هذا الوضع من عدم امكان قيادة المرأة للرجل ينطبق على قيادة الرجل للمرأة باعتبار عدم ادراك الرجل لهذه المذكورات, ويمكن أن يجاب ببعض الوجوه المحتملة على شكل اطروحة كافية في تفسير صحة قيادة الرجل للمرأة, ومنها وجهان:

أولاً: أن الرجل مطلع على حقيقة المرأة بالمقدار الكافي على صحة تحقق القيادة والتوجيه, ولا حاجة إلى الاطلاع على أكثر من ذلك المقدار.

ثانياً: لو سلمنا جهل الرجل بحقيقة المرأة ولكن يمكن للرجل قيادة وتوجيه المرأة من خلال توجيه الرجال حيث يستلزم هذا التوجيه ردود فعل معينة بالنسبة إلى النساء.

5- إن المرأة أقل تحملاً من الرجل في تحصيل الأهداف والوصول إلى النتائج, فتكون المرأة أدنى هدفاً وأبطأ وصولاً من الرجل. وهذا يعتمد على ضرورة الاختلاف بين الأفراد والأنواع والمخلوقات في الصفات وفي درجات الصبر والتحمل في استهداف الأهداف والوصول إلى النتائج, فكلما كان الهدف اقرب كانت دائرة الحصول عليه أكثر, وكلما كان الهدف ابعد كانت دائرة الحصول عليه اقل, ومثاله من أن الهدف من الخلقة هو العبادة كما في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)³¹³, فهنا كان نيل هذه العبادة مختلفاً بين الأفراد والمخلوقات, وقد ورد:

أولاً: أن جبرائيل عليه السلام حين دعاه النبي صلى الله عليه وآله في المعراج إلى التقدم في أنوار العظمة الإلهية فإنه قال: (لو تقدمت أنملة لاحتقرت)³¹⁴. فتقدم نبي الإسلام عليه وآله السلام وحده.

وثانياً: (ما زكا من النساء إلا أربعة ولقد زكا من الرجال خلق كثير)³¹⁵. وهؤلاء الأربعة النساء هن: خديجة بنت خويلد زوجة النبي صل الله عليه وآله, وفاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله

³¹³ سورة الناريات. آية 56.

³¹⁴ بحار الأنوار ج 18 - باب 3, حديث 86, ص 382.

³¹⁵ مجمع البيان ج 3 م 2 ص 66.

وآله, ومريم بنت عمران أم المسيح، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون موسى سلام الله عليهم أجمعين. بقيت الإشارة إلى أمرين متعلقين بهذا الحديث:

الأول: إن المراد من الزكاة والتكامل في حديث (ما زكا..) هو التكامل الحقيقي والوصول الكامل في الدرجات العلى, وذلك لأننا لو نظرنا إلى مجموع النساء الصالحات في الإسلام وما قبل الإسلام لوجدناهن نساء كثيرات, وإن كن النساء أقل عدداً من الرجال, حيث يندرج في الرجال جميع الأنبياء والرسل والأولياء والمعصومين والصديقين والمقربين والأبرار وحسن أولئك رفيقاً.

الأمر الثاني: إن حديث (ما زكا..) يخصص عموم القاعدة العامة في المرأة, وذلك بمعنى أن المرأة وإن كانت أقل تحملاً من الرجل في الوصول للهدف إلا أنه مع ذلك فقد زكا وتكامل من النساء هؤلاء الأربعة اللاتي وهبن كل وجودهن لنيل تلك الأهداف من أجل أن يكن حجة على جميع النساء الأخريات اللاتي قد يحصل منهن التقصير في هذا الطريق, كما في مثل مريم وآسية اللتين يشبهن وصولهن نهراً سريع الجريان متدفق الأمواج يراهن على السباحة فيه جماعة من الناس كمائة فرد، فيغرق أو يفشل الجميع في الوصول إلا واحد أو اثنين ممن تصاعدت همته وقوى جسمه وصح صبره, والله تعالى في خلقه شؤون.

الفقرة (35) أفضلية إمام الجماعة

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لأفضلية إمام صلاة الجماعة؟

جواب: العنصر السابع من عناصر صلاة الجماعة هو أفضلية إمام الجماعة بمعنى أن لا يكون إمام الجماعة أدنى من المأموم في عدد من الصفات المربوطة بالصلاة، كما لو كان إمام الصلاة متميماً والمأموم متوضئاً أو كان إمام الصلاة قاعداً والمأموم قائماً، أو كان إمام الصلاة ألتغ والمأموم فصيحاً، ونحو ذلك. والمعنى المعنوي من هذا الحكم هو أنه لو حصل تقدم الأدنى على الأعلى بحسب الظاهر فلم يحصل التقدم بحسب الواقع، وكان هذا الحصول في نفس الوقت ظلماً وجناية على المتبوع الذي يسبب شكلاً من أشكال الإعاقة عن التكامل والوصول إلى الهدف. كما أن مقتضى السيرة البشرية في جميع الحقول والأديان والعلوم اقتضت أن يكون الفرد الأكمل هو

الموجه والقائد والمدير، وأن يكون الفرد الأقل منه هو الطالب والمتعلم، ولم يحصل العكس من تقدم الأدنى على الأعلى إلا تحت ظروف استثنائية باطلة.

الفقرة (36) مستحبات صلاة الجماعة

سؤال: ما هي مستحبات صلاة الجماعة؟

جواب: ذكر الفقهاء جملة من مستحبات صلاة الجماعة وأمور أخرى تتعلق بهذه الصلاة، ومنها:

- 1- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن يقف محاذياً لوسط الصف الأول.
- 2- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن يصلي بصلاة اضعف المأمومين فلا يطيل إلا مع رغبة المأمومين بذلك.
- 3- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن يسمع من خلفه القراءة والأذكار فيما لا يجب الإخفات فيه.
- 4- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن يطيل الركوع فيما إذا أحس بداخل في الصلاة بمقدار مثلي ركوعه المعتاد.
- 5- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن لا يقوم من مقامه فيما إذا أتم الصلاة حتى يتم من خلفه الصلاة.
- 6- يستحب لإمام صلاة الجماعة أن يقف أهل الفضل في الصف الأول، وأفضلهم في يمين الصف، وميامين الصفوف أفضل من مياسرها، والأقرب إلى الإمام أفضل. وفي صلوات الأموات يكون الصف الأخير أفضل.
- 7- يستحب تسوية الصفوف وسد الفرج والمحاذاة بين المناكب، واتصال مساجد الصف اللاحق بمواقف السابق.
- 8- يستحب للمأموم القيام عند قول المؤذن (قد قامت الصلاة). ويقول المأموم خلال ذلك: (اللهم أقمها وأدمها واجعلنا من صالح أهلها).

9- يستحب أن يقول المأموم عند فراغ الإمام من الفاتحة: الحمد لله رب العالمين. والصلاة إماماً أفضل من الصلاة مأموماً.

10- يكره للمأموم الوقوف في صف وحده فيما إذا وجد موضعاً في الصفوف.

11- يكره للمأموم أن يصلي النوافل بعد الشروع في الإقامة، وتشتد الكراهية عند قول المقيم: (قد قامت الصلاة)، والتكلم بعد الإقامة إلا إذا كان لإقامة الجماعة كتقديم إمام، ونحو ذلك.

12- يكره إسماع الإمام ما يقوله المأموم من أذكار.

13- يكره يأتّم المتم بالقصر وبالعكس بأن يأتّم المقصر بالمتّم.

14- تستحب صلاة الجماعة في جميع الفرائض، ويتأكد استحباب صلاة الجماعة في الصلوات اليومية خصوصاً الصلوات الأدائية. وخصوصاً في صلاتي الصبح والعشائين، ولها ثواب عظيم. وقد ورد في الحث عليها والذم على تركها ما لم يرد مثله في أكثر المستحبات.

15- تجب صلاة الجماعة بالأصل في موردين:

الأول: صلاة الجمعة.

والثاني: صلاة العيدين مع اجتماع شرائط الوجوب.

نعم قد تجب صلاة الجماعة بالعرض بسبب النذر وشبه النذر من العهد أو اليمين أو بسبب ضيق الوقت عن تعلم القراءة مع قدرته على التعلم لصلاة أخرى.

16- صلاة الجماعة غير مشروعة لشيء من صلوات النوافل الأصلية المستحبة، وإن وجبت صلاة النافلة بالعارض لنذر ونحوه. ومعنى عدم مشروعية صلاة الجماعة في النوافل أن صلاة الجماعة لو أديت بقصد القربة كان ذلك من التشريع المحرم. ويستثنى من الصلوات المستحبة التي تستحب فيها الجماعة موارد ثلاثة:

الأول: صلاة العيدين مع عدم اجتماع شرائط الوجوب.

والثالث: صلاة الجمعة مع حصول شرط وجوبها التخييري باعتبار استحبابها عيناً، لأن صلاة الجمعة تكون أفضل الفردين.

17- قال الفقهاء بعدم اعتبار نية قصد القرية في صلاة الجماعة فإذا كان القصد من الأغراض الدنيوية المباحة مثل الفرار من الشك أو مثل الفرار من تعب القراءة أو مثل الشهرة في المجال الديني أو غير ذلك، فهنا صحت الجماعة وترتبت أحكام الجماعة ولكن لا يترتب على هذه الصلاة ثواب الجماعة.

18- لا يجب قصد الجماعة بالنسبة لإمام صلاة الجماعة في صلوات الجماعات المستحبة، ولا يجب قصد الجماعة إلا في صورتين:

الأولى: وجوب الجماعة بالأصل كصلاة الجمعة.

والثانية: وجوب الجماعة لعارض كالنذر.

وأما بالنسبة للمأموم فيجب عليه قصد الجماعة، وإن لم يقصد المأموم الجماعة فلم يجز للمأموم ترك القراءة مع قصد تحمل الإمام للقراءة. فإن لم ينو المأموم الجماعة وجبت القراءة ولم تضره المتابعة بصورة شكلية.

الفقرة (37) تعيين الإمام

سؤال: ما هو المعنى الرمزي لتعيين إمام صلاة الجماعة؟

جواب: من أحكام صلاة الجماعة هو تعيين الإمام فلا تجوز الصلاة وراء إمام مجهول تماماً. أو لا يجوز الائتتمام بأحد إمامين من دون تعيين، أو لا تجوز الصلاة وراء هذا الرجل إذا كان فلاناً فبان انه غيره. وهكذا. وتعيين الإمام المعنوي ضروري طبقاً لمستويين:

الأول: الإمام الظاهر.

والثاني: الإمام الباطن.

أما الإمام الظاهر فهو من يقتدي به الفرد ويسير بسيره وهداه. وأما الإمام الباطن فهو العقل، فيجب على الفرد أن يعرف أنه يهتدي بهدى أي عقل من العقول. وإذا كان الفرد يسير طبقاً لعقله أو عقل إمامه، فيجب أن يعرف حتى عن نفسه هل انه على حق أو أنه على باطل.

وأما إذا لم يتعين لدى الفرد الإمام بأحد المستويين السابقين فهنا سوف يتبعثر ويتلأأ عمل الفرد من الناحية العقلية والنفسية والعاطفية والاجتماعية، فلا ينال الفرد أي هدف محدد من الأهداف المعنوية، ولهذا ورد في الروايات: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)³¹⁶. وعدم تعيين الإمام ناشئ من احد الأسباب، ومنها أسباب ثلاثة:

- 1- إهمال الطريق المعنوي واتخاذ الطريق الدنيوي عن طريق العمد نتيجة المصلحة الشخصية من خلال عدم الاهتمام بالعقائد والأديان الأخروية، وإنما الاهتمام بأمور الدنيا المعيشية.
- 2- إهمال الطريق المعنوي واتخاذ الطريق الدنيوي عن طريق الغفلة نتيجة المصلحة الشخصية.
- 3- إهمال الطريق المعنوي واتخاذ الطريق الدنيوي عن طريق العناد والتكبر عن الحق والتعصب للباطل.

ولكن يمكن القول أن مثل هذا الفرد في هذه الأسباب أيضاً له إمام دنيوي هادي إلى المصالح الدنيوية بدل من الإمام الهادي إلى المصالح الواقعية، ويكون هذا الإمام الدنيوي غالباً من أئمة الضلال بدل أئمة الهداية، فإن عنوان الإمام كما ينطبق على المرشدين إلى العقائد الفاسدة، كذلك ينطبق على المرشدين إلى الدنيا. والإرشاد إلى الدنيا من دون الآخرة ضلال، فمن هنا ورد في الدعاء: (اللهم لا تجعل الدنيا مبلغ علمنا ولا أقصى همنا)³¹⁷.

الفقرة (38) معنى لزوم الجماعة

³¹⁶ ميزان الحكمة 5:145 ح 854.

³¹⁷ لبحار الأنوار ج 2 ص 63 وج 95 ص 361 و ج 98 ص 414.

سؤال: ما معنى الحث بلزوم وحضور صلاة الجماعة؟

جواب: ورد في أخبار الفريقين من السنة والشريعة الحث على لزوم وحضور صلاة الجماعة التي تعتبر من الأمور الواجبة من الناحية الشرعية والضرورة الاجتماعية، ومعنى هذه الأخبار والأحاديث الدالة على لزوم الجماعة يكمن في عدة أمور، ومنها أمور ستة:

1- لزوم أو حضور الجماعات في الصلاة من الأمور المستحب جداً، والالتزام بهذا الأمر راجح من الناحية الشرعية بحسب ورود الحث العظيم عليه في النصوص الإسلامية.

2- إطاعة السلطة الحاكمة العليا في المجتمع المسلم من باب أن هذه السلطة أولوا الأمر الواجب اطاعتهم، طبقاً لقوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)³¹⁸. وهذه الاطاعة مطلقة سواء كانت السلطة عادلة أو ظالمة، وسواء كانت هذه السلطة تحكم بالشريعة أو لم تحكم بالشريعة. وهذا الفهم من الإطلاق ليس بصحيح بسبب وجود الأدلة الدامغة المقيدة لهذه الآية الكريمة الدالة على اطاعة خصوص السلطة العادلة الحاكمة بالشريعة، وأن الأمر بطاعة السلطان الظالم يكون ظلماً للمسلمين، وحاشا الشريعة عن الأمر الظلم، لأن الشريعة من تشريع العادل المطلق سبحانه وتعالى.

3- إطاعة السلطة الحاكمة العليا في المجتمع المسلم فيما إذا كانت هذه السلطة عادلة، وهذه هي نتيجة الدليل السابق.

4- الكون مع الأكثرية المسلمة من خلال الاعتقاد بعقائدهم والتعاون معهم، وهذا الفهم صحيح في حدود أن تكون هذه الأكثرية المسلمة على حق. وأما إذا أصبحت هذه الأكثرية على الباطل، فهنا لزوم هذه الأكثرية يعني لزوم الباطل، وهو ما لا يمكن أن تأمر به الشريعة العادلة.

5- الكون مع الفرقة المحقة من المسلمين نتيجة اختلاف المسلمين إلى فرق وجماعات، ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: (إن أمتي ستفترق ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة والباقي في النار)³¹⁹. سواء كانت هذه الفرقة المحقة أكثرية أم كانت هذه الفرقة أقلية، فإن المهم هو الكون على الحق من دون أن تأخذ الفرد في الله لومة لائم.

³¹⁸ سورة النساء. آية 59.

³¹⁹ الوسائل ج 18 م 18 - الباب 6 من ابواب صفات القاضي - حديث 30.

6- الكون مع المصلحة العامة في المجتمع المسلم التي تكون موضع اهتمام أكثرية أفراد المجتمع، سواء كانت المصلحة بمعنى جلب النفع أو دفع الضرر، وسواء كان المضمون العام من الناحية الدنيوية أو من الناحية الأخروية. ومن هنا ورد: (من لم يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم)³²⁰.

الفقرة (39) في تحمل الإمام القراءة عن المأمومين

سؤال: ما معنى تحمل امام صلاة الجماعة القراءة عن المأمومين؟

جواب: من أحكام صلاة الجماعة هو أن يتحمل امام صلاة الجماعة القراءة عن المأمومين حيث يقرأ الإمام وحده سورة الحمد والسورة فيترك المأمومون القراءة ساكتين منصتين لقراءة الإمام. ولا يتحمل الإمام شيئاً آخر غير القراءة من أجزاء الصلاة عن المأمومين، فيجب على المأمومين أن يأتوا بأجزاء الصلاة وأذكارها الباقية جميعاً. وهذا الترك للقراءة له معان من الناحية الشرعية والناحية الأخلاقية، فهنا ناحيتان:

الأولى: الناحية الشرعية، وفيه:

1- يميز صلاة الجماعة عن الصلاة الانفرادية.

2- يربط صحة صلاة المأمومين بصحة صلاة الإمام.

3- يسبب اشتراط نية الجماعة من قبل المأمومين، فلو لم ينو المأموم الجماعة، كان عليه القراءة بالحمد والسورة، وإلا بطلت صلاته. فنية الجماعة هي التي تربط المأموم بالإمام من الناحية الشرعية، وتجعل الإمام نائباً عن المأموم في القراءة، بمعنى أن تكون قراءة الإمام مغنية عن قراءة المأمومين.

³²⁰ أصول الكافي ج 2 ص 163. حديث 1.

الثانية: الناحية الأخلاقية، وفيه أن نلاحظ أن القراءة في الصلاة من سورتي الحمد وسورة التوحيد مثلاً هي من القرآن الكريم، بل هاتان السورتان من أفضل سور القرآن، وفي هاتين السورتين ورد من الأخبار:

1- اجتماع جميع أسرار القرآن.

2- أن من اختار في القراءة أي سورة من القرآن أمكن أن يعدل من هذه السورة إلى سورة أخرى ما لم يبلغ النصف إلا سورة التوحيد والكافرون، فانه لا يجوز العدول عن هاتين السورتين.

ومعه فتكفل وتحمل الإمام لنص القرآن الكريم عن المأمومين يعني تكفل الإمام لمعنى من معاني القيادة الظاهرية أو القيادة المعنوية، وذلك لأن القرآن هو الإمام وهو الهدى وهو النور وهو النظام وهو العدل وهو الحق. فتكفل الفرد مضمونه عن الآخرين يعني تكفله نوعاً من الهداية والقيادة القرآنية الحق للمأمومين، سواء في عالم الظاهر أو كان في عالم المعنى.

الفقرة (40) في جواز الانفراد

سؤال: ما معنى جواز الانفراد عن صلاة الجماعة في حال الاختيار؟

جواب: من أحكام صلاة الجماعة هو فتوى مشهور الفقهاء وخاصة المتأخرون والذي نصره المصنف قدس بجواز الانفراد اختياراً عن صلاة الجماعة من الناحية الفقهية والناحية، وذلك لأن الانفراد عن الجماعة يعني من الناحية المعنوية عدم لزوم حضور الجماعة الذي تقدم أن الفرد مأمور به من الناحية الشرعية فيكون الانفراد والابتعاد عن الجماعة مخالفاً لهذه الوظيفة الشرعية. وأما إذا أخذنا الانفراد بمعناه الواسع أمكننا أن نفهم منه معاني كثيرة، ومنها أربعة عشر معنى:

1- الانفراد في الحقيقة الخاص بالله سبحانه وتعالى.

2- الانفراد بالخلق الخاص بالله سبحانه وتعالى.

3- الانفراد بالسلطة الواقعية والتدبير الحقيقي الخاص بالله سبحانه وتعالى.

4- الانفراد بالسلطة الظاهرية بالحق والعدل الخاص بالولي الإسلامي العام النافذ السلطة، كالنبي صلى الله عليه وآله بهد الهجرة.

5- الانفراد بالسلطة الظاهرية بمعناها العام الخاص بالحاكم في أي مجتمع فيما إذا لم يكن في أهميته ونفوذه احد غيره.

6- الانفراد في المكان كما في مثل لو كان شخصاً باقياً وحده في بيته.

7- الانفراد في الزمان كما في مثل لو انقضى نوع من الحيوان ولم يبق إلا فرد واحد.

8- الانفراد في العقيدة، كما في مثل إبراهيم الخليل عليه السلام الذي قال عنه الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ)³²¹. ومعنى كونه أمة أي بمنزلة الأمة في انفراده في العقيدة.

9- الانفراد في الصلاة الانفرادية.

10- الانفراد في الصلاة بعد الالتحاق بصلاة الجماعة الخاص بموضوع هذه الفقرة من الناحية الفقهية.

11- الانفراد والانفصال بعد الالتحاق بأي مجموعة من الناس ذات عقيدة معينة، فإذا كانت الجماعة على حق كان المنفرد على باطل.

12- الانفراد بعد الالتحاق بغيره في عمل تجاري، كما في مثل لو كان شريكاً ثم فسخ الشركة.

13- الانفراد بعد الالتحاق بعمل اجتماعي ذي مصلحة عامة، كما في مثل بناء مدرسة أو مستشفى.

14- الانفراد بعد الالتحاق بالسلطة، كما في مثل لو أحيل الفرد على التقاعد عن الالتحاق أو المشاركة بالدولة. وهذا المعنى قد يكون جائزاً أو يكون واجبا على السلطة أو الفرد أو يكون حراماً. وعموماً فإن الانفراد والانفصال عن عموم المجتمع من الناحية العقائدية أو التطبيقية قد

³²¹ سورة النحل. آية 120.

يكون مرجوحاً وقد يكون حراماً فيما إذا كانت تلك العقيدة أو التطبيق حقاً، وإن كان الحال قد يكون عكس ذلك هو الصحيح أيضاً بأن يكون الانفراد راجحاً أو واجباً.

الفقرة (41) صلاة المسافر

سؤال: ما معنى المصطلحات الواردة في صلاة المسافر؟

جواب: هنا جملة من المصطلحات إجمالاً:

- 1- الوطن.
- 2- الحضر.
- 3- السفر.
- 4- قصد المسافة.
- 5- الإتمام.
- 6- القصر.
- 7- قصد الإقامة.
- 8- سفر المعصية.
- 9- من كان عمله السفر.
- 10- حد الترخص.
- 11- أماكن التخيير.

وتفصيل هذه المصطلحات يأتي تباعاً.

الفقرة (42) الوطن

سؤال: ما معنى الوطن ؟.

جواب: الوطن هو المصطلح الرئيسي، وقد ورد في الأخبار: (حب الوطن من الإيمان)³²². ومعنى الوطن هو محل الإقامة عادة أما بالاستمرار أو في الأعم الأغلب من الأزمان. ويمكن تقسيم الوطن باعتبارات كثيرة، ومنها اعتبار متعلق ونسبة الوطن، فهنا معان ستة:

- 1- نسبة الوطن إلى المنطقة أو الإقليم، ومنه العراق ومصر والقوقاز.
- 2- نسبة الوطن إلى اللغة، ومنه قولهم: الوطن العربي.
- 3- نسبة الوطن إلى الجنس من البشر، ومنه قولهم: أفريقيا وطن السود.
- 4- نسبة الوطن إلى الجسد، ومنه كون الدنيا هي وطن الجسد أو الأجساد من حين الولادة إلى ساعة الموت.
- 5- نسبة الوطن إلى الروح، ومنه قول ابن سينا: (نزلت إليك من المحل الأرفع) فيما إذا كانت الروح آتية من عالم النور. وإذا كانت الروح آتية من عالم الظلام فموطنها هو ذلك العالم.
- 6- نسبة الوطن إلى أمر محدد بعينه، كمثّل مرض من الأمراض، فيقال أن محل كذا هو موطن الملاريا مثلاً، فيما إذا كان أصله هناك. ومثّل علم من العلوم كالسحر، فيقال: إن الهند وطن السحر، باعتبار أن أصل السحر في الهند. وهكذا.

ومع هذه المعاني فإن هناك اختلافاً في لحاظ الوطن ببعض الاعتبارات والنواح، فمن الناحية الاجتماعية قد يؤخذ بالمعنى الأول والثاني، ومن الناحية التاريخية قد يؤخذ بالمعنى الثاني والثالث، ومن الناحية الفلسفية والعرفانية قد يؤخذ بالمعنى الرابع والخامس. وهكذا. ولكن جميع هذه الأقسام ليس فيها معنى الوطن من الناحية الفقهية الذي يؤخذ فيه طول الإقامة وصدق السكن،

³²² سفينة البحار: 8 / 525.

حتى لو كان منطقة بالصحراء أو بلدة صغيرة أو شاطئ نهر. وقد قسم الفقهاء الوطن إلى أقسام خمسة:

- 1- الوطن الأصلي: وهو مسقط الرأس من الولادة.
- 2- الوطن الاعتباري: وهو البلد الذي ينسب إليه الفرد من الناحية العرفية باعتبار أن أكثر أفراد عشيرته هناك، فيقال: (الحلي، البغدادي، النجفي، العراقي، التركي، الهندي).
- 3- الوطن الإثناخي: وهو المحل الذي يتخذ الفرد وطناً له بالعزم على السكنى فيه أمداً غير محدد.
- 4- الوطن الشرعي: وهو المحل الذي يملك فيه الفرد بيتاً أو أرضاً قد استوطنها ستة أشهر فصاعداً. والذي أفتى فيه مشهور الفقهاء خلافاً للمصنف قدس بوجوب إتمام الصلاة فيه، وإن اعرض عنه وانتقل إلى غيره.
- 5- الوطن الفعلي: وهو المحل الذي يسكنه الفرد بصورة مستمرة، سواء قصد الفرد ذلك السكن، كما في الوطن الإثناخي. أو حصل ذلك السكن قهراً على الفرد باعتبار ظروفه الاقتصادية أو ظروفه الأسرية أو غيرها.

الفقرة (43) السفر

سؤال: ما معنى السفر ؟.

جواب: في السفر معان من عدة نواح:

- 1- الناحية العرفية أو التطبيقية: وهو الذهاب والابتعاد بالمعنى المعروف.
- 2- الناحية الفقهية: هو سبب قصر الصلاة والإفطار في الصوم فيما إذا قصد المسافر المسافة الشرعية التي مقدارها بالكيلومترات 776. 43 كيلو متر.
- 3- الناحية المعنوية: هو الابتعاد أو الغياب عن الأهل والوطن إلى دار الغربة، فهنا أمور:

الأول: أن معنى الأهل هم الذين يتجاوب ويتناسب معهم الفرد من الناحية العقلية والروحية والنفسية، وليس معنى الأهل دائماً هم العشيرة أو الأسرة حيث قال الله تعالى: (إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)³²³. فكيف يكون الفرد مع العداوة أهلاً وخاصة وهي عداوة مستأصلة غالباً من الصعب جداً أن تزول؟.

والثاني: أن محل تواجد الأهل هو الوطن المناسب لهم إلا إذا كان الأهل غرباء بعيدين عن الأهل مسافرين إلى غير وطنهم، فهنا يكون محل تواجد الأهل ليس الوطن، وفيه شواهد:

- (إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً)³²⁴.

- (إن الدنيا للمؤمن دار غربة)³²⁵.

- قال ابن سينا في قصيدته³²⁶:

تبكى وقد نسيت عهداً بالحمى * بمدامع تهمني ولما تقلع

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى * ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

والثالث: أن معنى الغربة هي المحل الذي لا يناسب وجود الفرد من الناحية العقلية والنفسية والثقافية ولا يوجد فيها أهل هذا الفرد. ومن هنا كان السفر مكروهاً وصعباً من الناحية النفسية حتى قيل: (السفر قطعة من سقر)³²⁷، وفيه تفسيران:

أولاً: الصعوبة الشديدة للسفر باعتبار أن الاستهداف والتكامل في الوطن وبين الأهل يكون التكامل أسهل وأسرع وأن ترك الاستهداف والتكامل مرجوح.

وثانياً: المرجوحية والحرمة للسفر باعتبار أن معنى السقر هي نار جهنم.

³²³ سورة التغابن. آية 14.

³²⁴ مشكاة الأنوار ص 216.

³²⁵ المصدر السابق ص 304.

³²⁶ وفيات الأعيان. لابن خلكان. م 2 ص 160.

³²⁷ المحاسن حديث 3. ص 311.

والرابع: قد يكون السفر راجحاً لمصلحة نفس التكامل من حيث أن الفرد قد يتعين عليه السفر من أجل أن يتكامل رشده وصبره وإتقانه وانفتاح بصيرته ومن ثم يعود الفرد إلى أهله ووطنه بمستوى أكمل مما كان عليه قبل سفره، كما في مثل التاجر الذي سافر وحصل على الربح الوفير هناك. فهنا لا يكون طلب الرجوع إلى الأهل والوطن مطلوباً، إلا بعد حصول التكامل. ومع حصول إدراك هذا المعنى يكون هذا النوع من السفر نعمة وجنة وليس نقمة وسقر، ولا حاجة مع هذا السفر إلى البكاء الذي أشار إليه ابن سينا في قصيدته السابقة. كما أن الكراهية النفسية ترتفع وتنتهي فيما إذا حصل مثل هذا التكامل المطلوب من خلال حصول الشوق من الناحية العملية للأهل والوطن.

والخامس: من تطبيقات السفر في الكون هو ما أشار إليه ابن سينا في قصيدته، وهي إرادة الله سبحانه وتعالى في إرسال الروح من عالمها النوراني أو الظلامي إلى عالم الدنيا التي هي دار الغربة وذلك بقصد الحصول على التكامل بالتمحيص والبلاء الدنيوي. وأن الروح المنزلة بطبيعتها قد تنسى دارها التي وردت منها من دون أن يكون لهذا النسيان دخل في التكامل، فإن الروح تستطيع التكامل حتى لو كانت ناسية بشرط أن تكون الروح مطلعة على أسباب ومقدمات التكامل الحقيقية التي تكمن في تكريس النفس لطاعة الله سبحانه. ثم قد تصل الروح في درجه التكامل إلى مرحلة تعود فيها لحالة تذكر الوطن والدار الأصلي فيشتد في الروح الشوق إلى هذا الوطن من دون امتعاض أو بكاء بسبب إدراك الروح المصلحة من هذا السفر الموجب للاستبشار وليس لكراهية هذا السفر الذي يقتضي الجد في العمل من أجل الحصول على التكامل حتى يكون الرجوع إلى الوطن وفيرا وسريعا.

الفقرة (44) القصر والتما

سؤال: ما معنى القصر والتما ؟.

جواب: هنا مصطلحان:

1- القصر: القصر هو التقليل من العمل والاقتصار على ما تقتضيه المصلحة من العمل.

2- الاتمام: هو انجاز جميع العمل.

والحكم بالقصر في السفر له أسباب ومبررات معنوية عديدة، ومنها مبررات ثلاثة:

أولاً: الاقتصار على بعض أنواع العمل مما لا يكون موجباً للعمل الشديد، وذلك لأن المسافر يكون قليل التحمل والصبر.

ثانياً: الاقتصار على بعض أنواع العمل مما لا يكون محلاً لانتقاد غير الأهل، وذلك لأن المسافر يكون عادة بين غير أهله ممن يخاف انتقادهم.

ثالثاً: كتمان الأهداف والمقاصد في السفر عن غير الأهل نظير كتم الأسرار الإلهية عن غير أهلها، كما قال الإمام السجاد في ما نسب إليه:

يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

الفقرة (45) سفر المعصية

سؤال: ما معنى سفر المعصية؟

جواب: في سفر المعصية معنيان:

1- أن يكون السفر بقصد السوء، كما في مثل إذا كان التكامل معكوساً بأن يكون السفر باتجاه عالم الظلام وليس باتجاه عالم النور، فيعتمد هذا السفر المعكوس على مجموعة جرائم ومظالم تجعل الفرد مؤهلاً لعالم الظلام.

2- أن يستغل الفرد سفره بسوء النية واللذاعة الشخصية على حساب مصلحة الآخرين العامة، فينسى أو يتناسى المسافر الأهداف الحقيقية التي سافر من أجلها.

وقد يخطر بالبال: أن مثل هذا الشخص المسافر سفر معصية الموجب للالتزام ينطبق عليه مفهوم القصر وليس مفهوم الإتمام المتقدم، وجوابه من وجوه ثلاثة:

أولاً: أن يكون المراد بالقصر هو الاقتصار على القليل من المنافيات والمعاكسات للأهداف العاليات التي تعني الزهد والإعراض عن الدنيا، فهذا يكون هذا الاقتصار إنما يحصل فيما إذا كان السفر طاعة وليس فيما إذا كان السفر معصية.

ثانياً: أن يكون المراد بالإتمام هو انجاز جميع الأعمال المناسبة للهدف مطلقاً عن عالم النور والظلام، فهذا يكون الإتمام بهذا المعنى ضرورياً لسفر المعصية.

ثالثاً: أن يكون المراد بالإتمام الحقيقي بسبب التحدي أو بسبب العقوبة أو بسبب الامتحان والاختبار، وذلك لأن وجود الحياة يستدعي وجود التوبة إلى أن يتحول السفر إلى سفر طاعة بعد أن كان يراه المسافر سفر معصية.

الفقرة (46) قصد المسافة

سؤال: ما معنى قصد قطع المسافة الشرعية في السفر ؟.

جواب: أن معنى قصد قطع المسافة الشرعية في السفر الموجب للقصر هو أن يكون الفرد منذ عزمه على السفر عالماً وملتفتاً وقاصداً لانجاز أهدافه ونتائجه. ويلحق بذلك الهدف المعنوي فيما إذا كان الفرد جاهلاً أو ناسياً أول الأمر، ثم بعد حصول السفر علم والتفت وقصد انجاز هذه الأهداف والنتائج. هذا الأول.

والثاني: أن المسافة التي يراد قصدها في السفر هي المقدار الذي يناسب الفرد من السفر من مصلحته التي تتحقق به تلك الأهداف والنتائج، وذلك لأن الأفراد قد يختلفون في ذلك القصد تبعاً لاختلاف المصلحة، فقد تكون المصلحة لبعض الأفراد:

1- أن يكون السفر بعيداً.

- أن يكون السفر قليلاً.

- أن يكون السفر سهلاً.

- أن يكون السفر صعباً.

- أن يكون السفر في أرض حزنه أو في أرض جبلية.

وعموماً فإن مقتضى القاعدة النوعية أو مقتضى المصلحة الغالبة اقتضت إعطاء مقدار معين من المسافة لتكون هي المحك للسفر والحضر، وهي ثمانية فراسخ. وقد يكون لرقم الثمانية أكثر من معنى، ولعل هذه المسافة تعبر عن مراحل عديدة من البعد في السفر، وبالتالي من القرب إلى الأهداف. وقد يختلف مضمون هذه المراحل العديدة بالنسبة إلى الأفراد بشكل لا يمكن ضبطه وجعله كقاعدة عامة أو غالبية.

الفقرة (47) في من عمله السفر

سؤال: ما معنى الفرد الذي يكون عمله السفر؟

جواب: هنا معنيان للعمل الذي يكون تكليف هذا الفرد المسافر من الناحية الفقهية هو الإتمام وترك القصر:

1- العمل الفقهي هو العمل التجاري.

2- العمل المعنوي هو العمل لانجاز الأهداف المعنوية المطلوبة التي أنجز السفر من أجلها. كما أن المصلحة ما دامت مقترنة بالسفر فهنا يكون السفر من عمل الفرد العامل في تلك المصلحة أو المستهدف لهدفها، وينطبق على هذا الفرد كلا العنوانين أو كلا المفهومين اللذين اعتبرهما الفقهاء سبباً للإتمام في السفر، وهما:

أحدهما: من كان السفر عملاً لهذا الفرد، فهنا يكون السفر عمل الفرد بصفته مكرساً نفسه من أجل هذا العمل.

ثانيهما: من كان السفر مقدمة أو سبباً لعمل هذا الفرد، فهنا يكون السفر عمل الفرد بصفته مكرساً نفسه من أجل هذا العمل، وذلك لأن العمل الرئيسي في الحقيقة هو الهدف المستهدف الذي حصل السفر من أجله وليست مقدمات هذا العمل.

فهنا يكون تكليف هذا الفرد المسافر الذي يكون السفر عملاً له هو الإتمام، ولا يناسب هذا الفرد القصر، لأن القصر سيكون سبباً لضعف المقدمات وبطء النتائج. نعم بعض معاني القصر السابقة قد تكون ضرورية ولكن بصورة مؤقتة ليست مستمرة. وأما الفرد المسافر الذي لا يكون السفر عملاً له، فهنا يجب على هذا الفرد التقصير لعدة أسباب ووجوه، ومنها ثلاثة:

أولاً: ضعف صبر هذا الفرد عن العمل الجاد والتأمل.

ثانياً: عقوبة لهذا الفرد على ضعف همته وقلة صبره.

ثالثاً: إسقاط هذا الفرد عن نظر الاعتبار، لهذا السبب.

وهذا الحكم لا ينافي الإلزام بالتقصير بشرط أن لا يعتبر هذا الفرد السفر عملاً له، وذلك لأن الحكمة قد تقتضي ذلك التقصير في مثل هذا الظرف الشخصي إلى أن تحصل من ذا الفرد التوبة والرجوع إلى الحقيقة الموجبة إلى الإتمام.

الفقرة (48) أماكن التخيير

سؤال: ما معنى أماكن التخيير؟

جواب: أن معنى أماكن التخيير هي تلك الأماكن المقدسة الأربعة – المسجد الحرام، المسجد النبوي، مسجد الكوفة، الحائر الحسيني - التي يكون الفرد المسافر مخييراً فيها بين القصر والتأمل، وهذا له معان ثلاثة:

1- التعارض بين مصلحتين:

الأولى: مصلحة التمام المنتجة لقوة المقدمات وسرعة الإنتاج.

والثانية: مصلحة القصر المنتجة لكتم السر العميق عن الآخرين وكفاية انتقادهم كما عرفناه.

فهنا قد تكون المصلحتان ضعيفتين في مورد التعارض، بحيث يتساويان تقريباً في الأهمية، فهنا يكون حكم القصر والتمام تخييراً، بل يكون التمام من المسافرين أفضل، كما هو المنصوص عليه في الأخبار.

2- إن جميع أماكن التخيير الأربعة هي أماكن مقدسة الأمر الذي يرشدنا إلى أن التخيير بين القصر والتمام إنما هو نافذ في الأماكن المقدسة من الناحية المعنوية باعتبارين:

الأول: اعتبار احترام هذه الأماكن بالزيادة بالعمل عند اختيار التمام.

والثاني: اعتبار أن الفرد في هذه الأماكن يكون أعلى وأكبر همة وصبراً، فهنا يعطى الفرد فرصة استغلال هذه الفرصة بالتمام.

3- أن أماكن التخيير غير محدودة بحد الأربعة، وذلك لأن جميع الأماكن في نظر الإيمان العالي مقدسة، فهنا يبقى حكم التخيير بين القصر والتمام قائماً من الناحية المعنوية، ولكن يكون التمام أفضل من القصر باعتبار كون التمام أقوى وأسرع من حيث التسبيب والإيصال.

الفقرة (49) حد الترخص

سؤال: ما معنى حد الترخص ؟.

جواب: في حد الترخص معان ثلاثة:

1- الراحة المؤقتة، أي أن حد الترخص هو حد الراحة المؤقتة المعطاة للفرد في ترك العمل، وذلك باعتبار أن العمل الأساسي إنما هو قبل الوصول إلى الهدف المعنوي، وأما بعد الوصول للهدف المعنوي فلا مجال لاستمرار نفس العمل، بل مقتضى القاعدة هو خلود الفرد إلى الراحة بصورة مؤقتة إلى أن يستهدف الفرد الهدف الآخر الأعلى من هذا الهدف، فان للكمال درجات غير متناهية بالتصاعد والأهمية.

2- لقاء الناس، أي أن حد الترخص هو لقاء الناس، وذلك باعتبار أن معنى القصر هو التقليل من العمل بحيث يرجع الفرد إلى مجاملة الناس وحفظ الظاهر معهم وكنتم حقيقته المعنوية عنهم، فهذا يكون لقاء الناس هو حد الترخص الذي يمكن أن يترك معه العمل الدؤوب للهدف. وهذا المعنى هو أحد المقاصد من قوله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ)³²⁸.

3- نفاذ الصبر، أي أن حد الترخص هو حد نفاذ الصبر، وذلك باعتبار أن الفرد مهما كان مهتماً بهدفه فإن صبره مهما كان عالياً فهو صبر محدود ومؤقت، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يجوز للفرد أن يكلف نفسه خارج هذا الحد، فهذا يكون نفاذ الصبر وانهيار النفس إن حدث بصورة مؤقتة فهو حد الترخص.

الفقرة (50) قصد الإقامة

سؤال: ما معنى قصد الإقامة ؟.

جواب: أن معنى قصد الإقامة من الناحية الفقهية هو أن المسافر إذا نوى الإقامة مدة عشرة أيام فإن حكمه التمام. وأما من الناحية الأخلاقية لهذا الحكم فهو يتوقف على الإشارة إلى أن رقم العشرة رقم مهم دال على حصول سبب التكامل، كما قال الله تعالى: (تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ)³²⁹. يعني عشرة مكملّة وسبباً للتكامل بحسب الفهم المعنوي. فهذا يكون معنى قصد الإقامة عشرة أيام هو قصد هذه المدة إلى حين حصول النتيجة وهي التكامل والوصول إلى الهدف، كما قال تعالى بلسان أحد أولاد يعقوب: (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)³³⁰. ومع حصول هذا الهدف المعنوي من التكامل فلا يحتاج المسافر إلى القصر بمعنى التقليل من العمل وإنما يقوم الفرد بانجاز تمام العمل حتى يكون التسبب سريعاً ومنتجاً بحيث تكون ظرفية العشرة أيام كافية للوصول إلى هذا الهدف المعنوي.

³²⁸ سورة البقرة - آية 199.

³²⁹ سورة البقرة - آية 196.

³³⁰ سورة يوسف - آية 80.

الفقرة (51) التردد إلى شهر

سؤال: ما معنى التردد إلى شهر؟

جواب: أن معنى التردد إلى شهر من الناحية الفقهية هو أن المسافر إذا بقي متردداً في الإقامة والسفر في مكان فإن حكمه القصر إلا بعد مضي شهر أو ثلاثين يوماً، فإذا مضت هذه المدة وهو ومسافر، فهنا وجب على هذا المسافر التمام. وأما من الناحية الأخلاقية لهذا الحكم فهو أن التردد والتشكيك شيء مرجوح في ذاته، ومثاله:

- هل يسافر أو لا؟

- هل يقيم أو لا؟

- هل يقصد الإقامة عشرة أيام أو لا؟

- هل يتم صلاته أو لا؟

فهنا للتردد مناشئ وأبواب عديدة من الناحية النفسية والعقلية عديدة فينبغي على الفرد الجامع للشرائط أن يقوم بسد جميع هذه الأبواب من خلال وضوح الرؤية والبصيرة بالواقع والهدف والعمل. ولكن عند حصول التردد فإن الاستهداف الجزمي غير حاصل، فلا يكلف الفرد بالتمام وإنما يكلف الفرد بالقصر بمعنى تقليل العمل. هذا الأول.

والثاني: أن السبب الرافع لحكم القصر والموجب لحكم التمام فهو مدة الشهر فإن الشهر هنا له معنى كبير من حيث حصول الجزم بالهدف والعمل، ومن ثم يكون تكليف الفرد هو التمام بعد مضي الشهر المتمثل بثلاثين يوماً قضاها المسافر بالتردد، وعدم وضوح الرؤية والبصيرة.

والثالث: قال الله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)³³¹. فهنا فسر عدد الاثني عشر بعدد الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، ومجموع الشهور الإثني عشر تعبر عن عام كامل أو متكامل. وقد ورد ما مضمونه: (إن الفرد إن

³³¹ سورة التوبة - آية 36.

اتخذ عملاً استحبابياً معيناً، فمن الراجح له أن يدوم عليه لمدة سنة، حتى يعلم وقوعه في ليلة القدر³³². فهنا المسافر إن تردد مدة شهر واحد وبقي في مكانه عاماً كاملاً فيكون حكمه القصر في الشهر الأول، والالتزام بالأحد عشر شهراً، فإن أراد المسافر أن يجعل وظيفته التمام مدة عام كامل من أجل أن تمر عليه ليلة القدر، فهنا أمكن لهذا المسافر أن يضيف شهراً آخر من أجل أن لا تمر هذه الليلة المباركة وهو في القصر أو في القصور والتقصير.

الفقرة (52) في صلاة الآيات

سؤال: ما معنى الآيات الكونية التي تكون سبباً لوجوب صلاة الآيات؟

جواب: جميع الآيات الكونية ناتجة عن قدرة الله سبحانه سواء كانت هذه الآيات مذكورة أم كانت هذه الآيات منبهة على جليل عظمتة وحسن تدبيره، والكون بجميع تفاصيله آيات، وليس بعض الكون آية وبعض الكون ليس بآية، كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد

وخاصة بعد أن برهن المصنف قدس في أكثر من موضع من كتاباته ومؤلفاته على أنه ليس هناك قانون كوني، وإنما القانون عبارة عن معنى ذهني منتزع أو مستخلص من مجموع التسببيات الجزئية. وما هو معنى ذهني يستحيل أن يؤثر على الخارج، فهنا يثبت أن حركة الكون من ضبط وتدبير ناتج عن ضبط وتدبير خالقه جل جلاله نتيجة قدرته وحكمته وعظمته اللامتناهية، ويتم المطلوب. هذا الأول.

والثاني: أن محل الكلام هو أن جميع الآيات الكونية تحتاج إلى تفكير وصلاة، والصلاة هي معراج المؤمن من أجل تحصيل النتيجة التكاملية من هذه الآية بالمقدار الذي يكون محلاً لاستفادة واهتمام الفرد، وليس لغفلة واعراض وإهمال الفرد، كما قال الله سبحانه: (وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)³³³، ومعنى قوله: (كأين) هو وجود الكثير من الآيات تجابه من قبل الأفراد بالغفلة والإهمال والإعراض، والضرر يقع على نفس هؤلاء

³³² الوافي للفيض. م 1 ج 3 ص 69.

³³³ سورة يوسف - آية 105.

الأفراد الغافلون والمعرضون والمهملون وليس على الله تعالى، كما قال سبحانه: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)³³⁴.

والثالث: أن النفس جزء لا يتجزأ من هذا الكون المليء بالآيات، والنفس عبارة عن مجموعة من الآيات، كما قال الله سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)³³⁵. وقد تقدم أن كل آية تحتاج إلى تفكر وصلاة من زاويتين:

الأولى: زاوية النفس.

والثانية: زاوية الآيات الكونية.

فهنا لا ينبغي أن نقابل أية آية بالغفلة أو الاعراض أو الإهمال، فإن قبولت هذه الآيات فتكون الحسرة والندامة، كما قال سبحانه:

- (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)³³⁶.

- (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)³³⁷.

والرابع: كلما كانت الآية أكثر تذكيراً وتنبيهاً وإفاتاً للنظر من الناحية النفسية فإن هذه الآية تكون أكثر تذكيراً وتنبيهاً وإفاتاً من الناحية العقلية، كما في مثل لو كان حادثاً نادراً في الطبيعة، أو كان حادثاً مخوفاً أو كان واقعة مستغربة، فهذا في مثل هذه المذكرات تكون الدلالة على القدرة الإلهية إلا أنه أكثر وأشد إيصالاً وتنبيهاً للذهن، فينبغي أن يكون رد الفعل واضحاً وصريحاً وسريعاً من أجل حصول التضرع والخشوع والخضوع والرجوع إلى الله عز وجل، فتجب هنا صلاة الآيات، ويتم المطلوب.

والخامس: صلاة الآيات هي الصلاة التي تجب من الناحية الفقهية عند حصول آيات الكسوف والخسوف والزلزلة، وقد أفتى مشهور الفقهاء بوجوب هذه الصلاة مع كل خوف سماوي، وذلك

³³⁴ سورة النحل - آية 118.

³³⁵ سورة فصلت - آية 53.

³³⁶ سورة يس - آية 30.

³³⁷ سورة الزمر - آية 56.

لأن أمثال هذه الآيات فيها تنبيه متزايد على القدرة الإلهية. ولكنه بقيت الإشارة إلى معنى الكسوف والخسوف والزلزلة من الناحية المعنوي هل أنه يراد بهذه الآيات الشر لأهل الأرض أم يراد بهذه الآيات الخير لأهل الأرض بحسب الحكمة الإلهية؟.

الفقرة (53) الزلزلة

سؤال: ما معنى آية الزلزلة؟.

جواب: أن معنى الزلزلة واضح كما قال الله عز وجل:

- (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا)³³⁸.

- (مَسَّئَهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)³³⁹.

فهنا الزلزلة عبارة عن حالة نفسية شديدة من الخوف والرغبة من الحاضر أو المستقبل المنظور، وسميت زلزلة لأن حصول الزلزلة تسبب زلزلة البدن وتجعله يرتجف ويهتز ويرعد مثل الزلزلة. وأما الآتي والرافع للزلزلة فهو الله سبحانه:

- أما كونه تعالى الآتي بالزلزلة فباعتبار قوله في الآيتين المتقدمتين: (زلزلوا) بصيغة المبني للمجهول أي ان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه بعد غض النظرة عن الأسباب التي هي نوع من أنواع البلاء في الدنيا.

- وأما كونه تعالى الرافع للزلزلة فباعتبار أمور كثيرة من الأمل والرجاء برحمته تعالى التي يعرفها المتشرعة، ومنها قوله تعالى في نفس الآية: (مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)³⁴⁰. وإذا جاء نصر الله عز وجل فهنا ارتفعت الزلزلة بطبيعة الحال.

³³⁸ سورة الأحزاب - آية 11.

³³⁹ سورة البقرة - آية 214.

³⁴⁰ سورة البقرة - آية 214.

ومن هنا كانت صلاة الآيات لدى حصول الزلزلة من أجل حصول حالات التضرع والخشوع والخضوع والرجوع إلى الله عز وجل عسى أن يمن جل جلاله بزوال البلاء الظاهري أو البلاء الباطني. ولا يخفى أن الزلزلة المعروفة هي نوع من أنواع البلاء بسبب ما يذهب في الزلزلة من تلف النفوس والأموال التي تكون محلا لابتلاء الناس.

الفقرة (54) الخسوف والكسوف

سؤال: ما معنى الخسوف والكسوف؟

جواب: هنا جهتان:

الجهة الأولى: نماذج الكسوف والخسوف المعنويين، وفيه أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر ذات معنى متشابه أو معنى متقارب من حيث ضعف النور بعد كمال التوهج والبهجة، ولكن أسباب هذا الضعف النوراني مختلفة وموضوعات متعددة ودرجاته كثيرة، ومن أمثلة ذلك:

- نور العقل وهو العلم وقد ورد: (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)³⁴¹. وقد يراد بالقلب هنا في الحديث العقل فقد يصاب العقل بالنقص القليل أو النقص المؤقت لبعض الأسباب مثل النسيان أو مثل الاشتغال بغير الحقل الذي يختص به الفرد أو غير ذلك.

- نور القلب وهو الإيمان فقد يصاب بالنقص لبعض الأسباب، ومن أهم هذه الأسباب سبب الغفلة، وسبب الذنوب، ويجمع هذه الأسباب هو سبب حب الدنيا، وقد ورد: (اللهم اخرج حب الدنيا من قلبي)³⁴².

الجهة الثانية: هل يراد بهذه الآيات الشر لأهل الأرض أم يراد بهذه الآيات الخير لأهل الأرض بحسب الحكمة الإلهية؟. وجوابه: فيه مستويان باعتبار الكسوف والخسوف الطبيعيين، واعتبار الكسوف والخسوف المعنويين:

³⁴¹ جامع السعادات ج 1 ص 45.

³⁴² بحار الأنوار ج 98 ص 88 حديث 2.

1- الكسوف والخسوف الطبيعيين, وفيه أن الحكمة للخسوف والكسوف ليس كون هذين الخسوفين نذير العذاب والخراب والدمار الشامل طبقاً لتشاؤم بعض الناس منهما. وليس كون هذين الخسوفين من أجل تأبين بعض الموتى والحزن عليه فقد ورد: (إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله لا ينكسفان لموت أحد)³⁴³. وإنما الحكمة من هذين الخسوفين هي من أجل تنبيه الناس على أحد طريقتين:

الأولى: تنبيه الناس عن الغفلة.

والثانية: تنبيه الناس عن الذنوب والعيوب.

وذلك باعتبار أن نقصان النور من الشمس أو القمر يرمز إلى نقصان الطاعة والإيمان من الناس, فحال الناس مثل حال الشمس أو القمر في النقصان, فينبغي تدارك حال الناس بالتوبة والإنابة والاستغفار, ف إذا لم ينتبه الناس ولم يستغفروا, فهنا يحل بهم البلاء والعذاب بناء على أن الكسوف والخسوف نذير العذاب والخراب والدمار الشامل, وإنما الخسوف والكسوف رمز لهذا العذاب أو رمز للذنوب الموجبة لهذا العذاب. ونفس العذاب إنما يكون على الذنوب وترك التوبة والاستغفار, فهنا يحصل الكسوف والخسوف من أجل تنبيه الناس على الذنوب حتى تحصل التوبة والاستغفار فلا يحصل البلاء, ويتم المطلوب للحكمة الإلهية. وإنما يكون الكسوف والخسوف نذيراً فعلياً للعذاب فيما إذا علمنا أن الناس لن يحصل منهم التوبة والاستغفار, فهنا يكون هذا التنبيه الرقيق عديم الفائدة وسوف يحيق بالناس البلاء كما يستحقون.

2- الكسوف والخسوف المعنويين, وفيه أن الحكمة للخسوف والكسوف شخصية أو فردية خاصة بالفرد ولا تشمل المجتمع, فيكون المراد بهذين الخسوفين الذنوب الموجودة في الفرد, وذلك لأنها تعود إلى اختيار المكلف في إيجاد النقص في نفسه من كثرة ذنوبه ما لم يكن الأمر خارجاً عن اختيار المكلف كما في حالة النسيان نتيجة للمرض ونحوه. اللهم إلا أن يقال: إن هناك قاعدة مفادها أن كل عارض يسيء للإنسان بما فيه عارض المرض إنما هي عبارة عن عقوبات على ذنوب سابقة, فيعود الأمر إلى اختيار المكلف, لأن المكلف كان مستطيعاً لترك الذنوب واجتناب العقوبات, ولكن هذه القاعدة غالبية وليست قاعدة عامة.

³⁴³ الوسائل ج 3 م 5- الباب الأول من أبواب صلاة الكسوف والآيات. حديث 10.

الفقرة (55) مستحبات صلاة الآيات

سؤال: ما هي مستحبات صلاة الآيات؟

جواب: يستحب في صلاة الآيات أمور:

- 1- القنوت بعد القراءة قبل الركوع في كل قيام زوجي، ويجوز الاقتصار على قنوتين في الركوع الخامس والركوع العاشر. ويجوز الاقتصار على القنوت في القيام العاشر فقط.
- 2- التكبير عند الهوي إلى الركوع وعند الرفع من الركوع إلا في الركوع الخامس و الركوع العاشر فإنه يقول المصلي: (سمع الله لمن حمده) وذلك بعد رفع رأس المصلي من الركوع.
- 3- إقامة صلاة الآيات جماعة، أداء وقضاء مع احتراق القرص وعدم احتراق القرص، ويتحمل الإمام في هذه الصلاة القراءة لا غيرها، مثل الصلاة اليومية.
- 4- التطويل في صلاة الكسوف إلى تمام الانجلاء. فإن فرغ المصلي قبل الانجلاء فهنا جلس في مصلاه مشتغلاً بالدعاء. أو يعيد الصلاة. نعم إذا كان المصلي إماماً يشق على من خلفه التطويل خفف. وكذلك لو تقين أو شك المصلي بتمام الانجلاء وخرج وقت الصلاة خلال صلاته، فهنا يجب على المصلي التخفيف لتقع الصلاة داخل وقتها.
- 5- قراءة السور الطوال كسورة ياسين والنور والكهف والحجر.
- 6- إكمال السورة في كل قيام.
- 7- أن يكون كل من الركوع والسجود بقدر القراءة في التطويل.
- 8- الجهر بالقراءة ليلاً ونهاراً، أداء وقضاء، حتى في كسوف الشمس على الأصح.
- 9- أن تكون الصلاة تحت السماء أو في المسجد.

الفقرة (56) في صلاة القضاء

سؤال: ما معنى صلاة القضاء؟

جواب: هنا أمور خمسة:

1- أن معنى قضاء الصلاة هي انجاز الصلاة في غير وقتها بعد أن كانت الصلاة قد فاتت في وقتها. ويشمل ذلك القضاء:

- الصلوات اليومية الواجبة.

- الصلوات المستحبة.

- بعض الصلوات الأخرى كصلاة الآيات.

- بعض العبادات الأخرى كالصوم والحج.

2- أن هناك مصلحة في تشريع القضاء وهي الرحمة والتسامح بالمكلف، ولولا هذه الرحمة بالمكلف لكان مقتضى القاعدة الأولية عدم وجود أي واجب قابلاً للقضاء، وإنما يدور أمر المكلف بين:

- أن يأتي الفرد بالواجب في الوقت المناسب له.

- أن لا يأتي الفرد بالواجب في الوقت المناسب له.

3- أن الإتيان بالواجب في وقته هو الأمر المتعين والمسبب لانجاز وإيجاد الهدف والمصلحة، سواء كان في أول وقت الفضيلة أم في آخر الوقت كما في صلاة الليل. وأما القضاء فهو الانجاز خارج الوقت، فلا يمكن أن يكون هذا الانجاز بمقدار فضيلة الوقت، وذلك لأمر وجعل الشارع بالوقت كشرط من شروط الواجب، فهنا يثبت مدخلة الوقت في تحصيل مصلحة الواجب، ولولا الرحمة بتشريع القضاء من خلال أمر الشارع بالقضاء لفاتت المصلحة من الواجب من دون تضعيف وتهوين مصلحة القضاء بعد ثبوت مشروعيته، وذلك لأن ذات الواجب يكون قد أنجزه المكلف، فيكون المكلف قد أحرز المصلحة المتعلقة بذات الواجب، وإن فاتت مصلحة الوقت.

ويمكن القول بأن مصلحة ذات الواجب منحصرة بالإتيان بالواجب في وقته, ولكن هذا القول يدفعه دليان:

الأول: دليل القضاء.

والثاني: دليل أن الصلاة لا تسقط بحال من الأحوال.

فهنا يثبت إمكان انجاز ذات الواجب من دون شرط الوقت فيحصل المكلف على المصلحة المتعلقة بالصلاة، فيبقى الباقي مأموراً به خالياً من الشرط المتعذر مثل شرط القبلة والطهارة والستر والقيام وغيرها.

4- أن هناك واجبات أخرى لا تقبل القضاء بحسب الحكمة الإلهية, ومنها:

- الصلوات المستحبة غير الموقته.

- النذر المعين لأي عبادة.

- عدة الطلاق.

- عدة الوفاة.

- الزكاة فيما وصلت إلى غير مستحقيها وقد جردها أو عصى بها.

- الحج الواجب بنية حج الإفساد وليس بنية القضاء.

- الحج المستحب.

- التكاليف المعنوية كالخشوع والتفكير والتسليم والتوكل والصبر, وذلك لأكثر من وجه واعتبار, ومنها اعتبارات ثلاثة:

أولاً: أن التكليف المعنوي مطلوب بنحو الدوام والاستمرار، فلا يكون وجوده في الوقت الثاني معوضاً عن وجوده في الوقت الأول.

ثانياً: أن التكليف المعنوي متوقف على وقت محدد بحيث يعتبر زوال هذا الوقت زوالاً لهذا التكليف, كما في مثل الصبر تجاه حادثة معينة, فإن زوال هذه الحادثة مزيلاً للصبر.

ثالثاً: أن التكليف المعنوي قد يكون محدداً بوقت, ولكنه يكون أداء في كل وقت, كمثال الخشوع في الصلاة, ومثل الصبر في الصوم, ومثل التوجه في الحج, ومثل التسليم في الزكاة.

5- أن التكاليف المعنوية لا تقبل القضاء حتى لو صدق على تفويت التكليف المعنوي زوال على وقته, كما في مثل الاستغفار والتوبة فإنهما مطلوبان بصورة فورية فوراً ففوراً, فإن فات الزمان الأول فقد فات أحد أوقاتها وخسر الفرد المصلحة المتعلقة به, إلا أنها لا تكون قابلة للقضاء لأنها مطلوبة فعلاً في الوقت الثاني, وهكذا. وأينما حدثت فقد حصلت في وقتها وإن فاتت من وقت السابق.

فإن قلت في مقام قابلية قضاء التكليف المعنوي بدليل قوله في الحديث: (اقض ما فات كما فات) الدال باطلاقه على قضاء التكاليف الظاهرية والتكاليف المعنوية معا.

قلت يجاب عن هذا الدليل بوجهين:

أولاً: إن هذا الدليل خاص بالتكاليف القابلة للقضاء, وقد تقدم أن التكاليف المعنوية غير قابلة للقضاء.

ثانياً: إن معنى مادة القضاء لا تعني في اللغة ولا في المصطلح القرآني الإتيان بالعبادة خارج وقتها, وإنما القضاء اصطلاح يعني الاداء والانجاز والاتمام, كما في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ)³⁴⁴, أي أديت وأنجزت وتمت الصلاة, وليس بمعنى انجاز الصلاة خارج وقتها. فإذا استطعنا أن نفهم من حديث (اقض ما فات كما فات) الاداء والانجاز والاتمام فهنا سيكون المراد الإشارة إلى الواجبات القابلة للتكرار وإن الفرد الثاني يكون مشابهاً في حقيقته وشرائطه للفرد الأول, يعني أدى وأنجز وأتم الفرد الثاني بنفس الشرائط والطريقة التي كان الفرد الفائت مطلوباً فيها.

فإن قلت: إن هذا الفهم لمعنى القضاء بمعنى الاداء والانجاز والاتمام كما يشمل التكليف المعنوية كذلك يشمل التكليف الظاهرية, فيسقط دليل وجوب قضاء التكليف الظاهرية والتكليف المعنوية معا.

قلت يجب عن هذا الفهم بأن معنى الانجاز هو انجاز الفرد الثاني بنفس شرائط انجاز الفرد الأول الفائت, فيكون هذا الفهم مناسباً للتكرار والقضاء معاً من دون تعيين, فالمقصود من قوله في الحديث: (اقض) الانجاز الشامل للقضاء والتكرار معاً من زاويتين:

الأولى: الواجبات القابلة للقضاء, فهنا يكون هذا الدليل أمراً بالقضاء فيها.

والثانية: الواجبات غير القابلة له, فهنا يكون هذا الدليل دليلاً على لزوم تكرارها وانجازها بأي صورة. وقد تقدم أن التكليف المعنوية غير قابلة للقضاء. هذا أولاً.

وثانياً: أننا لو سلمنا سقوط هذا الدليل عن الاستدلال به على وجوب القضاء في التكليف الظاهرية, ولكن يوجد هناك ما يستدل به على القضاء من حلال وجود روايات وأدلة أخرى دالة على وجوب القضاء بتفصيل ليس هذا محل إيرادها.

الفقرة (57) في صلاة الاستيجار

سؤال: ما معنى صلاة الاستيجار مبيناً معنى العمل عن الغير وأخذ الأجرة عليه؟.

جواب: هنا أمور ثلاثة:

الأمر الأول: معنى وتقسيمات العمل عن الغير, وفيه أن صلاة الاستيجار من متعلقات أو فروع القضاء باعتبار أن الاستيجار عبارة أخرى عن قضاء الصلاة عن الغير بأجرة, ويمكن تقسيم عمل الغير:

1- أن يكون العمل عن الغير عبادة أو غير عبادة.

2- أن يكون العمل عن الغير واجباً أو مستحباً.

3- أن يكون العمل عن الغير بعنوان القضاء أو غيره.

4- أن يكون العمل عن الغير بأجرة أم غيرها.

5- أن يكون العمل عن الغير عن حي أو ميت.

فهذه خمسة تقسيمات تنتج من هذه التقسيمات اثنان وثلاثون صورة، ومن هذه الصور:

أولاً: الإتيان عن الغير بمعاملة معينة، ومثاله بيع بعض ممتلكات الغير، فهنا حكم هذا العمل إن كان العمل بالتوكيل صح، وإن لم يكن بالتوكيل فيكون ما يسمى بيعاً فضولياً يتوقف على إجازة المالك. وهذا فعلاً خارج عن كل الكلام.

ثانياً: الإتيان بعمل عبادي مستحب عن الغير مجاناً سواء كان الغير حياً أو كان الغير ميتاً، فهنا حكم هذا العمل هو الجواز ويرجع ثوابه لكلا الشخصين معاً.

ثالثاً: الإتيان بعمل عبادي واجب عن حي، سواء كان العمل بعنوان الأداء أو بعنوان القضاء وسواء كان العمل بأجرة أو مجاناً، فهنا حكم هذا العمل هو عدم الجواز إلا ما خرج بدليل، ومثاله الحج عن العاجز بأجرة.

رابعاً: الإتيان بعمل عبادي واجب عن ميت مجاناً من دون أجرة، فهنا قد يكون هذا العمل واجباً في أصل الشريعة، ومثاله الوحيد هو قضاء الولد الأكبر ما فات أباه من عبادة. وقد لا يكون هذا العمل واجباً، بل هو مستحب على ما يأتي به لإبراء ذمة الميت عما فاتته مجاناً من دون أجرة، وهو أمر مشروع ومستحب، سواء كان من قبل ولي الميت أم غيره. وسواء كان قريباً له في العشيرة أم لا.

خامساً: الإتيان بعمل عبادي واجب عن الميت بأجرة بعنوان القضاء فيما كان قابلاً للقضاء من الواجبات، فهنا يكون حكم العمل هو الجواز، وإن كان هناك خلاف بين الفقهاء في تخريج الوجه الصحيح للجواز مع إجماعهم على الجواز. ووجه الصعوبة فيه هو أن العبادة قد تكون لمجرد الأجرة، فهنا تقع العبادة باطلة. وقد أجاب الفقهاء على هذا البطالان بأجوبة تصحح وقوع المعاملة على تفصيل يأتي.

هذا وأن الأفضل من هذه الصور من الناحية الشرعية والأخلاقية صورتان:

الأولى: الإتيان بالعمل العبادي المستحب وإهداء هذا العمل إلى الغير، سواء كان الغير حياً أم كان الغير ميتاً.

الثانية: الإتيان بالعمل الواجب قضاء عن الميت من أجل إبراء لما في ذمة الميت مجاناً من دون أجر، سواء كان العمل واجباً، ومثاله: الولد الأكبر يقضي عن أبيه. أم كان العمل مستحباً، ومثاله: المتبرع يقضي عن الميت.

الأمر الثاني: معنى العمل عن الغير ورجحانه، وفيه مطلبان:

1- معنى العمل عن الغير، وفيه فكرتان متعارضتان من حيث امكان أو امتناع العمل عن الغير:

الأولى: الامكان، أي أن العمل عن الغير ممكن، وذلك لأن الأعمال الظاهرية في المجتمع، كبناء البيت وخياطة الثوب وطبخ الطعام، هي الأعمال التي يمكن للفرد أن يعمل عن غيره وأن عمل الفرد يؤثر على ذلك الغير.

الثانية: الامتناع، أي أن العمل عن الغير ممتنع، وذلك بحسب القاعدة العامة القائلة إن الأصل والمفروض في كل إنسان هو العمل لنفسه من دون أن يعمل لغيره، ومثاله صحة نسبة الحسنات والسيئات إلى نفس الإنسان، ولا يصح نسبة هذه الحسنات والسيئات إلى الآخرين، كما قال الله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)³⁴⁵.

فهنا أن مقتضى القاعدة الأولية هي صحة الفكرة الثانية من امتناع العمل عن الغير من حيث صحة نسبة الأعمال لنفس الفرد العامل ولا يصح نسبة الأعمال للغير، سواء كان في العمل الظاهري أم العمل المعنوي؛ أما العمل الظاهري فمثاله: البناء بالنسبة لصاحب البيت أو الخياط بالنسبة لصاحب القماش، فهنا العامل ينفع نفسه بالأجرة التي يأخذها من صاحب العمل من صاحب البيت أو صاحب القماش الذي يعمل لنفسه بالتعامل مع هذا العامل ودفع أجره إليه. وأما العمل المعنوي فمثاله الصبر والتسليم بالبلاء الدنيوي وإتباع النفس في كثرة الصلاة أو الصوم أو قضاء حاجات الآخرين، وغيرها. فهنا في مثل هذه المذكورات إنما تصدر من نفس الفرد من

³⁴⁵ سورة فاطر آية 18.

دون أن ينتفع بها الغير. نعم يستثنى من ذلك عدة مستويات يمكن أن تصح الفكرة الأولى من إمكان العمل عن الغير، ومنها:

أولاً: إيجاد (المعد) وتوفير الفرصة لعمل الآخر، ومثاله:

- بناء الدار.

- خياطة الثوب.

- توفير بعض النفقة.

ثانياً: التربية والتعليم والتوجيه مع قصد التأثير بهذه الأنحاء.

ثالثاً: إيجاد الغير ما يعجز عنه الفرد من أعمال، ومثاله:

- الطبيب يداوي المريض بعد أن يعجز المريض عن نفسه.

- الحج عن العاجز.

رابعاً: الإذن الشرعي بانجاز بعض الأعمال عن الآخرين، ومثاله:

- الأعمال المستحبة.

- القضاء عن الميت.

خامساً: التأثير بمستوى الغير من الناحية الأخلاقية أو العملية من خلال التربية سواء قصد الآخر ذلك التأثير أم لم يقصد الآخر ذلك التأثير، ومن هنا ورد قوله عليه السلام: (كونوا لنا دعاة صامتين)³⁴⁶.

2- رجحان العمل عن الغير، وفيه نقاط قوة ونقاط ضعف، فهنا نحوان:

الأول: نقاط القوة، ومنها نقطتان:

³⁴⁶ الوسائل. الباب 16. من أبواب مقدمة العبادات - حديث 2.

أولاً: قضاء حاجة الآخرين.

ثانياً: الطاعة والتنفيذ لهذا الرجحان.

والثاني: نقاط الضعف، فمنها نقطتان قابلتان للمناقشة:

أولاً: أن العامل للغير فيه اختيار للاحتمال الأضعف والأردأ من حيث ضعف النفع للنفس بينما العامل لنفسه فيه اختيار للاحتمال الأقوى والأحسن، فهنا يرد عليه أن العامل للغير فيه نفع لنفسه، ولا دليل على أن نفعه للغير أقل نفعاً من نفعه لنفسه، بل الدليل على خلافه مع التنبيه على أن العامل لغيره يوجب تكامل شخصين: نفسه و غيره، بينما لو عمل لنفسه فقد أوجب تكامل شخص واحد هو نفسه فقط، فلا يثبت أن العامل للغير فيه اختيار للاحتمال الأضعف، ويتم المطلوب.

ثانياً: أن العامل للغير فيه ملاحظة استحقاق الغير الأضعف بينما العامل لنفسه فيه احتمال الأقوى، فهنا يرد عليه: أننا لو سلمنا ملازمة ملاحظة استحقاق الغير ولكن في محل الكلام وهو مثل القضاء عن الغير أو إهداء المستحبات للغير فلا تثبت هذه الملازمة بحسب الظاهر الدنيوي وبحسب المعنى الأخروي:

- أما بحسب الظاهر فلعدم قيام الدليل على اشتراط هذا الاستحقاق، بل إطلاقات أدلة النيابة عن الآخرين تنفي هذا الاستحقاق.

- أما بحسب المعنى فلأن الفرد العامل للغير لا يمكنه أن يضر الفرد الآخر، وإنما النفع يصل للغير من دون ترتب الضرر، وإن كان في العمل ضرر فإن الله تعالى يحبه ويوصل خصوص النفع، لأنه سبحانه قال: (لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)³⁴⁷، فلا يثبت أن العامل للغير فيه اختيار للاحتمال الأضعف، ويتم المطلوب.

الأمر الثالث: معنى اخذ الأجرة على العمل من الناحية الأخلاقية، وفيه أن حكم أخذ الأجرة عن العمل للغير مرجوح من الناحية الأخلاقية، سواء كان العمل دنيوياً عن الغير أم كان العمل أخروياً:

³⁴⁷ سورة البقرة - آية 286.

- أما العمل الدنيوي عن الغير فلأن المجانية أفضل من الأجرة بشرط أن يكون العامل محتاجاً إلى الأجرة في حياته الخاصة.

- أما العمل الأخرى عن الغير فلأن العمل العبادي إن كان القصد فيه الحصول على الأجرة فلا يكون هذا العمل مقبولا ولا يترتب عليه ثواب أو تكامل, سواء كان العمل من قبيل قضاء الحاجة التي تكون بمنزلة العبادة, أم كان العمل من قبيل العبادة الحقيقية كالصلاة والصيام. ولكن لولا الإجماع على صحة الاستئجار عن الآخرين هذا أولاً.

وثانياً: قيام السيرة على صحة الاستئجار.

فهنا لم يمكن القول بصحة هذا العمل العبادي. وأما مع أخذ الأجرة على هذا العمل العبادي, فهنا يكون العامل عن الغير نافعا لغيره بمقدار الإجزاء وإفراغ ما في الذمة من دون أن ينفع نفسه من الناحية المعنوية, وذلك لأن أخذ الأجرة تكون في مقابل عمله فقط من دون ترتب الثواب أو التكامل.

- أخذ الأجرة على عمل المستحبات, فهنا لا يكون هذا العمل مستحباً, بل هو عمل دنيوي خال من الثواب الذي يعود بالنفع على الآخرين.

- أخذ الأجرة على الواجبات العبادية مع الحاجة الشخصية إلى الأجرة, فهنا من الناحية الفقهية جائزة لقيام الدليل على الإجزاء وإفراغ, وأما من الناحية المعنوية فليست لها أية منزلة ما لم تكن مجانية. مع الالتفات إلى أن أخذ الأجرة على الواجبات العبادية لابد أن تكون بأجرة مخفضة أو قليلة بالمقدار الذي يحفظ فيه جزء من الجانب المعنوي, فإذا تنازل العامل عن جميع الأجرة فهنا حصل على الأجر المعنوي, وإذا أخذ العامل جميع الأجرة فلا يحصل العامل على الأجر المعنوي.

الفقرة (58) صلاة الجمعة

سؤال: ما هي المصالح المترتبة على صلاة الجمعة؟

جواب: تحتوي صلاة الجمعة ابتداء على مزييتين أو صفتين مهمتين:

الأولى: خطبتان قبل الصلاة.

الثانية: اجتماع سكان أو جمهور أهل البلدة أو المنطقة الواحدة.

ويتحصل من هاتين المزييتين أو الصفتين مصلحة تترتب على صلاة الجمعة وهي استماع هذا الجمهور لخطبتي صلاة الجمعة التي يبين فيها خطيب صلاة الجمعة اسبوعيا ما فيه نفع عام من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية والرياضية، وهكذا. ومضافا لهذه المزية والمصلحة المهمة فإن هناك جملة من المزايا والمصالح المترتبة على صلاة الجمعة، ومنها مصالح أربعة:

الأولى: صلاة الجمعة من العبادات الجمعية التي يشترط في صحتها اجتماع الناس، ومن فوائد هذه العبادة الجمعية فائدتان:

1- الفائدة الظاهرية وهي إقامة الشعائر الدينية الداعية الى تحريك المجتمع نحو العبادة.

2- الفائدة المعنوية وهي زيادة الخشوع والتوجه لله سبحانه الجماعي.

الثانية: صلاة الجمعة تسبب التآلف والتعارف والتكاتف بين أفراد المجتمع الواحد، كما في مثل مصلحة الحج ولكن الحج يسبب هذا النحو من التآلف بين أفراد عموم المجتمع.

الثالثة: صلاة الجمعة تعتبر تلبية واستجابة للنداء الإلهي بالصلاة، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ)³⁴⁸. ومن مصالح هذه الاستجابة الإلهية:

1- الاستجابة لنداء القرآن الكريم.

2- الاستجابة لأمر الشريعة الإسلامية.

3- الاستجابة لنداء الولي العام الفقيه الأمر الاجتماعي لإقامة صلاة الجمعة.

³⁴⁸ سورة الجمعة - آية 9.

5- استجابة للدعاءات التي قد تصدر من أولياء الأمور للمجتمع بحاجات معينة، كجباية بعض الأموال أو التبرع بالدم أو انجاز بناء معين أو غير ذلك كثير.

الرابعة: خطبتنا صلاة الجمعة فيها إعلام عام يجلب الخير والمصلحة من خلال تثقيف الناس بأمور الدين، ويدفع الشر والمفسدة من خلال مناقشة البدع والانحرافات والإشاعات والظواهر السلبية في المجتمع.

الفقرة (59) صلاة العيدين

سؤال: ما هي المصالح المترتبة على صلاة العيدين؟

جواب: صلاة العيدين تشبه صلاة الجمعة من زاويتين:

الأولى: الشرائط الفقهية وأسلوب إقامة صلاة الجمعة ولكن الفارق أن خطبتي صلاة العيدين تكونان بعد الصلاة بينما خطبتي صلاة الجمعة تكون قبل الصلاة.

والثانية: المصالح والمزايا المترتبة على صلاة الجمعة ولكن الفارق من وجهين:

1- أن المصالح المترتبة على صلاة العيدين تكون أضيق باعتبار توقيت صلاة العيدين يكون في السنة مرتين في عيد الفطر وعيد الأضحى بينما توقيت صلاة الجمعة يكون أسبوعياً.

2- أن إقامة صلاة العيد من أجل الاحتفال بالعيد بينما إقامة صلاة الجمعة ليس من أجل هذا الاحتفال إلا إذا اعتبرنا أن يوم الجمعة عيد من أعياد الإسلام بحسب ما نطقنا به بعض الأخبار ولكنه عيد أسبوعي وليس عيداً سنوياً. وأما طريقة الاحتفال بهذا العيد من الناحية الدينية فلا يجوز أن تكون بإقامة المراقص وإشاعة الخمر والغناء ونحوها من المحرمات، وإنما طريقة الاحتفال ينبغي أن تكون بزيادة التوجه والخشوع والعبادة المرضية لله سبحانه. فتكون بذلك صلاة العيد تطبيقاً أو مصداقاً مهماً للاحتفال بالعيد احتفالاً شرعياً صحيحاً مرضياً لله عز وجل ومشروطاً

باجتماع الناس، فتقترن جميع تلك المصالح والمزايا المترتبة على الصلاة من خلال الاحتفال الديني بالعيد الديني المقدس.

كتاب الصوم

الفقرة (1) في معنى الصوم

سؤال: ما معنى الصوم شارحاً أهميته؟.

جواب: هنا معان ثلاثة:

أولاً: الصوم في اللغة عبارة عن مطلق الإمساك.

وثانياً: الصوم في الاصطلاح الشرعي عبارة عن الإمساك عن المفطرات مع النية، أي أن حقيقة الصوم مركبة من أمرين؛ الإمساك والنية. والإمساك هو الكف عن أي شيء قد يرغب فيه الإنسان، يقال: أمسك عن الكلام أو عن المشي يعني تركه. وكذلك الإمساك عن المفطرات في الصوم أو لأجل الصوم يعني ترك المفطرات.

وثالثاً: الصوم من الناحية التطبيقية أو العملية عبارة عن مجموعة تروك، ولا يحتوي الصوم على معنى إيجابي أو عملي إلا النية.

ومن هنا كان للصوم أهمية خاصة ومصالح عامة على عدة مستويات، ومنها ثمانية مستويات:

1- إن الصوم مع اقترانه بقصد إلى الله عز وجل فهو يعني رمزية واضحة عن الإمساك وترك اللذائذ المحرمة وكف النفس والصبر على ترك هذه اللذائذ، سواء منها اللذائذ المحرمة على مستوى الفرد الإيماني، أو اللذائذ والاندفاعات النفسية التي يكون في تركها تكاملاً مرضياً لله عز وجل. ولهذه التروك مستويات عدة قد تصل بنا مع عمق درجة الإيمان وصفاء القلب إلى تروك، ومنها:

- ترك التوكل على غير الله.

- ترك الخوف مما سواه وترك ذكر غيره من الأسباب والمسببات.

- ترك التوجه إلى كمال غير ما يوجبه عطاؤه.

- ترك التوجه إلى حب الدنيا وطلب لذائذها وزخارفها ومغرياتها بطبيعة الحال. وكل فرد ينال من ذلك بمقدار ما أوتي من ثقافة ووعي وإيمان وتوفيق وتسديد. ولذا ورد: (إن الدنيا للمؤمن صوم يوم)³⁴⁹. فهنا معنى الصوم هو الإمساك عن اللذائذ. ومعنى اليوم هو الحقبة الزمانية المعينة التي يكون الفرد فيها يعيش الحياة الدنيا. وإفطاره يكون في الجنة. وفي نحو ذلك ينسب إلى رابعة العدوية قوله:

تركت الخلق طرا في هواكا * وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعنتي في الحب إربا * لما مال الفؤاد إلى سواكا

2- إن الصوم عبارة عن عبادة سرية ومكتومة عن غير الله سبحانه وتعالى، وذلك بسبب انعدام المظهر الخارجي للصوم، لأن الصوم لا يحتوى على أي حركة أو تصرف أو طرف آخر، وهذا يختلف عن سائر العبادات والمعاملات، ومنها:

- الصلاة تحتوي على حركة وتصرف.

- الزكاة يكون طرفا الفقير الذي تعطيه المال.

- الأمر بالمعروف يكون طرفه المذنب الذي تنهاه عن المنكر.

- الحج يكون طرفه الرفيق الذي يدللك على الطريق.

- المعاملات من العقود كالبيع والإجارة يكون طرفها المشتري والمستأجر.

- المعاملات من الإيقاعات كالطلاق والعق يكون طرفها كالزوجة والعبد.

ومن هنا ورد في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا اجزي به)³⁵⁰. ففي هذا الحديث فقرتان:

الفقرة الأولى: قوله: (الصوم لي) وفيه أن الصوم لله سبحانه فلأن الصوم يمكن أن يكون مكتوماً عن سواه تعالى، فيتمحض الصوم لله عز وجل، ويكون خالياً من الرياء والدوافع الدنيوية وأما سائر العبادات فقد لا تكون لله أولاً تتمحض له عز وجل بالشكل التام المرضي له تعالى وذلك لأن لهذه العبادات مظاهرها الخارجية التي يمكن أن يطلع عليها الآخرون.

الفقرة الثانية: قوله: (أنا اجزي به) وفي هذا الاجزاء عن الصوم قراءتان:

القراءة الأولى: البناء على الفاعل المعلوم، فهنا أسلوبان من الفهم:

الأول: إن الله سبحانه يجزي عن الصوم بمعنى أنه تعالى يعطي الثواب للعبد على الصوم. وبهذا لا يفترق الصوم عن غيره من العبادات التي يعطي الله عليها أنواع المثوبة. ومعه تكون هذه الفقرة غير خاصة بالصوم، بينما تكون الفقرة الأولى خاصة بالصوم.

والثاني: إن الله سبحانه يستقل دون عباده وخلقه من الملائكة أو الأولياء أو غيرهم بإعطاء الجزاء للعبد على الصوم. فبينما يكون جزاء العبد في سائر العبادات على الخلق بصورة غير مباشرة، فإن جزاء العبد على الصوم يكون على الله عز وجل بصورة مباشرة. وهذا يعني عدة أمور:

- كثرة العطاء، وذلك لأن العطاء الوارد من الله سبحانه لا شك أجزل من العطاء الوارد من المخلوقين، وإن انتسب العطاء إلى الله نهاية المطاف.

- كتم العطاء على الآخرين، فكما أن العبد يعطي لربه عبادة سرية ومكتومة هي الصوم. كذلك الله يعطي لعبده ثواباً مكتوماً عن الآخرين. وهذا فيه للعبد لذة معنوية لا يعرفها إلا ذووها.

القراءة الثانية: البناء على الفاعل المجهول، وفيه فقرتان:

الأولى: قوله: (وأنا أجزي به) أن الصوم بنفسه سيكون جزاءً من العبد لربه على نعمه وأفضاله، والله سبحانه غني عن العالمين لا يمكن أن يصل إليه النفع والجزاء من أحد، وهذا معنى مجازي

³⁵⁰ الوسائل ج 4 م 7. الباب الأول من أبواب الصوم المنسوب. حديث 7 ص 290.

يمثل أهمية الصوم إلى درجة تصلح أن تكون جزاء الله عز وجل بإزاء نعمه اللامتناهية وآلائه المتواترة المستمرة. ومن هنا نرى أن في الحديث تفخيماً للصوم من جهة أخرى، وهي أن نعم وآلاء الله لامتناهية وغير محدودة، فلا يمكن أن يكون جزاء هذه النعم عبادة محدودة مهما كانت صفتها. وإنما إعطاء التفخيم والأهمية للصوم إلى هذه الدرجة، جعله الله بكرمه ورحمته كذلك.

الثانية: قوله: (الصوم لي)، وفيه أن ما جعله الحديث الشريف جزاء لنعم الله سبحانه ليس كل صوم، بل الصوم المكتوم الذي لا يعلمه غيري، فهنا تكون العبادة مع تمحضها لله عز وجل من الناحية المعنوية غير محدودة، بخلاف العبادة التي تشوبها الشائبة أو الشوائب، فإنها بذلك ستكون عبادة محدودة أو بالأحرى هزيلة، فلا تصلح هذه العبادة أن تكون جزاء لنعم الله العظيمة، فهنا ينتج أن الصوم المكتوم لا محدود، فيمكن أن يكون الصوم جزاء للنعم غير المحدودة. ولكن لا يخفى في هذا الفهم تسامح ورحمة من جهة الله سبحانه على عبده أكثر من استحقاق المورد مهما كان عظيماً، وذلك لأن الله عز وجل لا يمكن حقيقة أن تجازى آلاؤه أو تشكر نعمائه أو يطاع حق طاعته، كما ورد ذلك في الأخبار، وإنما هذا الباب من قبيل ما ورد: إذا رضي الله عز وجل عن العبد رضى منه بالقليل من العمل.

3- إن الصوم يذكر بجوع وعطش يوم القيامة وعطشه بشرطين:

أولاً: أن يعاني الصائم فعلاً من الجوع والعطش.

وثانياً: أن يصحح الصائم بالصوم سائر أعماله فيترك غير المرضي ويسلك السلوك المرضي، ويتوجه إلى ربه حق التوجه.

4- إن الصوم يذكر بجوع وعطش الفقراء بشرطين:

أولاً: عدم الإسراف في الطعام والشراب إلى حد يزداد على حال الإفطار.

وثانياً: مساعدة المحتاجين ورفع حاجة المعوزين.

5- إن الصوم يذكر بأحوال الدنيا لمن كان غافلاً عن هذه الأحوال.

6-: إن الصوم يعوّد الفرد على درجة مهمة من قوة الإرادة والتحمل والصبر في المعاناة الذي معه رضا وتسليم وشكر لله عز وجل.

7- إن الصوم موجب لغفران الذنوب السابقة مع اجتماع الشرائط فيه. وهذا احد المعاني الأساسية للحديث الشريف القائل: (الصوم جنة من النار)³⁵¹. أي الصوم مانع عن النار. فان الذنوب توجب العقوبة بالنار بينما الصوم يوجب غفران الذنوب والمنع عن العقاب.

8- إن الصوم يوجب تطهير القلب وصفاء النفس على عدة مستويات, ومنها مستويان:

أولاً: إن الطعام والشراب قد يحتوي على شبهات ومحرمات الأمر الذي يوجب قسوة القلب وظلمانية النفس. فإذا جاء الصوم وامسك الفرد عن مثل هذا الطعام والشراب المشبوه أو المحرم فهنا أوجب ذلك قلة في القسوة وانكشاف من الظلمانية.

وثانياً: إن ثقل المعدة بالطعام والشراب موجب للثقل في السير المعنوي في طريق الإيمان واليقين. وكلما كانت المعدة اخف كانت الروح أكثر شفافية والنفس أسرع طيراناً إلى عالم النور. وهذا من أهم تفسيرات ما ورد في حديثين:

الأول: الحديث القدسي الشريف: (من جاع بطنه وكف لسانه آتيته الحكمة)³⁵².

والثاني: الحديث الشريف (الصوم جنة من النار)³⁵³، وذلك بناء على أن المقصود من النار هو نار الشهوات والجحود.

الفقرة (2) في معنى الإفطار والمفطرات

سؤال: ما معنى الإفطار والمفطرات؟

جواب: أن معنى الإفطار هو عبارة عن قطع الصوم، وذلك لأن الصوم هو الإمساك عن المفطرات، فإذا حصل الإفطار انقطع الإمساك، وإذا انقطع الإمساك انقطع الصوم، وذلك باعتبار أن الجزء الأساسي من حقيقة الصوم يكون قد انتفى حيث تقدم أن حقيقة الصوم مركبة من

³⁵¹ الوسائل ج 4 م 7. الباب الأول من أبواب الصوم المنسوب. حديث 1- ص 289.

³⁵² بحار الأنوار ج 66 ص 336. حديث 25- وج 95. ص 271. حديث 35.

³⁵³ الوسائل ج 4 م 7. الباب الأول من أبواب الصوم المنسوب. حديث 1- ص 289.

الإمساك والنية. وهذا المعنى للإفطار يتناسب مع جميع المعاني والرموز المأخوذة في الصوم، ومنها:

- الصوم في الاصطلاح الشرعي، فهنا كان معنى الإفطار هو ممارسة هذه المفطرات المشروحة في الفقه كالطعام والشراب والنكاح، فإن كان الصوم واجباً فقد عصى المكلف الواجب، وإن كان الصوم مستحباً فقد قوّت المكلف المستحب.

- الصوم بمعنى الإمساك أو الإعراض عن لذائذ الدنيا المحرمة، فهنا كان معنى الإفطار هو ممارسة شيء من هذه اللذائذ، وهو إفطار محرم.

- الصوم بمعنى الإمساك أو الإعراض عن لذائذ الدنيا عموماً أو إسقاط أهمية هذه اللذائذ عن نظر الاعتبار، فهنا كان معنى الإفطار هو ممارسة بعض تلك اللذائذ. والحكم في هذا الصوم أنه ليس محرماً من الناحية الفقهية، وذلك لأن ترك اللذائذ عموماً غير واجب. نعم، يكون هذا الإفطار مفوّتاً للغرض الذي من أجله التزم الفرد بتلك اللذائذ وأعرض عن حب الدنيا. وهو قد يكون غرضاً أو هدفاً شريفاً مهماً يفوت نيلاً بهذا الإفطار، كما قد يتأخر الوصول إليه في كثير من الأحيان. ولكن هنا يترشح سؤال مؤلف من مقدمتين:

الأولى: قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)³⁵⁴. الدال على عدم تحريم هذه اللذائذ على المؤمنين.

والثانية: إن الطعام والشراب ونحوه مما يقوي الجسم، فيكون معيناً على طاعة الله سبحانه.

فهنا يترشح هذا السؤال: لماذا يكون مبنى المصنف قدس فيه دعوى إلى الزهد والانصراف عن اللذائذ، والبعد عن الحياة الاجتماعية الاعتيادية؟. وجوابه: مستويات أربعة:

1- لو سلمنا صحة ما قاله السائل ولكنه على مستوى ظاهر الشريعة الناضرة إلى تربية الأكثرية الكاثرة في المجتمع ممن يقتصر على واقعه الإيماني العام، ولا يريد الزيادة والدخول إلى الواقع الإيماني الخاص الذي من مراتبه هذا الزهد عن اللذائذ بتفصيل آت.

2- إن الزيادة الإيمانية المتمثلة بالزهد عن اللذائذ لا تتضمن حرمة اللذائذ فيبقى الاستفهام من عدم التحريم في قوله تعالى: (قل من حرم زينة الله) ساري المفعول ولكن الزهد وغيره من الزيادات الإيمانية لا يمكن أن تستهدف بغير تضحية وتنازلات, كما قال الشاعر:

ومن طلب العلى من غير جد * أضاع العمر في طلب المحال

فهنا الزهد يمثل الخطوة الأولى لنيل تلك الأهداف, وإن كان الزهد ليس هدفاً نهائياً, بل الزهد مقدمة مؤقتة لنيل ما بعده, كما ورد في الدعاء:

- اللهم اخرج الدنيا من قلوبنا.

- اللهم لا تجعل الدنيا غاية همنا ولا مبلغ عملنا.

3- إن معنى الزهد ليس البعد والانصراف عن المجتمع وإنما هناك نواح ثلاثة:

الأولى: الطعام والشراب.

والثانية: اللباس والسكن.

والثالثة: الاختلاط بالمجتمع.

وهذه المذكورات من النواحي لها أحكامها وترتيبها من الناحية الشرعية ولا يمكن تحميل أو خلط بعضها في بعض, فإذا حكمنا مثلاً برحان واستحباب الزهد من ناحيتي المطعم والملبس فهذا لا يعنى الحكم برحان واستحباب الزهد من ناحية العلاقات الاجتماعية.

4- يمكن أن نفهم من الآية الكريمة من قوله تعالى (قل من حرم زينة الله) خطوات خمسة من الفهم:

الخطوة الأولى: إن قوله تعالى: (من حرم) استفهام استنكاري يفيد النفي, أي ليس هناك أحد غير الله تعالى حرم الزينة.

الخطوة الثانية: إن المراد من الزينة في قوله تعالى (زينة الله) ليس الطعام والشراب، بل وليس اللباس والعطور، وإنما يراد بالزينة أمور معنوية بعض هذه الأمور ظاهر كمنظر الوقار والرشد، أو بهاء الوجه، وبعض هذه الأمور نفسي أو قلبي لا يراه العامة.

الخطوة الثالثة: إن المراد بالطيبات في قوله تعالى (الطيبات من الرزق) ليس الطيب أو اللذة الدنيوية في النظر أو الشم أو الذوق وذلك لأن كل الطيبات الدنيوية منوطة ومخلوطة بالكدر والنقصان والمصاعب. وإنما يراد بالطيبات هي الطيبات الحقيقية المعنوية النورية التي لا كدر فيها ولا ظلام.

الخطوة الرابعة: إن قوله تعالى: (خالصة يوم القيامة) دال على أن خلوص هذه الطيبات الآية ليست في الحياة الدنيا، وإنما هي طيبات مشوبة، وهذا له تفاسير ثلاثة:

أولاً: إن المراد بالطيبات هو اللذائذ الدنيوية، وذلك لأن هذه اللذائذ هي المشوبة دون اللذائذ المعنوية.

ثانياً: إن المراد بالخلوص في قوله: (خالصة) ليس هو (التكامل) بل هو (التمحض). بمعنى أن هذه الطيبات في الحياة الدنيا ليست متمحضة للمؤمنين، بل هي طيبات مشتركة بين المؤمنين وبين غير المؤمنين من الكفار ولكن ستكون هذه الطيبات في يوم القيامة متمحضة للمؤمنين.

ثالثاً: إن المراد بالطيبات هو الجانب المعنوي بالمقدار التي تصل إلى المؤمن في الدنيا ليس وصولاً كاملاً ومستمراً، بل وصولاً مشوباً بالالتفات إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة.

والمختار من هذه التفاسير هو الفهم الثالث بحسب مقتضى سياق الكلام المتقدم ووجدان الفرد الإيمان في ما لو استطعنا إقامة القرائن في الخطوات السابقة أو اللاحقة لهذه الخطوة فيتعين الأخذ بهذا التفسير.

الخطوة الخامسة: إن قوله تعالى: (خالصة يوم القيامة) يترشح منه تساؤل عن نوعية الطيبات الخالصة يوم القيامة ففيه احتمالات ثلاثة:

أولاً: طيبات الدنيا.

وثانياً: الطيبات المادية.

وثالثاً: الطيبات المعنوية.

وهنا لا يحتمل أن يراد بهذه الطيبات الاحتمال الثاني من الطيبات المادية وذلك لأن هذه الطيبات لا تكون موجودة ومتوفرة في يوم القيامة، فإن كانت تتوفر ففي الجنة للمؤمنين وليس في يوم القيامة بنص لآية الكريمة. ولا نستطيع أن نفهم من يوم القيامة هو دخول الجنة الدال على كون الطيبات مادية، وذلك لأن هذا الفهم يلزم منه مخالفة الظاهر، فيثبت أن المراد من الطيبات هي الاحتمال الثالث من الطيبات المعنوية.

وقد يخطر في البال دليلاً على كون المراد من الطيبات مادية بقرينة انشغال الناس يوم القيامة بالحساب والكتاب الدال على المراد بيوم القيامة هو يوم دخول الجنة باعتبار أن هذا اليوم هو الظرف الزماني المناسب لأن تكون هذه الطيبات خالصة للمؤمنين، وأما مع انشغال الناس بالحساب والكتاب فلا تكون هذه الطيبات خالصة لهم في هذا اليوم.

وجواب ذلك الدليل: إننا لا نسلم كون انشغال الناس يوم القيامة قرينة على أن نفهم منه دخول الجنة وذلك لخروج طائفة من الناس عن الانشغال بالحساب والكتاب وهم المؤمنون الذين تنالهم يد العفو والرحمة فيتلقون ويتنعمون بهذه الطيبات المعنوية.

الفقرة (3) في معنى الهلال من الناحية المعنوية

سؤال: ما معنى الهلال من الناحية المعنوية ؟

جواب: الهلال أو القمر يعتبر من الناحية العملية المصدر الثاني أو الأضعف بعد الشمس للضوء، ولهذا القمر صفتان:

الأولى: الشروق في الليل حين الحاجة إلى الضوء بعد غياب الشمس وزوال النهار.

الثانية: مرور القمر بمراحل حيث يبدأ صغيراً ثم يتكامل على مدى الليالي التالية حتى يصبح بدرأ، ثم يبدأ بالتضاؤل من جديد إلى درجة المحاق.

وأما الاستهلال فهي عملية محاولة رؤية ذلك الهلال الضعيف في أوائل ساعات ولادته عن طريق العين. وأما معنى الهلال من الناحية المعنوية فهي تتوقف على معرفة صفات القمر المتقدمة التي لها عدد من التأويلات المعنوية ومن هذه التأويلات أن يقال: إن هنا أموراً ثلاثة:

1- القمر المعنوي: وهو عبارة عن إيمان الفرد المؤمن أو النفس الإيمانية الموجودة في باطن المؤمن.

2- الشمس المعنوية: هي المصدر الخارجي للإشعاع الإيماني للفرد المتمثل بالكتاب والسنة أو الشخص أو الذي جاءنا بالكتاب والسنة المتمثل بنبي الإسلام وآله الكرام عليهم السلام. فهؤلاء هم الشمس الحقيقية التي تشع بنور الحقيقة على جميع العالم، فهنا تكون الشمس المعنوية رد فعلها الإيجابي في نفس الفرد هو القمر، ومن هنا قالوا: (إن القمر يأخذ نوره من الشمس). هذا أولاً.

وثانياً: أن القمر المادي يشرق في الليل عند حاجة الفرد إلى الضوء وكذلك القمر الإيماني المعنوي من حيث أن النفس بعد ممارستها لأمر الدنيا فستكون النفس في ظلام وغفلة، ولا يكون هناك منفذ في رحمة الله سبحانه وتعالى غير وجود هذا النور الإيماني في قلب هذا الفرد، كما قال الله سبحانه:

- (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)³⁵⁵.

- (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)³⁵⁶.

وثالثاً: أن الإيمان في قلب الفرد يشبه القمر في مراحل حيث يبدأ الإيمان في التسلسل المعنوي صغيراً (هلالاً). ثم كلما تقدم الفرد في عمله في الطاعة أو تقدم في ثقافته الدينية ونحو ذلك، فهنا اتسع نور الإيمان في قلب الفرد إلى حد يصبح بدرًا متكاملًا بحيث يملأ نوره النفس والقلب، ويهدها إلى صراط المستقيم.

3- الاستهلال: هي محاولة رؤية الدرجة الضعيفة من الإيمان في أول وجوده، أو رؤية اليقين في أول حدوثه من أجل حصول الفرد على العطاء الجديد من الله سبحانه وتعالى، وهذه الرؤية

³⁵⁵ سورة الأعراف - آية 201.

³⁵⁶ سورة البقرة - آية 250.

تحصل بواسطة الاحساس الوجداني في باطن النفس وليس بواسطة رؤية العين الاعتيادية. هذا أولاً.

وثانياً: أن الفرد المؤمن يستمر بمراقبة نمو الهلال المعنوي والنور الإيماني في نفسه بحيث تحصل لهذا الفرد البهجة والفرحة، كما قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)³⁵⁷.

وثالثاً: أن البدر الإيماني في داخل النفس بعد حصوله وتكامله فلا يكون هذا النور قابلاً للأفول والنقصان، بل يكون هذا البدر الإيماني بدراً مستمراً وخالداً وليس كالقمر الاعتيادي الذي يعود صغيراً في كل شهر، وذلك لأن القمر الإيماني إنما هو من درجات الجنة، كما قال تعالى:

- (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)³⁵⁸.

- (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)³⁵⁹.

- (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)³⁶⁰.

ولكن يمكن لهذا البدر الإيماني المعنوي للتضائل التدريجي إلى حد يصل إلى المحاق كالقمر الطبيعي، وذلك لأن درجات التكامل الإيماني لامتناهية، فإذا وصل الفرد إلى حصول البدر في نفسه، فهنا استحق الفرد الاقتباس من الشمس بصورة مباشرة التي تمثل المعين الحقيقي للعتاء الإلهي.

ورابعاً: أن أهمية البدر السابق في نفس الفرد تتضاءل بصورة تدريجية إلى أن تزول بحيث يصبح الفرد ملتفتاً إلى نور الشمس الحقيقية التي تكون عوضاً عن البدر. فهنا يحصل المحاق للقمر، وذلك لأن الشمس الحقيقية إذا أشرقت على القلب فلا يبقى للأنانية أي وجود، كما قال تعالى:

³⁵⁷ سورة يونس - آية 58.

³⁵⁸ سورة البقرة - آية 82.

³⁵⁹ سورة المائدة - آية 119.

³⁶⁰ سورة ق - آية 35.

- (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)³⁶¹. فهذا معنى آية الليل هو القمر، وليس نفس الليل، ومعنى النهار هي الشمس، وليس نفس النهار.

- (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)³⁶².

- (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ)³⁶³.

- (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)³⁶⁴.

الفقرة (4) في معنى شهر الله

سؤال: ما معنى شهر الله؟

جواب: فيه أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن الحديث عن الصيام يقتضي الحديث عن شهر رمضان الذي هو شهر الصيام في دين الإسلام من حيث خصوصية اختصاص ووجوب الصيام في شهر رمضان، وإن كان الصيام مستحباً سائر أيام السنة عدا يومي عيد الفطر وعيد الأضحى. كما أن الحديث عن شهر رمضان يقتضي الحديث والسؤال عن معنى نسبة هذا الشهر إلى الله عز وجل؟. فهذا نسبة شهر رمضان إلى الله سبحانه تعني تلك الدرجة العالية من الأهمية والرفعة والقرب المعنوي إلى الله عز وجل، بحيث يكون هذا الشهر منسوباً إليه ومضافاً إلى اسمه الكريم، ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:

³⁶¹ سورة الإسراء - آية 12.

³⁶² سورة الشورى - آية 24.

³⁶³ سورة الزمر - آية 68 - 69.

³⁶⁴ سورة الزمر - آية 73 - 74.

- (وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)³⁶⁵. أي نسبة البيت في الكعبة المكرمة إلى الله تعالى.

- (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)³⁶⁶. أي نسبة الإنسان في خلقه إلى الله تعالى.

- (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)³⁶⁷. أي نسبة محمد عليه وآله السلام إلى الله تعالى.

- (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)³⁶⁸. أي نسبة العذاب والرحمة إلى الله تعالى.

- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ)³⁶⁹. أي نسبة الآيات إلى الله تعالى.

- (أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)³⁷⁰. أي نسبة الآيات إلى الله تعالى.

- (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)³⁷¹.

ومن أمثلة السنة الشريفة ألقاب الأنبياء عليهم السلام، ومنها:

- آدم صفوة الله.

- نوح نبي الله.

- إبراهيم خليل الله.

- موسى كلیم الله.

³⁶⁵ سورة الحج - آية 26.

³⁶⁶ سورة الحجر - آية 29.

³⁶⁷ سورة الفتح - آية 29.

³⁶⁸ سورة الأعراف - آية 156.

³⁶⁹ سورة آل عمران - آية 21.

³⁷⁰ سورة آل عمران - آية 113.

³⁷¹ سورة لقمان - آية 11.

- محمد حبيب الله.

فكذلك الحال في شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الله لأنه ذو مزية عالية جداً في الإسلام، بحيث نسب بهذه النسبة الشريفة المباركة.

ولهذه الأهمية ورد في السنة الشريفة اطراء والمدح لهذا الشهر المبارك، ومنه:

- قول الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية حين يخاطب شهر رمضان قائلاً: (السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد أوليائه. السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ويا خير شهر في الأيام والساعات. السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال ونشرت فيه الأعمال. السلام عليك من قرين جل قدره موجوداً وافجع فقده مفقوداً. السلام عليك من أليف انس مقبلاً فسراً وأوحش منقضياً فمض. السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب وقلت فيه الذنوب. السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان وصاحب سهل سبل الإحسان. السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك، وما اسعد من رعى حرمتك بك. السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب. السلام عليك ما كان أطولك على المجرمين وأهيبك في صدور المؤمنين. السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام. السلام عليك من شهر هو من كل أمر سلام. السلام عليك غير كرية المصاحبة ولا ذميم الملابس. السلام كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات ...) إلى أن يقول: (السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر) ³⁷².

- قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين اقبل شهر رمضان: (أيها الناس إنه قد اقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة. شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات. وهو شهر دعيت فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله. أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعائكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وقيامه وتلاوة كتابه. فان الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم) إلى أن يقول: (أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة،

فسلوا ربكم أن لا يغلّقها عليكم. وأبواب النيران مغلقة فسلوا ربكم أن لا يفتحها عليكم. والشياطين مغلوله، فسلوا ربكم أن لا يسلطها عليكم (373).

الأمر الثاني: ما السبب الداعي لاكتساب شهر رمضان هذه الأهمية، وما فرق شهر رمضان عن باقي الأشهر والأزمان ؟. وجوابه على مستويات ثلاثة:

1- النقض على السائل بوجود الأهمية والأفضلية لبعض المناسبات سواء كانت المناسبات إسلامية مثل ليلة القدر أم كانت المناسبات غير إسلامية عند سائر الأديان السماوية والأرضية، فتثبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

2- إن الأهمية المكتسبة لهذا الشهر ليست للزمان، بل الأهمية للمواهب الإلهية التي تحصل في هذا الشهر، وأمثلة ذلك:

- الرحمة.

- المغفرة.

- البركة.

- غل الشياطين.

- فتح أبواب الجنان.

فتثبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

3- إن الأهمية المكتسبة لهذا الشهر بحسب الإرادة والحكمة الإلهية من حيث أن الله سبحانه قد علم بحصول الذنوب والسيئات والمعاصي للبشر وأحب منهم حصول الإنابة والتوبة والاستغفار، فهنا قد فتح الله تعالى للبشر أبواب وفرصاً كثيرة لانجاز ذلك العطاء، وأمثلة ذلك:

- الأماكن كالمساجد والعتبات المقدسة.

- الأزمان كشهر رمضان، وليلة القدر، وعيدي الأضحى والفطر.

- الحالات كالبداء بتمجيد الله سبحانه، والصلاة على النبي وآله.

فتثبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

الأمر الثالث: ما السبب الداعي لاكتساب شهر رمضان هذه الأهمية على الرغم من كون هذا الشهر من الزمان الذي لا يتصف بوجود ثابت، بل وجود متصرم ومتصرف ومنقضي باستمرار، فلا يكون لهذا الشهر الزماني حدية وشخصية لكي يتصف بالأهمية أو لا يتصف بالأهمية؟. وجوابه على مستويات ثلاثة:

1- إننا لو سلمنا تصرم وتصرف وانقضاء الزمان بنحو حقيقي ولكن العرف قد حددوا وشخصوا هذا الزمان، ويدل على ذلك تقسم العرف الزمن إلى أيام وأشهر وسنين الكاشف على أن العرف يرى للأحداث الزمانية نحواً من الوجود والتحديد والتشخص. وبهذا التحديد العرفي للزمان جعلت الشريعة الزمان موضوعاً لبعض الأحكام، ومثاله:

- جعل شهر رمضان موضوعاً لوجوب الصوم.

- جعل ليلة القدر موضوعاً لاستحباب الإحياء، وهو السهر إلى مطلع الفجر.

فتثبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

3- إننا لو سلمنا تصرم وتصرف وانقضاء الزمان بنحو حقيقي ولكن منشأ هذه النظرة هو كوننا داخلين ومشمولين تحت حكم هذا الزمان، ولكن لو كان منشأ هذه النظرة هو كوننا صاعدين فوق مرتبة الزمان، فهنا سوف يثبت للزمان نحو من الوجود والتحديد والتشخص من حيث وكما هو قول الفلاسفة من أن هناك وحدة حقيقية متكاملة مشتركة بين الأزمنة الثلاثة من الماضي والحاضر والمستقبل الثابتة في العالم الأعلى. وبهذه النظرة للزمان جعلت الشريعة النازلة من العالم الأعلى الخالي بطبعه من الأزمنة الثلاثة الزمان موضوعاً لبعض الأحكام، فتثبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

3- إن متعلق التكليف الشرعي هو عمل بشري متصرم غير ثابت مثل الزمان، وهذا العمل غير ثابت بطبعه، فهنا من باب المناسبة والتناسب أن يكون المأمور به من الناحية الشرعية فعلاً زمانياً في حقبة زمانية، ومثاله:

- الصوم في شهر رمضان.

- الإحياء في السهر ليلة القدر.

- الصلاة عند الزوال.

- الصلاة عند الفجر.

نعم لو كان التكليف الشرعي متعلقاً بأمر قار ثابت في ظرف متصرم غير ثابت، أو كان التكليف الشرعي متعلقاً بأمر متصرم في ظرف قار، فهنا كان ذلك محالاً ولكن محل الكلام هو أن التكليف الشرعي متعلقاً بأمر متصرم في ظرف متصرم مناسب له، فتنبت الأهمية والأفضلية للزمان، ويتم المطلوب.

الفقرة (5) في موارد جواز الإفطار

سؤال: ما معنى موارد جوا الإفطار؟

جواب: موارد جواز الإفطار في السفر من الناحية الفقهية موردان: المرض والسفر يجمعهما قوله سبحانه: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)³⁷⁴، على تفصيل في معنى قوله (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) الدال على قضاء الصوم، فهنا موردان:

المورد الأول: الإفطار في السفر، وفيه معنيان:

1- أن هنا معان ثلاث متقدمة:

³⁷⁴ سورة البقرة - آية 184.

الأول: الصوم: وهو الابتعاد عن ملاذ الدنيا.

والثاني: الإفطار: هو الأخذ من ملاذ الدنيا.

والثالث: السفر: هو الابتعاد عن الأهل إلى دار الغربية.

فمن هنا فقد يصبح من الراجح الإفطار في دار الغربية، ولو كان هذا الإفطار بصورة مؤقتة لعدة أسباب:

- كتم الصوم عن غير الأهل بحيث يحسب الآخرون إن هذا الفرد ليس بصائم، وأن هذا الفرد غير ملتزم للأمور المعنوية.

- أن ممارسة الغربية قد تحدث ضعفا في النفس عن تحمل الصوم، فيكون من الأرجح إعطاء هذا الفرد الراحة بعض الوقت حتى تعود القدرة مجددا إلى هذا الفرد.

2- أن السفر كما يمكن أن يسبب الابتعاد عن الأهل والوطن كذلك السفر يسبب الاقتراب من الأهل والوطن فهو سفر إلى الأهل والوطن بدلا عن أن يكون السفر سفرا عن الأهل والوطن ولكن حكم الصوم والإفطار هنا في هذا المعنى يختلف عن المعنى السابق، ومن ثم الحكم في هذا المعنى يختلف عن الحكم الفقهي الاعتيادي، وذلك من حيث الصوم في طريق الوصول إلى الأهل والوطن، والإفطار عند الوصول إلى الأهل والوطن، فهنا سببان:

- الصوم في طريق الوصول فهو لأن الصوم كان بمنزلة أرجل الدابة المساعدة له على السفر، وعلى الاقتراب التدريجي من الوطن، فإذا ترك الفرد الصوم لم يمكن السفر، كما لا يمكن السير من دون أرجل.

- الإفطار عند الوصول إلى الأهل والوطن فلانتفاء الحاجة إلى السبب الموصل، وإلى الأرجل المساعدة إلى الوصول، كما يقول الشاعر:

وألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

ومن هنا يكون الإفطار من الأهل والوطن في محله. ومن هنا نعرف ان التشبيه المعنوي الظاهري الشرعي إنما هو بالوجه الأول، دون الوجه الثاني.

المورد الثاني: الإفطار في المرض: وفيه معان ثلاثة متوقفة على المعنى المعنوي للمرض:

1- ضعف التحمل وقلة الصبر على مجاهدة النفس والصوم عن اللذائذ الدنيوية، فإذا حصل مثل هذا الضعف فينبغي الإفطار الموقت حتى تعود القوة وتتصاعد الهمة عند الفرد على ممارسة الصوم.

2- الغفلة، فإن الغفلة من الأمراض الرئيسية في النفوس الواطئة، وحصول الغفلة يوازي حصول الإفطار، لأن الصوم حالة متعمدة ناتجة عن علم والتفات إلى الحاجة إليه، فإذا حصلت الغفلة انتفى العلم والالتفات، فينتفي الصوم فيحصل الإفطار.

3- الجهل، فإن حصول الجهل مقترن غالباً مع الغفلة ولكن الفرد يكون ملتفتاً ولكنه جاهل، كما لو كان الفرد ملتفتاً للمرض ولكنه جاهل بالدواء. أو كما كان الفرد ملتفتاً إلى السفر ولكنه جاهل بواسطة النقل. وهذا الجهل يعني الجهل بالحاجة إلى الصوم، فينتفي الصوم فيحصل الإفطار.

الفقرة (6) في معنى القضاء

سؤال: ما معنى قضاء الصوم؟

جواب: تقدم أن قوله الله تعالى: (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) فيه إشارة إلى القضاء بعد أن يكون الصوم في وقته الأصلي لم يوجد ولم ينجز، وإنما حصل الإفطار في هذا الوقت فيجب قضاء الصوم من جديد في غير موعد الصوم الأصلي، وهو معنى القضاء الذي له معان ثلاثة:

1- أن يكون القضاء بمعنى إصدار الأمر والتشريع. كما في قوله تعالى:

- (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا)³⁷⁵.

- (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ)³⁷⁶.

³⁷⁵ سورة الأحزاب - آية 36.

³⁷⁶ سورة النمل - آية 78.

فهنا يكون معنى قضاء الصوم هو إيجاب والأمر بالصوم.

2- أن يكون القضاء بمعنى الأداء بالاصطلاح الفقهي، وهو الإيجاد والانجاز. كقوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ)³⁷⁷، يعنى إذا أنجزت وتمت الصلاة، فهنا يكون معنى قضاء الصوم هو انجاز وإتمام الصوم سواء كان الصوم في موعده المعين أم كان الصوم في أيام أخرى.

3- أن يكون القضاء بمعنى القضاء بالاصطلاح الفقهي وهو خروج الوقت، فهنا يكون معنى قضاء الصوم هو الصوم خارج الوقت فيما لو حصل موجب الافطار من السفر والمرض بتفصيل سبق، ولكن قد يخطر في البال أن جميع الأوقات والأزمان قابلة لأداء الصوم، فإذا افطر الفرد في بعض الأيام وصام في بعضها، فهنا لا يكون اليوم الذي صامه الفرد بمنزلة القضاء عن اليوم الذي افطره، بل يكون اليوم أداء لتكليف الفر الحالي الأدائي. ومن هنا لا يكون هذا المعنى من الصوم قابلاً للقضاء، بل هو أداء باستمرار. إلا أن يراد بالقضاء معانٍ أدق من الناحية النسبية، كمضاعفة الجهد المبذول من الفرد بعد ارتفاع السبب المانع عن الصوم، فيكون المقدار الزائد من الجهد بمنزلة القضاء لما فات من الصوم، حتى لا يكون فوت الصوم سبباً لبطء السير أو بعد الهدف. هذا أولاً.

وثانياً: أن هذا الجهد الزائد المبذول من الفرد قد يعنى إعطاء الكفارة عن الصوم الفائت فيما سبق، والذي قد يكون الصوم فات نتيجة العمد ليكون هذا سبباً للعفو عن مثل هذا الزلل والهفوة. وهو معنى الكفارة التي تعني تغطية الذنب والتجاوز عن الذنب حتى كأن الذنب لم يكن.

الفقرة (7) في ما يكره للصائم

سؤال: ما هي مسنونات الصوم من مستحبات ومكروهات؟

جواب: مسنونات الصوم أمور:

³⁷⁷ سورة الجمعة آية 10.

- 1- يكره ملامسة النساء وتقبيلها وملاعببتها فيما إذا كان الصائم واثقاً من نفسه من عدم الإنزال. وإن قصد الإنزال كان من قصد المفطر.
- 2- يكره الاكتحال بما يصل طعمه أو رائحته إلى الحلق كالصبر والمسك.
- 3- يكره دخول الحمام فيما إذا خشي الضعف.
- 4- يكره إخراج الدم المضعف.
- 5- يكره السعوط مع عدم العلم بوصوله إلى الحلق، وإن علم بوصول الصعود إلى الحلق فيحرم.
- 6- يكره شم كل نبت طيب الرائحة، بل مطلق الرائحة الطيبة.
- 7- يستحب للصائم الصبر على خلوف فمه، فلا يتمضمض إلا للوضوء أو الغسل، فقد ورد: (إن خلوف فم الصائم عطر عند الله)³⁷⁸.
- 8- يكره بل الثوب على الجسد.
- 9- يكره جلوس المرأة في الماء.
- 10- يكره الحقنة بالجامد.
- 11- يكره قلع الضرس، بل مطلق إدماء الفم.
- 12- يكره السواك بالعود الرطب.
- 13- يكره إنشاد الشعر إلا في مرثي ومدايح الأئمة عليهم السلام، بل مطلق المصالح الدينية.
- 14- ورد في الخبر: (نوم الصائم عبادة)³⁷⁹. وهذا يعني كفاية التعويض بالثواب عما يفوت من خلال النوم من المستحبات، عند الحاجة إلى النوم. وهذا لا يعني أن يعتمد الصائم النوم من أجل

³⁷⁸ لوسائل ج 4 م 7. الباب الأول من أبواب الصوم المنذوب. حديث 16 ص 292.

³⁷⁹ المصدر السابق الباب الثاني من أبواب آداب الصائم. حديث 2. ص 98.

استحباب النوم، ولو لزم من ذلك النوم تفويت المستحبات الأخرى الأهم منه، كقراءة القرآن الكريم أو الأدعية، أو السير في قضاء حاجة المؤمن، أو غيرها من المستحبات.

14- ورد في الخبر: (إذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وعضوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا تغضبوا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تنابزوا ولا تباذوا ولا تظلموا، ولا تسافهوا ولا تراجروا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، والزموا الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر. واجتنبوا قول الزور والكذب والمراء والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة. وكونوا مشرفين على الآخرة، منتظرين لأيامكم. منتظرين لما وعدكم الله، متزودين للقاء الله. وعليكم بالسكينة والوقار، والخشوع والخضوع، وذل العبد الخائف من مولاه، راجين خائفين راغبين راغبين. قد طهرتم القلوب من العيوب وتقدسست سرائركم من الخبث ونظفتم الجسم من القاذورات. تبرأ إلى الله ممن عداه، وواليت الله في صومك بالصمت من جميع الجهات مما قد نهاك الله عنه في السر والعلانية، وخشيت الله حق خشيته في السر والعلانية. ووهبت نفسك لله في أيام صومك وفرغت قلبك له فيما أمرك ودعاك إليه. فإذا فعلت ذلك كله، فأنت صائم بحقيقة صومه صانع لما أمرك. وكلما نقصت منها شيئاً مما بينت لك فقد نقص من صومك بمقدار ذلك. إلى أن قال: إن الصوم ليس من الطعام والشراب. إنما جعل الله ذلك حجاباً مما سواه من الفواحش من الفعل والقول الذي يفطر الصوم. ما اقل الصوم وأكثر الجوع)³⁸⁰.

الفقرة (8) في دعاء دخول شهر رمضان

سؤال: ما هو دعاء دخول شهر رمضان؟

جواب: الدعاء عند دخول شهر رمضان الوارد في الصحيفة السجادية المروية عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام هو قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمِثْلِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ

³⁸⁰ المصدر السابق الباب 11 من أبواب آداب الصائم. حديث 13 ص 119.

عَنَّا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهْرِ، وَشَهْرَ التَّمَحِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُؤَفَّرَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَامًا، وَحَجَرَ فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ إِكْرَامًا، وَجَعَلَ لَهُ وَقْفًا بَيِّنًا لَا يُجِيرُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ، ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاها لَيْلَةَ الْقَدْرِ، تَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ دَائِمٌ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ وَإِجْلَالَ حُرْمَتِهِ وَالْحَفَظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ وَأَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ، وَاسْتِغْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيكَ حَتَّى لَا نُصْغِيَ بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَعْوٍ، وَلَا نُسْرِعُ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ، وَحَتَّى لَا نَبْسُطَ أَيْدِينَا إِلَى مَحْظُورٍ، وَلَا نَخْطُو بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ، وَحَتَّى لَا تَعْيِي بَطُونُنَا إِلَّا مَا أَحَلَّلْتَ، وَلَا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَّلْتَ وَلَا تَنْكَأَفَ إِلَّا مَا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَلَا تَنْعَاطِي إِلَّا الَّذِي يَقِي مِنْ عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِئَاءِ الْمُرَائِينَ وَسُمْعَةِ الْمُسْمِعِينَ، لَا نَشْرِكَ فِيهِ أَحَدًا دُونَكَ، وَلَا نَبْتَغِي فِيهِ مُرَادًا سِوَاكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِفْنَا فِيهِ عَلَى مَوَاقِبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَدْتَ، وَفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ وَوُظَائِفِهَا الَّتِي وَظَفْتَ، وَأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَفْتَ، وَأَنْزَلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا الْخَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَّوْا تَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطَّهْرِ، وَأَسْبَغِهِ وَأَبْيَنِ الْخُشُوعِ وَأَبْلَغِهِ. وَوَقِفْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَأَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالْإِفْضَالِ وَالْعَطِيَّةِ وَأَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّيْبَعَاتِ، وَأَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا وَأَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا وَأَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا حَاشَا مَنْ عُوْدِي فِيكَ وَلَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا تُوَالِيهِ، وَالْحِزْبُ الَّذِي لَا تُصَافِيهِ. وَأَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الزَّكَايَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَعْصِمُنَا فِيهِ مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْغُيُوبِ، حَتَّى لَا يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلَائِكَتِكَ إِلَّا دُونَ مَا نُورِدُ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ، وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ مِنْ مَلَكٍ قَرَّبْنَاهُ أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْنَاهُ أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْنَاهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهْلُنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجَبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَعَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمٍ مَنْ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَجَبِّبْنَا الْإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ وَالْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَالْإِعْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالْإِنْخِدَاعَ لِعِدْوِكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

وَالِهَ وَإِذَا كَانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلَالِي شَهْرِنَا هَذَا رَقَابٌ يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ أَوْ يَهَبُهَا صَفْحُكَ فَاجْعَلْ رَقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرَّقَابِ وَاجْعَلْنَا لَشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ وَأَصْحَابِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَامْحَقْ دُثُوبَنَا مَعَ امْحَاقِ هَلَالِهِ وَاسْلُخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ انْسِلَاخِ أَيَّامِهِ حَتَّى يَنْقُضِي عَنَّا وَقَدْ صَفَّقَيْنَا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَأَخْلَصْنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنْ مِلْنَا فِيهِ فَعَدِلْنَا، وَإِنْ زَغْنَا فِيهِ فَقَوَّمْنَا، وَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَوْفِدْنَا مِنْهُ. اللَّهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى صِيَامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالنَّضَرِ إِلَىكَ وَالْخُشُوعِ لَكَ، وَالذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، وَلَا لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ. اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ كَذَلِكَ مَا عَمَرْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، وَمِنَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ أَوَانٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ، وَأَضْعَافَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْأَضْعَافِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تُرِيدُ³⁸¹.

الفقرة (9) في دعاء وداع شهر رمضان

سؤال: ما هو دعاء وداع شهر رمضان؟

جواب: الدعاء عند وداع شهر رمضان الوارد في الصحيفة السجادية المروية عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام هو قوله: (اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَزْغِبُ فِي الْجَزَاءِ، وَلَا يَنْدُمُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَافِي عَبْدُهُ عَلَيْهِ السَّوَاءِ، مِثْلَكَ ابْتِدَاءً، وَعَفْوُكَ تَفْضُّلٌ، وَعُقُوبَتُكَ عَذْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خَيْرَةٌ، إِنْ أُعْطِيتَ لَمْ تَشِبْ عَطَاءَكَ بِمَنْ، وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنُوعَكَ نَعْدِيَا تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ، وَتُكَافِي مَنْ حَمَدَكَ وَأَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ، تَسْتُرُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ وَتَجُودُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعْتَهُ، وَكِلَاهُمَا أَهْلٌ مِنْكَ لِلْفَضِيحَةِ وَالْمَنْعِ، غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَى التَّفْضِيلِ، وَأَجْرَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَى التَّجَاوُزِ، وَتَلَقَّيْتَ مَنْ عَصَاكَ بِالْجُلْمِ، وَأَمَهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِكَ إِلَى الْإِنَابَةِ وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَلَا يَشْقَى بِنِعْمَتِكَ شَقِيئُهُمْ إِلَّا عَنْ طَوْلِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ تَرَادُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ كَرَمًا مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ،

وَعَائِدَةٌ مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمٌ. أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إِلَى عَفْوِكَ وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لِنَّا يَضِلُّوا عَنْهُ فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ: (ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). فَمَا عَذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ، وَأَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ عَلَى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ ثُرِيْدُ رِبْحُهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَفُوزُ هُمْ بِالْوَفَادَةِ عَلَيْكَ وَالزِّيَادَةِ مِنْكَ فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَيْتَ: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا) وَقُلْتَ: (مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ أَنْبَثَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) وَقُلْتَ: (مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرُضُ اللَّهُ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً) وَمَا أَنْزَلْتَ مِنْ نَظَائِرِ هُنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ. وَأَنْتَ الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غَيْبِكَ وَتَرغِيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلَى مَا لَوْ سَتَرْتَهُ عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ وَلَمْ تَعِهِ أَسْمَاعُهُمْ وَلَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهَامُهُمْ فَقُلْتَ: (ادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ) وَقُلْتَ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) وَقُلْتَ: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فَسَمَّيْتَ دُعَاكَ عِبَادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْبَاراً، وَتَوَعَّدْتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ. فَذَكَّرُوكَ بِمَنْكَ وَشَكَرُوكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلِباً لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ، وَفُوزُ هُمْ بِرِضَاكَ، وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقاً مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مِثْلِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ عِبَادَتُكَ مِنْكَ كَانَ مَوْصُوفاً بِالْإِحْسَانِ وَمَنْعُوتاً بِالْإِمْتِنَانِ وَمَحْمُوداً بِكُلِّ لِسَانٍ، فَالْحَمْدُ مَا وَجَدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ وَمَعْنَى يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ. يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَغَمَّرَهُمْ بِالْمِنَّ وَالطُّوْلِ، مَا أَفْشَى فِينَا نِعَمَتَكَ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِثْنَتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ! هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمِلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَبِيلِكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ وَالْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِكَ. اللَّهُمَّ وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَائِي تِلْكَ الْوُظَائِفِ وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَدْهُورِ، وَأَنْزَلْتَهُ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنُّورِ، وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَرَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَأَجَلَلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. ثُمَّ أَنْزَلْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَفُصْنَا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ، وَأَنْتَ الْمَلِيءُ بِمَا رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُ بِمَا سُئِلْتَ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ

قُرْبِكَ. وَقَدْ أَقَامَ فِيْنَا هَذَا الشَّهْرَ مَقَامَ حَمْدٍ وَصَحْبِنَا صُحْبَةً مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ وَانْقِطَاعِ مَدَّتِهِ وَوَفَاءِ عَدَدِهِ، فَحُنْ مُودَعُوهُ وَدَاعِ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا وَغَمْنَا وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافُهُ عَنَّا وَلَزَمَنَا لَهُ الدِّمَامُ الْمَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرَعِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ. فَحُنْ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ، وَيَا عَيْدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْنُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرَّبَتْ فِيهِ الْأَمَالَ وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينِ جَلٍّ قَدَرُهُ مُوجُودًا، وَأَفْجَعُ فَقْدُهُ مُفْقُودًا، وَمَرْجُوٌّ أَلَمَ فِرَاقُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أَلِيفِ آنَسٍ مُقْبِلًا فَسَرَّ، وَأَوْحَشٍ مُنْقَضِيًا فَمَضَى. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرِ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الدُّنُوبُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ وَصَاحِبِ سَهْلٍ سُبُلِ الْإِحْسَانِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتْقَاءَ اللَّهِ فِيكَ وَمَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلدُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الْأَيَّامُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِهِ الْمُصَاحِبَةِ وَلَا دَمِيمِ الْمَلَابَسَةِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلَتْ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودَّعٍ بَرَمًا وَلَا مَثْرُوكٍ صِيَامُهُ سَامًا. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ قُوْتِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْرَصَنَا بِالْأُمْسِ عَلَيْكَ وَأَشَدَّ شَوْقَنَا غَدَاً إِلَيْكَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى فَضْلِكَ الَّذِي حُرْمَنَاهُ، وَعَلَى مَاضٍ مِنْ بَرَكَاتِكَ سَلْبْنَاهُ. اللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ وَوَقَعْتَنَا بِمَنَّاكَ لَهُ حِينَ جَهَلَ الْأَشْقِيَاءُ وَقْتُهُ وَحَرَّمُوا لِشِقَائِهِمْ فَضْلَهُ، أَنْتَ وَلِيٌّ مَا اثَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ عَلَى تَقْصِيرٍ، وَأَدَيْنَا فِيهِ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ. اللَّهُمَّ فَالْحَمْدُ إِفْرَارًا بِالْإِسَاءَةِ وَاعْتِرَافًا بِالْإِضَاعَةِ، وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عَفْدُ النَّدَمِ، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الْاعْتِدَارِ، فَأَجْرُنَا عَلَى مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ أَجْرًا نَسْتَدْرِكُ بِهِ الْفَضْلَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ، وَنَعْتَاضُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ عَلَيْهِ، وَأَوْجِبُ لَنَا غُذْرَكَ عَلَى مَا قَصَرْنَا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ. وَابْلُغْ بِأَعْمَارِنَا مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا بَلَغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا عَلَى تَنَاوُلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَأَدِّنَا إِلَى الْقِيَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَأَجْرِ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكًا لِحَقِّكَ فِي الشَّهْرَيْنِ مِنْ شُهُورِ الدَّهْرِ. اللَّهُمَّ وَمَا أَلَمْنَا بِهِ فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمَمٍ أَوْ إِثْمٍ، أَوْ أَقَعْنَا فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ وَاکْتَسَبْنَا فِيهِ مِنْ خَطِيئَةٍ عَلَى تَعَمُّدٍ مِنَّا أَوْ انْتَهَكْنَا بِهِ حُرْمَةً مِنْ غَيْرِنَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ، وَاعْفُ عَنَّا بِعَفْوِكَ، وَلَا تَنْصِبْنَا فِيهِ لِأَعْيُنِ السَّامِعِينَ، وَلَا تَبْسُطْ عَلَيْنَا فِيهِ أَلْسُنَ الطَّاعِغِينَ، وَاسْتَعْمَلْنَا بِمَا يَكُونُ حِطَّةً وَكَفَّارَةً لِمَا أَنْكَرْتَ مِنَّا فِيهِ بِرَأْفَتِكَ الَّتِي لَا تَنْفَدُ، وَفَضْلِكَ الَّذِي لَا يَنْقُصُ. اللَّهُمَّ صَلِّ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا وَبَارِكْ فِي يَوْمِ عِيدِنَا وَفِطْرِنَا وَاجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ
 عَلَيْنَا أَجْلِيهِ لِعَفْوٍ، وَأَمْحَاهُ لِدَنْبٍ، وَاعْفُزْ لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا عَلَنَ. اللَّهُمَّ اسْلُخْنَا بِإِسْلَاخِ هَذَا
 الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا وَأَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ وَأَجْزَلِهِمْ قِسْمًا فِيهِ
 وَأَوْفَرِهِمْ حَظًّا مِنْهُ. اللَّهُمَّ وَمَنْ رَعَى حَقَّ هَذَا الشَّهْرِ حَقَّ رِعَايَتِهِ وَحَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا وَقَامَ
 بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَأَتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تَقَاتِهَا أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبَةٍ أَوْجَبَتْ رِضَاكَ لَهُ وَعَطَفَتْ
 رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وَجْدِكَ وَأَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّ فَضْلَكَ، لَا يَغِيضُ وَإِنَّ
 خَزَائِنَكَ لَا تَنْقُصُ، بَلْ تَفِيضُ وَإِنَّ مَعَادِينَ إِحْسَانِكَ لَا تَقْنَى، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لِلْعَطَاءِ الْمُهِتَأً. اللَّهُمَّ صَلِّ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أَجُورِ مَنْ صَامَهُ أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ
 إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيدًا وَسُرُورًا. وَلِأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعًا وَمُحْتَشِدًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ
 أَدْنَبْنَاهُ، أَوْ سُوءِ أَسْلَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرِ شَرٍّ أَضْمَرْنَاهُ، تَوْبَةً مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوعٍ إِلَى ذَنْبٍ وَلَا
 يَعُودُ بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ، تَوْبَةً نَصُوحًا خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالْارْتِيَابِ، فَتَقَبَّلَهَا مِنَّا وَارْضَ عَنَّا وَتُبِّتْنَا
 عَلَيْهَا. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ حَتَّى نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ، وَكَأَبَةَ
 مَا نَسْتَجِيرُكَ مِنْهُ، وَاجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ التَّوَّابِينَ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ لَهُمْ مَحَبَّتُكَ، وَقَبِلْتَ مِنْهُمْ مُرَاجَعَةَ
 طَاعَتِكَ، يَا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ. اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَهْلِ دِينِنَا جَمِيعًا مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَمَنْ
 غَبَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَآلِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ. وَصَلِّ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى عِبَادِكَ
 الصَّالِحِينَ، وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، صَلَاةً تَبْلُغُنَا بَرَكَتُهَا، وَيُنَالُنَا نَفْعُهَا، وَيُسْتَجَابُ لَنَا
 دَعَاؤُنَا، إِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ وَأَكْفَى مَنْ تُوكِّلَ عَلَيْهِ وَأَعْطَى مَنْ سُئِلَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ (382).

الفقرة (10) في بعض أدعية السحر

سؤال: ما هي أدعية السحر في شهر رمضان ؟.

جواب: أدعية السحر كثيرة، ومنها ثلاثة أدعية:

1- دعاء البهاء المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: (اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ بَهَائِكَ بِإِبْهَائِهِ وَكُلِّ بَهَائِكَ بِهَيْئٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِبَهَائِكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ بِاجْمَلِهِ وَكُلِّ جَمَالِكَ جَمِيلٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِجَمَالِكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَلَالِكَ بِاجْلَالِهِ وَكُلِّ جَلَالِكَ جَلِيلٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِجَلَالِكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِاعْظَمِهَا وَكُلِّ عَظَمَتِكَ عَظِيمَةً، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِعَظَمَتِكَ كُلِّهَا. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نُورِكَ بِأَنْوَرِهِ وَكُلِّ نُورِكَ نَوِيرٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ رَحْمَتِكَ بِأَوْسَعِهَا وَكُلِّ رَحْمَتِكَ وَاسِعَةً، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ كُلِّهَا. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَلِمَاتِكَ بِأَتَمِّهَا وَكُلِّ كَلِمَاتِكَ تَامَةً، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِكَلِمَاتِكَ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَمَالِكَ بِأَكْمَلِهِ وَكُلِّ كَمَالِكَ كَامِلٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِكَمَالِكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ أَسْمَانِكَ بِأَكْبَرِهَا وَكُلِّ أَسْمَانِكَ كَبِيرَةٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَانِكَ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عِزَّتِكَ بِأَعَزِّهَا وَكُلِّ عِزَّتِكَ عَزِيزَةٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ كُلِّهَا. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مَشِيَّتِكَ بِأَمْضَاهَا وَكُلِّ مَشِيَّتِكَ مَاضِيَةً، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمَشِيَّتِكَ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ قُدْرَتِكَ بِأَلْفُودَةٍ الَّتِي اسْتَطَلَّتْ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ قُدْرَتِكَ مُسْتَطِيلَةً، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ كُلِّهَا. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عِلْمِكَ بِأَنْفَذِهِ وَكُلِّ عِلْمِكَ نَافِذٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ قَوْلِكَ بِأَرْضَاهُ وَكُلِّ قَوْلِكَ رَاضِيٍّ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِقَوْلِكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مَسَائِلِكَ بِأَحَبِّهَا إِلَيْكَ وَكُلِّ مَسَائِلِكَ إِلَيْكَ حَبِيبَةٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمَسَائِلِكَ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ شَرَفِكَ بِأَشْرَفِهِ وَكُلِّ شَرَفِكَ شَرِيفٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِشَرَفِكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ سُلْطَانِكَ بِأَدْوَمِهِ وَكُلِّ سُلْطَانِكَ دَائِمٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِسُلْطَانِكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ وَكُلِّ مُلْكِكَ فَاحِشٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمُلْكِكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ غُلُوكَ بِأَعْلَاهُ وَكُلِّ غُلُوكَ عَالٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِغُلُوكَ كُلِّهِ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مَتِّكَ بِأَقْدَمِهِ وَكُلِّ مَتِّكَ قَدِيمٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمَتِّكَ كُلِّهِ. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ آيَاتِكَ بِأَكْرَمِهَا وَكُلِّ آيَاتِكَ كَرِيمَةٍ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِآيَاتِكَ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الشَّانِ وَالْجَبَرُوتِ، وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَأْنٍ وَخَدْمَةِ جَبَرُوتٍ وَخَدَمِهَا. اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا تُجِيبُنِي بِهِ حِينَ أَسْأَلُكَ فَاجِئْنِي يَا اللَّهُ)³⁸³.

2- (يَا مَفْرَعِي عِنْدَ كُرْبَتِي، وَيَا غَوْثِي عِنْدَ شِدَّتِي إِلَيْكَ فَرَعْتُ، وَبِكَ اسْتَعْنَيْتُ، وَبِكَ لُذْتُ لَا الْوَدُ بِسِوَاكَ وَلَا أَطْلُبُ الْفَرَجَ إِلَّا مِنْكَ، فَاعْثُنِي وَفَرِّجْ عَنِّي، يَا مَنْ يَقْبَلُ الْيَسِيرَ، وَيَعْفُو عَنِ الْكَثِيرِ، أَقْبَلْ مِنِّي الْيَسِيرَ وَاعْفُ عَنِّي الْكَثِيرَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا تُبَاشِرُهُ قَلْبِي، وَيَقِينًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصَيِّبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضْنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. يَا عُدَّتِي فِي كُرْبَتِي، وَيَا صَاحِبِي فِي شِدَّتِي، وَيَا وَلِيَّيَ فِي نِعْمَتِي، وَيَا غَايَتِي فِي

رَغَبْتِي، أَنْتَ السَّاتِرُ عَوْرَتِي، وَالْأَمِنْ رَوْعَتِي، وَالْمَقِيلُ عَثْرَتِي، فَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَا اِرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (384).

3- (سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ جَوَارِحَ الْقُلُوبِ، سُبْحَانَ مَنْ يُخْصِي عَدَدَ الذُّنُوبِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ، سُبْحَانَ الرَّبِّ الْوَدُودِ، سُبْحَانَ الْفَرْدِ الْوَحِيدِ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْتَدِي عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يُؤَاخِذُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِأَلْوَانِ الْعَذَابِ، سُبْحَانَ الْخَنَّانِ الْمَنَّانِ، سُبْحَانَ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، سُبْحَانَ الْجَبَّارِ الْجَوَادِ، سُبْحَانَ الْكَرِيمِ الْخَلِيمِ، سُبْحَانَ الْبَصِيرِ الْعَلِيمِ، سُبْحَانَ الْبَصِيرِ الْوَاسِعِ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَلَى أَقْبَالِ النَّهَارِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَلَى ادْبَارِ النَّهَارِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَلَى ادْبَارِ اللَّيْلِ وَأَقْبَالِ النَّهَارِ. وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالْعِزَّةُ وَالْكَرِيَامَةُ مَعَ كُلِّ نَفْسٍ، وَكُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَكُلِّ لَمَحَةٍ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ سُبْحَانُكَ، مَلَأَ مَا اخْصَى كِتَابُكَ، سُبْحَانَكَ زِينَةُ عَرْشِكَ، سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ (385).

الفقرة (11) بعض أدعية النهار

سؤال: ما هي أدعية النهار في شهر رمضان؟.

جواب: فقرات عشرة كل فقرة تحتوي على عشر تسبيحات أو على أحد عشر تسبيحة، فيكون المجموع أكثر من مئة تسبيحة، وفي هذه التسبيحات تطبيقات قرآنية، فهنا أمران:

الأمر الأول: التسبيحات، وفيه عشرة تسبيحات:

(1) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمُصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى، وَمَا لَا يُرَى سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمِيعِ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ اسْمَعَهُ مِنْهُ، يَسْمَعُ مَنْ فَوْقَ عَرْشِهِ مَا تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ، وَيَسْمَعُ مَا فِي ظُلُمَاتِ

384 المصدر السابق ص 201.

385 المصدر السابق ص 201 - 202.

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَيَسْمَعُ الْإِنِّينَ وَالشَّكْوَى وَيَسْمَعُ السِّرَّ وَآخْفَى، وَيَسْمَعُ وَسَاوِسَ الصُّدُورِ (وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْإِعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ) وَلَا يُصِمُّ سَمْعُهُ صَوْتًا.

(2) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الْبَصِيرِ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ ابْصَرَ مِنْهُ، يُبْصِرُ مَنْ فَوْقَ عَرْشِهِ مَا تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ، وَيُبْصِرُ مَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، لَا تَغْشَى بَصَرَهُ الظُّلُمَةُ، وَلَا يُسْتَتَرُ مِنْهُ بِسِتْرٍ، وَلَا يُوَارِي مِنْهُ جِدَارٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ بَرٌّ وَلَا بَحْرٌ، وَلَا يَكُنُّ مِنْهُ جَبَلٌ مَا فِي أَصْلِهِ، وَلَا قَلْبٌ مَا فِيهِ، وَلَا جَنْبٌ مَا فِي قَلْبِهِ، وَلَا يَسْتَتِرُ مِنْهُ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا يَسْتَخْفِي مِنْهُ صَغِيرٌ لِصِغَرِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

(3) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى، وَمَا لَا يُرَى سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَيُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، وَيُنْزِلُ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ بِكَلِمَتِهِ وَيُنْبِتُ النَّبَاتَ بِقُدْرَتِهِ، وَيَسْقُطُ الْوَرَقُ بِعِلْمِهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا اصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا اكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

(4) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى، وَمَا لَا يُرَى سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَعْلَمُ مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، وَيَقْرَأُ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

(5) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ أَنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(6) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

(7) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُحْصِي مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يَجْزِي بِآلَائِهِ الشَّاكِرُونَ الْعَابِدُونَ، وَهُوَ كَمَا قَالَ وَفَوْقَ مَا نَقُولُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا اتَّنى عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

(8) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَلَا يَشْغَلُهُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا عَمَّا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَلَا يَشْغَلُهُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا عَمَّا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا. وَلَا يَشْغَلُهُ عِلْمُ شَيْءٍ عَنْ عِلْمِ شَيْءٍ وَلَا يَشْغَلُهُ خَلْقُ شَيْءٍ عَنْ خَلْقِ شَيْءٍ، وَلَا حِفْظُ شَيْءٍ عَنْ حِفْظِ شَيْءٍ وَلَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ وَلَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

(9) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمُصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

(10) سُبْحَانَ اللَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْمُصَوِّرِ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، سُبْحَانَ اللَّهِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِيْمًا كَانُوا، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ³⁸⁶.

الأمر الثاني: تطبيق التسيبحات على آيات القرآن، وفيه تسعة تطبيقات:

1- (سبحان الله باري النسم) في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)³⁸⁷.

2- (سبحان الله المصور). في نفس الآية الكريمة.

3- (سبحان الله خالق الأزواج كلها) في قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)³⁸⁸.

4- (سبحان الله جاعل الظلمات والنور)، من قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)³⁸⁹.

³⁸⁶ مصباح المتجهد. ص 426.

³⁸⁷ سورة الحشر - آية 24.

³⁸⁸ سورة يس - آية 36.

³⁸⁹ سورة الأنعام - آية 1.

5- (سبحان الله فائق الحب والنوى)، في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ)³⁹⁰.

6- (سبحان الله خالق كل شيء): من قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)³⁹¹. أو قوله تعالى: (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ)³⁹².

7- (سبحان الله خالق ما يرى وما لا يرى). ينطبق عليها قوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ) ... إلى قوله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)³⁹³.

8- (سبحان الله مداد كلماته) من قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)³⁹⁴.

9- (سبحان الله رب العالمين). من قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)³⁹⁵. وقد تكرر هذا النص في القرآن الكريم خمس مرات³⁹⁶.

الفقرة (12) في بعض ما ينبغي عمله في ليالي القدر

سؤال: ما هي مستحبات ليلة القدر ؟

جواب: ليلة القدر هي ليلة واحدة من الناحية الواقعة إلا أنها ليلة مشتبهة في ليلتين أو ثلاث ليالي، فيقتضي هذا التعدد تكرار العمل من باب إحراز الواقع على أي حال. وأما أعمال ليلة القدر

³⁹⁰ سورة الأنعام - آية 95.

³⁹¹ سورة الرعد - آية 16.

³⁹² سورة غافر - آية 62.

³⁹³ سورة النحل - الآيات 4 - 8.

³⁹⁴ سورة الكهف - آية 109.

³⁹⁵ سورة الفاتحة - آية 2.

³⁹⁶ المرات الخمس: 1- سورة الأنعام آية 6. 2- سورة يونس آية 10. 3- سورة الصافات آية 182. 4- سورة غافر آية 65. 5- سورة الزمر آية 75.

فمضافاً إلى الأعمال الأخرى التي تتكرر كل ليلة، ومضاف إلى نافلة رمضان ألف ركعة في الشهر كله فيستحب في ليلة القدر أمور، ومنها أحد عشر أمراً:

1- الغسل، والأفضل جعل هذا الغسل بعد الغروب مباشرة لكي تقع صلاة الفريضة في تلك الليلة بهذا الغسل.

2- ركعتان من الصلاة في كل ركعة بعد سورة الحمد سبع مرات سورة التوحيد. ويقول بعد الفراغ من الصلاة سبعين مرة: (استغفر الله وأتوب إليه).

3- زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام عن قرب، فإن لم يتيسر القرب فزيارته عليه السلام عن بعد.

4- الإحياء، وهو السهر من الغروب إلى الفجر.

5- الصلاة مئة ركعة بعنوان نافلة ليلة القدر. والأفضل أن تقرأ بعد سورة الحمد عشر مرات سورة التوحيد.

سادساً: الدعاء بما يسمى بدعاء القرآن. وهو أن يفتح المصحف أمامه ويقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكِتَابِكَ وَمَا فِيهِ وَفِيهِ اسْمُكَ الْكَبِيرُ وَأَسْمَاؤُكَ الْحُسْنَى، وَمَا يُخَافُ وَيُرْجَى أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ عَتَقَانِكَ مِنَ النَّارِ. ويطلب حاجته)³⁹⁷.

وفي هذا الدعاء قال المصنف قدس بأن هناك من يتفاعل لدى فتح المصحف بهذا الدعاء، فينظر إلى الآية الأولى من الصفحة اليمنى من المصحف، ومثاله من طريف المسموع أن شخصاً خرجت له هذه الآية: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)³⁹⁸. هذا أولاً.

وثانياً: أن لا يحاول الفرد أن يغلق المصحف قبل أن يتم الطلب.

7- الدعاء بما يسمى بدعاء القرآن أيضاً، وهو أن يجعل المصحف الشريف على رأسه ويقول: (اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذَا الْقُرْآنِ، وَبِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ بِهِ، وَبِحَقِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَدَحْتَهُ فِيهِ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِمْ، فَلَا أَحَدَ

³⁹⁷ مفاتيح الجنان ص 225.

³⁹⁸ سورة القصص - آية 20.

اعْرِفْ بِحَقِّكَ مِنْكَ ثُمَّ يَقُولُ عَشْرًا: بِكَ يَا اللَّهُ وَعَشْرًا: بِمُحَمَّدٍ وَعَشْرًا: بِعَلِيٍّ وَعَشْرًا: بِفَاطِمَةَ وَعَشْرًا: بِالْحَسَنِ وَعَشْرًا: بِالْحُسَيْنِ وَعَشْرًا: بِعَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَشْرًا: بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَشْرًا: بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعَشْرًا: بِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَعَشْرًا: بِعَلِيٍّ بْنِ مُوسَى وَعَشْرًا: بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَشْرًا: بِعَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعَشْرًا: بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَشْرًا: بِالْحُجَّةِ. ثم يطلب حاجته (399).

وفي هذه الكيفية ليحاول الفرد أن لا ينزل القرآن الكريم عن رأسه قبل إتمام طلب الحاجة. كما انه في الدعاء السابق.

8- أن يقول: اللَّهُمَّ آتِي أَمْسِيْتُ لَكَ عَبْدًا دَاخِرًا لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا اصْرِفْ عَنْهَا سُوءًا، أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ لَكَ بِضَعْفِ قُوَّتِي، وَقَلَّةِ حِيلَتِي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَانْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَاثْمِمْ عَلَيَّ مَا آتَيْتَنِي فَإِنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكَينُ الضَّعِيفُ الْفَقِيرُ الْمَهِينُ. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي نَاسِيًا لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلَا لِإِحْسَانِكَ فِيمَا اعْطَيْتَنِي، وَلَا آيِسًا مِنْ أَجَابَتِكَ وَإِنْ أَبْطَأَتْ عَنِّي، فِي سَرَّاءٍ أَوْ ضَرَّاءٍ، أَوْ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ، أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ بَلَاءٍ، أَوْ بُؤْسٍ أَوْ نِعْمَاءٍ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (400).

9- دعاء الجوشن الكبير، وهو دعاء مطول يحتوي على مئة فقرة، تحوي كل فقرة عشرة أسماء من الأسماء الحسنی ونحوها. فيكون مجموع هذه الأسماء ألف اسم من أسماء الله سبحانه، ومثالها:

- بعض الأسماء مفرد كقولنا: يا رحيم.

- بعض الأسماء مركب كقولنا: يا خير الغافرين.

والنتيجة من ذكر جميع هذه الأسماء هو طلب النجاة من النار.

10- الاستغفار للنفس وللوالدين ولعموم المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

11- قراءة بعض سور القرآن الكريم، ومثاله:

399 مفاتيح الجنان ص 225.

400 المصدر السابق ص 225 - 226.

- سورة العنكبوت.

- سورة الروم.

- سورة الدخان.

- سورة الكهف.

الفقرة (13) دعاء العشر الأواخر

سؤال: ما هو دعاء آخر عشرة أيام من شهر رمضان المبارك؟.

جواب: يستحب قراءة دعاء في كل ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وهي التي تبدأ بليلة إحدى وعشرين إلى آخر الشهر، وهو:

(اللَّهُمَّ أَنْتَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ الْمُنْزَلِ: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) فَعَظُمَتْ حُرْمَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَخَصَّصَتْهُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَجَعَلَتْهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. اللَّهُمَّ وَهَذِهِ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ قَدْ انْقَضَتْ، وَلِيَالِيهِ قَدْ تَصَرَّمْتُ، وَقَدْ صِرْتُ يَا إِلَهِي مِنْهُ إِلَى مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي وَأَحْصَى لِعَدَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. فَاسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ بِهِ مَلَائِكَتُكَ الْمُقَرَّبُونَ وَانْبِيَائُكَ الْمُرْسَلُونَ، وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُفَكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَتُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ، وَأَنْ تَنْقُضَ عَلَيَّ بَعْفُوكَ وَكَرَمُكَ وَتَقَبَّلَ تَقَرُّبِي وَتَسْتَجِيبَ دُعَائِي وَتَمُنَّ عَلَيَّ بِالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ مِنْ كُلِّ هَوْلٍ أَعْدَدْتَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. إِلَهِي وَاعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَبِجَلَالِكَ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْقُضِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَلِيَالِيهِ وَلَكَ قِبَلِي تَبِعَةٌ أَوْ دَنْبٌ تُؤَاخِذُنِي بِهِ أَوْ خَطِيئَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُفَقِّصَهَا مِنِّي لَمْ تَغْفِرْهَا لِي سَيِّدِي سَيِّدِي أَسْأَلُكَ يَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَذْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّي فِي هَذَا الشَّهْرِ فَأَزِدْ عَنِّي رِضًا، وَأَنْ لَمْ تَكُنْ

رَضَيْتَ عَنِّي فَمِنْ الْآنَ فَارْضَ عَنِّي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا اللَّهُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ⁴⁰¹.

هذا ويكثر الفرد من قول: (يَا مُلَيِّنَ الْحَدِيدِ لِداوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَا كَاشِفَ الضَّرِّ وَالْكَرْبِ الْعِظَامِ عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَا مُفَرِّجَ هَمِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، يَا مُنْقِصَ غَمِّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَا تَفْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ)⁴⁰².

الفقرة (14) الدعاء يوم عيد الفطر

سؤال: ما هو دعاء يوم عيد الفطر؟

جواب: هذا الدعاء مأخوذ من الصحيفة السجادية المباركة، ويمكن قراءته أيضاً في أيام الجمعة، وهو قول الإمام السجاد عليه السلام:

(يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ. وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا تُقْبَلُهُ الْبِلَادُ. وَيَا مَنْ لَا يَحْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. وَيَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ الْمَلِجِينَ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ لَا يَجْبَهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَةِ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ يَجَنَّبِي صَغِيرَ مَا يُثَخَّفُ بِهِ، وَيَشْكُرُ يَسِيرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ. وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَيُجَازِي بِالْجَلِيلِ، وَيَا مَنْ يَدْعُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ وَيَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لَا يُغَيِّرُ النِّعَمَةَ، وَلَا يُبَادِرُ بِالنَّقْمَةِ، وَيَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنْمِيَهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعْفِيَهَا. انصَرَفْتَ الْأَمَالَ دُونَ مَدَى كَرَمِكَ بِالْحَاجَاتِ وَامْتَلَأْتَ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَهُ الطَّلِبَاتِ، وَتَفَسَّخْتَ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِكَ الصِّفَاتِ، فَلَاكَ الْعُلُوُّ الْأَعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ، وَالْجَلَالُ الْأَمَجْدُ فَوْقَ كُلِّ جَلَالٍ، كُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ، وَكُلُّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ حَقِيرٌ. خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَضَاعَ الْمُلْمُونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنتَجِعُونَ إِلَّا مَنْ انْتَجَعَ فَضْلَكَ، بِأَبْكَ مَفْخُوحٌ لِلرَّاغِبِينَ، وَجُودُكَ مُبَاحٌ لِلْسَّائِلِينَ، وَإِغَائِنُكَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُسْتَغْنِيَيْنِ، لَا يَخِيبُ مِنْكَ الْأَمْلُونُ، وَلَا يَيْئَسُ مِنْ عَطَائِكَ الْمُتَعَرِّضُونَ، وَلَا يَشْقَى بِنَقْمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ. رَزَقَكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ، وَجَلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ، عَادَتُكَ

⁴⁰¹ (1) نفس المصدر السابق ص 227.

⁴⁰² (2) نفس المصدر ص 228.

الإحسانُ إِلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُكَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّهُمْ أَنَّكَ عَنِ الرَّجُوعِ، وَصَدَّهُمْ إِمْهَالُكَ عَنِ النَّزْوَعِ. وَإِنَّمَا تَأْتَيْتَ بِهِمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ خَتَمَتْ لَهُ بِهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ خَذَلَتْهُ لَهَا، كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى حُكْمِكَ وَأُمُورُهُمْ أَيْلَةٌ إِلَى أَمْرِكَ، لَمْ يَهِنْ عَلَى طُولِ مُدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ وَلَمْ يَدْحَضْ لِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بُرْهَانُكَ. حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ لَا تُدْحَضُ، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ، فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَنَحَ عَنْكَ، وَالْخَيْبَةُ الْخَازِلَةُ لِمَنْ خَابَ مِنْكَ، وَالشَّقَاءُ الْإِشْقَى لِمَنْ اغْتَرَّ بِكَ. مَا أَكْثَرَ تَصَرُّفَهُ فِي عَذَابِكَ، وَمَا أَطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِي عِقَابِكَ، وَمَا أَبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الْفَرَجِ، وَمَا أَقْنَطَهُ مِنْ سُهُولَةِ الْمَخْرَجِ عَدَلًا مِنْ قَضَائِكَ لَا تَجُورُ فِيهِ، وَإِنْصَافًا مِنْ حُكْمِكَ لَا تَحِيْفُ عَلَيْهِ، فَقَدْ ظَاهَرَتْ الْحُجَجُ، وَأَبْلَيْتِ الْإِعْذَارُ، وَقَدْ تَقَدَّمْتَ بِالْوَعِيدِ وَتَلَطَّفْتَ فِي التَّرْغِيبِ، وَضَرَبْتَ الْأَمْثَالَ، وَأَطَلْتَ الْأَمْهَالَ، وَأَخَرْتَ وَأَنْتَ مُسْتَطِيعٌ لِلْمُعَاجَلَةِ، وَتَأَنَّنَيْتِ وَأَنْتَ مَلِيٌّ بِالْمُبَادَرَةِ. لَمْ تَكُنْ أَنَّكَ عَجْزًا، وَلَا إِمْهَالُكَ وَهْنًا، وَلَا إِمْسَاكَكَ غَفْلَةً، وَلَا انْتِظَارُكَ مُدَارَةً، بَلْ لِتَكُونَ حُجَّتُكَ أَبْلَغَ، وَكَرَمُكَ أَكْمَلَ، وَإِحْسَانُكَ أَوْفَى وَنِعْمَتُكَ أَتَمَّ. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ تَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا تَزَالُ، حُجَّتُكَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تَوْصَفَ بِكُلِّهَا، وَمَجْدُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ بِكُنْهِهِ، وَنِعْمَتُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى بِأَسْرِهَا، وَإِحْسَانُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ عَلَى أَقْلِهِ. وَقَدْ قَصَّرَ بِي السُّكُوتُ عَنْ تَحْمِيدِكَ، وَفَهَّيْتُ الْإِمْسَاكَ عَنْ تَمْجِيدِكَ، وَقُصَّارَايَ الْإِفْرَارُ بِالْحُسُورِ لَا رَغْبَةً. يَا إِلَهِي- بَلْ عَجْزًا. فَهَذَا أَنَا ذَا أَوْمُكَ بِالْوَفَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الرَّفَادَةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْمَعْ نَجْوَايَ، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي وَلَا تَخْتِمِ يَوْمِي بِخَيْبَتِي، وَلَا تَجْبِهْنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي، وَآكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ مُنْصَرَفِي وَإِلَيْكَ مُنْقَلِبِي، إِنَّكَ غَيْرُ ضَائِقٍ بِمَا تُرِيدُ وَلَا عَاجِزٌ عَمَّا تُسْأَلُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ (403).

الفقرة (15) في كفارة الصوم

سؤال: ما معنى كفارة الصوم؟

جواب: قبل بيان معاني الكفارة لابد من معرفة أمرين:

الأول: أن موجب الكفارة هو أن الكفارة تجب على من يكون مفطراً في وقت وجوب الصوم عليه.

والثاني: أن هناك أقساماً للصوم وللإفطار من عدة حيثيات، ومنها:

- الصوم على قسمين:

1- الصوم الواجب.

2- الصوم المستحب.

- الإفطار على ثلاثة أقسام:

1- الإفطار عن علم وعمد.

2- الإفطار عن مرض.

3- الإفطار عن سفر.

فإذا ضربنا القسمين الأولين من الصوم في الثلاث أقسام من الإفطار كان الحاصل ستة أقسام، وهي عبارة عن ستة أقسام من ترك الصوم التي جعلت الشريعة الظاهرية على اثنين من هذه الأقسام كفارة وترك الشريعة البواقي من الأقسام. ومن هذه الأقسام:

القسم الأول: ترك الصوم الواجب عن علم وعمد، فهذا القسم هو الحرام من الناحيتين الواقعية والظاهرية، وترك الصوم هنا جريمة كبيرة تتبعها كفارة كبرى بحسب مصطلح الفقه، وهذه الكفارة أكبر من فدية الإفطار حال المرض. وقبل الاستمرار في بيان باقي الأقسام لابد من ذكر المعاني المحتملة للكفارة، وذلك باعتبار أن هذا القسم هو النموذج الأمثل لصدق وانطباق هذه الكفارة، فهنا معان ستة:

1- إن الكفارة بمنزلة العقوبة للفرد على الإفطار المحرم، وأن الفرد بعد أن ينال عقابه لا تبقى على هذا الفرد مسؤولية أخرى محتملة، فهنا تكون الكفارة موجبة لغفران الذنب الوارد على الفرد.

2- إن الكفارة عقوبة للفرد معجلة في الدنيا، مضافاً إلى العقوبة المؤجلة في الآخرة، فهنا تكون الكفارة مأخوذة بصفاتها رمزاً عن ذلك العقاب الأخروي، ولا يمكن لهذه الكفارة أن تتسبب إلى إزالة ذلك العقاب.

3- إن الكفارة عقوبة للفرد معجلة في الدنيا، فهنا تكون الكفارة مأخوذة بصفاتها الرمزية وبصفة اعتبار بعض الذنوب تكون من الأهمية والفخامة بحيث تستتبع هذه الذنوب استحقاق التعجيل بالعقاب الدنيوي فضلاً عن العقاب الأخروي المؤجل.

4- إن الكفارة نحو من الاستغفار عما وقع من ذنب الإفطار، وليست الكفارة شكلاً من أشكال العقوبة، وإذا حصل الاستغفار بدفع وانجاز الكفارة، فهنا حصل استحقاق الغفران.

5- إن الكفارة شكل من أشكال التعويض عما يفوت بالإفطار من الأهداف المعنوية أو عما يفوت من مقدمات إيجاد هذه الأهداف، فهنا تكون الكفارة سبباً للوصول مجدداً إلى الهدف بعد التأخير والتفريط.

6- إن الكفارة شكل من أشكال التعويض أو المقابلة الاختيارية من قبل الفرد بسبب ما قد فات الفرد من الصوم. ومثاله: لو كان هناك شخص قد تزوج صديق له، فيكون من واجب هذا الشخص أن يهدي إلى الصديق المتزوج شيئاً بهذه المناسبة المفرحة. ولكن هذا الشخص لم يقدم الهدية إلى مدة سنة أو أكثر من سنة، حتى تأذى صديقه واحتمل الصديق إهمال أو احتقار هذا الشخص له. ومن هنا أصبح من اللازم على هذا الصديق أن يدفع هدية أكبر لما فاتته من التأخير والتأجيل.

وهذا المعنى للكفارة يفسر لنا ضخامة الكفارة بإزاء ما فات من الأداء فبينما يكون الفائت من الصوم يوماً واحداً، فتكون كفارة هذا الصوم صيام شهرين متتابعين، أي ما يعادل ستين ضعفاً، وهذا الضعف له عدة أسباب، ومن هذه الأسباب سبب فوات وقت الصوم الذي له أهمية من الناحيتين الظاهرية والمعنوية، فإذا فات الوقت فقد فات الهدف، وذلك لأن انجاز العمل في مرحلته المعينة يعتبر هو المنتج الحقيقي. وأما إذا أردنا الحصول على نفس الهدف في خارج الوقت من باب التعويض أو باب المقابلة، فهنا احتجنا إلى أضعاف ذلك العمل من أجل الوصول إلى نفس الهدف. ولا يمكن للهدف أن يحصل عندئذ بسهولة وسرعة، وخاصة مع كون حال الفرد معانداً ومتعمداً للإفطار، فهنا يحتاج إزالة أثر هذا الإفطار إلى عمل مضاعف.

وقد يثار سؤال حاصله أن وجوب مثل هذه الكفارة المضاعفة يتنافى مع سهولة الشريعة وقدرة المكلف على تطبيق مثل هذه الكفارة الصعبة، كما نطقت بذلك الأخبار والآيات، ومنها:

- قول النبي صلى الله عليه وآله: (جنتكم بالشرعية السهلة السمحة)⁴⁰⁴.

- قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)⁴⁰⁵.

وجواب ذلك السؤال يكون على مستويات أربعة:

1- إن سبب تشريع العقوبات هو ما أجل ردع الأفراد عن اقتراف الجرائم, وذلك لأن الفرد عندما يهمل بالجريمة فإنه سيتدكر العقاب ويترك العصيان الموجب لتذكر الثواب والطاعة, فهنا يكون السبب الاساسي في تشريع العقوبة هو من أجل كثرة الطاعة, وليس لكثرة إيقاع العقوبة.

2- إن نظرة الشريعة إلى العاصي المعاند ليست نظرة الرحمة, وإنما ينبغي أن يحمل العاصي على اشق الأحوال وأسوأ الاحتمالات الداعية إلى العقوبة.

3- إن الفدية والكفارة ونحوها من أنواع العقوبات المأخوذ فيها صفة التعويض أو صفة المقابلة لا يمكنها أن توصل إلى الهدف المطلوب إلا إذا كانت بهذه الضخامة والشدة من العقوبة.

4- إن الكفارة عن الإفطار متدرجة من الناحية الفقهية في درجة الأهمية وفقاً لخصال وفقرات الكفارة, بمعنى أن الإنسان إن عجز عن بعض هذه الخصال انتقل إلى خصلة وفقرة أخرى تتناسب مع الوصول إلى الهدف في ظروف هذا العجز, بل حتى لو عجز الفرد عن جميع الخصال والفقرات المشروعة في الفدية فستسقط هذه الخصال, ويكتفي الفرد بالاستغفار والتوبة الذي يكون مقدوراً للمكلف من الناحية المادية والمعنوية.

القسم الثاني: الإفطار في المرض فيما إذا لم يكن عن علم وعمد وعناد, فهنا ورد انه يجب الأخذ بالترخيصات الشرعية من القصر والافطار لكون هذه الترخيصات بمنزلة الهدية من الله سبحانه لعباده, ثم يقول الخبر: (ومن منكم يرضى أن ترد هديته)⁴⁰⁶. ومن هنا أفتى الفقهاء بوجوب الإفطار خلال المرض، ولا يجوز للفرد الصوم مع تحمل المرض والصبر عليه. هذا أولاً.

⁴⁰⁴ مستدرک الوسائل. الباب 95. من ابواب اداب الحمام. حديث 9.

⁴⁰⁵ سورة البقرة- آية 286.

⁴⁰⁶ الوسائل ج3 الباب الاول من ابواب ما يصح منه الصوم ح4 ص124.

وثانياً: أنه تقدم أن معنى الإفطار للمرض من الناحية المعنوية هو قلة الصبر وضعف التحمل، فإذا ضعف الفرد جاز له بل وجب عليه الإفطار، ومن هنا قال الله سبحانه:

- (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)⁴⁰⁷.

- (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ)⁴⁰⁸، أي على الذين لهم طاقة على الصوم ولكن مع الشدة والقسوة في التحمل، فإن مثل هذه الشدة الموجبة للصوم قد تكون مؤخرة عن الهدف بدلاً عن أن تكون هذه الشدة ميسرة للوصول للهدف، فيتعلق الأذى الشرعي في الإفطار، ولا يكون الإفطار معصية، بل يكون الإفطار طاعة، فتكون للإفطار فدية قليلة من الناحية النسبية.

بقي السؤال عن أمرين:

الأمر الأول: لماذا جعلت الفدية مع كون الإفطار طاعة ومطابقاً للقاعدة الأصلية؟. وجواب ذلك من أن سبب تشريع الفدية من أجل أن يبرهن الفرد على اهتمامه اقترابه واهتمامه بالصوم، وذلك لأن الإفطار يحتوي على بعد عن الشريعة وتفويت لأهداف الشريعة فهنا يثبت سبب تشريع الفدية، ويتم المطلوب.

الأمر الثاني: لماذا يحتاج الإفطار في المرض إلى الفدية دون الإفطار في السفر؟. وجواب ذلك إننا بين أفكار ثلاثة:

الفكرة الأولى: إننا بين أمرين:

1- الالتزام بنتيجة ابتعاد الفرد عن الهدف، وإنما يحتاج الفرد إلى فرص أخرى للعمل من أجل الوصول للهدف.

2- الالتزام بكون هذه الفدية القليلة كفيلة بتعويض ما فات بدليل الأمر بهذه الفدية من الناحية الشرعية، وأما قلة هذه الفدية فلا يضر باعتبار عدم حصول العناد بالإفطار التي تكون الفدية

⁴⁰⁷ سورة البقرة - آية 286.

⁴⁰⁸ سورة البقرة - آية 184.

عوض عنه، وإنما حصل الإفطار بحسب القاعدة الشرعية والإذن الشرعي، ولا ينبغي أن يكون الموقف من الناحية الشرعية والمعنوية مع الفرد المطيع نفسه مع المعاند.

الفكرة الثانية: ينبغي الالتفات إلى أنه قد تقدم في موارد جواز الإفطار وجود نحوين:

1- الإفطار من المرض.

2- الإفطار في السفر.

وبين هذين النحوين من الإفطار نقطة اشتراك ونقطة افتراق:

- نقطة الاشتراك هي الإذن الشرعي.

- نقطة الافتراق هي المعنى فإن معنى المرض هو ضعف التحمل، بينما معنى السفر هو الابتعاد عن الأهل والوطن إلى دار الغربية، فإذا كان الإنسان في دار الغربية، فهذا لازم عليه الاتقاء من شرهم وانتقادهم، بل ولزم حسن معاشيتهم وملائمتهم، ومنها هنا ورد:

- قال المثل: يا غريب كن أديب.

- ما ينسب إلى أمير المؤمنين مخاطباً ولده الحسين عليهما السلام:

حسيناً إذا كنت في بلدة * غريباً فعاشر بآدابها

- قول الشاعر:

ودارهم ما دمت في دارهم * وجاورهم ما دمت في جارهم

وأرضهم ما دمت في أرضهم

فهنا دلالة واضحة على أهمية الإفطار في السفر، كما ورد: (ليس البر الصيام في السفر) ⁴⁰⁹.

⁴⁰⁹ الوسائل ج 4 م 7- الباب الأول من أبواب من يصح منه الصوم- حديث 10 و 11. ص 126.

الفكرة الثالثة: حال الإفطار في المرض يختلف عن حال الإفطار في السفر من حيث أن طبع المريض الضعيف عن التحمل هو النفور عن الصوم من الناحية النفسية، بكما ورد في الدعاء: (اللهم لا تحملني ما لا أطيق)⁴¹⁰. بينما حال الإفطار في السفر هو وجود الرغبة في الصوم من الناحية النفسية، ومن هنا يحتاج الإفطار إلى الصبر والتحمل في دار الغربة قد تعدل في القلوب المؤمنة تحمل الصوم في الوطن. هذا مع أن الصبر في الطاعة وعصيان الهوى منتج للاقتراب والتسبيب للوصول للهدف، مع أن الهوى الأساسي للفرد في الصوم ليس في الإفطار.

ومع هذه الأفكار الثلاثة يثبت أمرين:

- 1- أن الإفطار في السفر أهم من الإفطار في المرض.
 - 2- أن الإفطار في السفر بنفسه قد يكون موصلاً للهدف بدلاً عن الصوم، بخلاف الإفطار في المرض الذي ينتج إعاقة السفر الحقيقي. حتى وإن كان لعذر مشروع.
- فهنا يثبت احتياج الإفطار في المرض إلى الفدية دون الإفطار في السفر، ويتم المطلوب.
- القسم الثالث: الإفطار المفوت للصوم المستحب، فهنا لا يثبت في هذا القسم كفارة ولا فدية، وذلك لأنه لا يحتوي على وجود أي ذنب، أو وجود هدف باعتبار كونه صوماً مستحباً، إلا إذا كان المستحب بمعنى المشاركة في سرعة وكثرة الإنتاج، فيكون ترك المستحب منتجاً لبطء وقلة الإنتاج، فيكون ترك المستحب دنباً موجبا للفدية، فلماذا لم تكن على ترك الصوم المستحب فدية؟. وجواب ذلك على مستويات أربعة:

- 1- إن الفدية خاصة بالذنوب الكبيرة وغير شاملة للذنوب الصغيرة. وترك المستحب ذنب صغير، لأن ضد المستحب هو المكروه وليس الحرام، فلا تكون الفدية شاملة للصوم المستحب، ويتم المطلوب.

- 2- إن سير الفرد ما دام مطابقاً للقاعدة العامة الضرورية سواء كانت القاعدة ظاهرية أم كانت القاعدة معنوية من الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، فإن الشارع المقدس يكتفي من الفرد بذلك السير المطابق للقاعدة، ولا حاجة للفرد إلى الزيادة إلى الالتزام بالمستحبات وترك

⁴¹⁰ بحار الأنوار ج 100، ص 418، حديث 69.

المكروهات، فتتناقص أهمية المستحب والمكروه عن أهمية الواجب والحرام، فلا تكون الفدية شاملة للصوم المستحب، ويتم المطلوب.

3- إن الالتزام بالمستحبات يستلزم الثقل وبذل الجهد على كثير من الناس، الأمر الذي يجعل من الحكمة عدم الالتزام بهذه المستحبات، وإن كان الالتزام بهذه المستحبات له دخل حقيقي في الوصول إلى الهدف، فلا تكون الفدية شاملة للصوم المستحب، ويتم المطلوب.

4- إن بعض المستحبات الشرعية الظاهرية تعتبر بمنزلة الواجبات الشرعية في الدرجة والمرتبة العالية من الإيمان، وأمثلة ذلك:

- صلاة الليل بل مطلق النوافل اليومية الواجبة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لمدى علو كعبه في الإيمان واليقين وقوة تحمله. ومن هنا قيل: (إن حسنات الأبرار سيئات المقربين)⁴¹¹. من حيث أن فعلين متشابهين بكل تفاصيلهما قد يحصل من هذا الفعل مطلوباً ومستحباً، ويحصل من الفعل الآخر مبغوضاً ومحرمًا.

- بعض أشكال المجاملات الأخلاقية التي تكون احتراماً للفرد في عدد من طبقات المجتمع، ولكن هذه المجاملات الأخلاقية قد تكون احتقاراً له فيما إذا صدرت من بعض الوجهاء والمبرزين تجاهه، بل يحتاجون إلى زيادة في المجاملة الأخلاقية.

ومن هنا أمكن القول: إنه مع علو الدرجة والمرتبة في الإيمان يمكن أن تكون بعض المستحبات الشرعية بمنزلة الواجبات الشرعية على الفرد، فيكون ترك هذه المستحبات تركاً للواجب وليس تركاً للمستحب، فتكتسب هذه المستحبات أهمية قصوى بالنسبة إلى الفرد. هذا أولاً.

وثانياً: أن الواجب والمستحب من الناحية الأخلاقية يختلفان بحسب المراحل، فما يكون واجباً في مرحلة قد يكون مستحباً في مرحلة أخرى. وما يكون مستحباً في مرحلة قد يصبح واجباً في مرحلة أخرى على تفصيل ليس ها محله.

⁴¹¹ بحار الأنوار ج 17 ص 39.

الفقرة (16) فكرة العيد

سؤال: ما معنى العيد مبيناً الفرق بين عيد الفطر وعيد الأضحى؟.

جواب: هنا مطالب ثلاثة:

1- أن معنى العيد في الحقيقة هو يوم الوصول إلى الهدف المعنوي والأخروي، وما الفرح أو التقديس أو الأهمية لهذا العيد إنما يكون من أجل الوصول إلى الهدف، وذلك يحصل من بابين:

أولاً: تطبيق قوله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)⁴¹². أي أن الوصول إلى الهدف من أعظم النعم الإلهية التي ينبغي الحديث والكلام بها.

ثانياً: الشكر على تلك النعمة الإلهية، فإن الاعتراف والتجاوب مع النعمة يعد شكلاً من أشكال شكر هذه النعمة.

2- الفرق بين عيد الفطر وعيد الأضحى مختصراً، بعد العلم أن هذين العيدين يشتركان في نقطة وهي فكرة الوصول إلى الهدف، وأما نفة الافتراق فهي:

- أن عيد الفطر يأتي بعد صوم شهر رمضان، والصوم يعد من جملة مقدمات وقربات الوصول إلى الهدف، كما قال الله سبحانه: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)⁴¹³. أي تفسير الصبر بالصوم، وقد قيل في الخبر: (الدنيا صوم يوم). فمع الوصول إلى الهدف فإنه تنتفي الحاجة إلى الصوم، ويجب الإفطار وإظهار العيد والفرح لذلك من الناحية المعنوية، ويتم المطلوب.

- أن عيد الأضحى يأتي بعد عناء السفر إلى الحج، والحج يرمز إلى السفر إلى الهدف بعد تقديم وانجاز المقدمات والأسباب، فإذا حصل الوصول وانتهى السفر، فهنا حصل الهدف، وذلك لأن السفر إلى الهدف ينتهي بالوصول إلى الهدف، ومع حصول الهدف يحصل العيد والفرح لذلك من الناحية المعنوية، ويتم المطلوب.

⁴¹² سورة الضحى - آية 11.

⁴¹³ سورة البقرة - آية 45.

3- أن طريقة الاحتفال بالعيد وإظهار الفرح ترتبط بالوصول للهدف، والهدف هو هدف معنوي وأخروي، وليس هدفاً دنيوياً، فلا معنى للاحتفال بالعيد احتفالاً دنيوياً عن طريق إظهار الفرح بطريقة مسفهة أو محرمة، وإنما الطريقة الأهم والأفضل لإظهار ذلك الفرح هي الشروع بالتهيئة والإعداد إلى الهدف الذي يلي هذا الهدف في طريق التكامل اللانهائي السير، وكلما وصل الفرد إلى مرحلة من المراحل استحق الفرد الحصول على المرحلة التي بعدها بشرط أن يكون الفرد ساعياً لهذه المرحلة بالسعي المناسب لهذه المرحلة. وأما عطاء الله تعالى الواهب المنان فإنه كريم لا بخل في ساحته، فيهب العبد ما يأمله من الأهداف والطموحات في عالم المعنى والنور.